أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الثالث

دار القلم العربي

السيرة النبوية

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشعْرَاويْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

حجّة الوداع

وفي سنةّ عشر من الهجرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع ،وسميت بذلك لأنه ودّع الناس فيها وبعدها وما عرف وداعه حتى توفي بعدها بقليل ، فعرفوا المراد وأنه ودّع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفاراً ، وأكد التوديع بإشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا أنه بلغ ما أرسل اليهم به ، وتسمى حجة الإسلام لأنه ﷺ لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها ، وحجة البلاغ لأنه بلغ الناس الشرع في الحج قولاً وفعلاً ، ،تسمى حجة التمام والكمال ، لنزول قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، وكان ﷺ بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ، ويغزو المغازي ويبعث السرايا والبعوث ، من حين أذن له في القتال ، فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج ، فتجهز وأمر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة .

قال ابو اسحق السبيعي : وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة ، وليس كذلك بل حج قبلها مراراً وقيل : حج وهو بمكة حجتين ، وقيل : ثلاث حجج ، والحق الذي لا ارتياب فيه كما في شرح الزرقاني على المواهب : انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج ، وإنما يتأخر منهم من لم يكن بمكة ، أو عاقه ضعف وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامة الحج ، ويرونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب ، فكيف يظنّ به ﷺ أنه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه في الجاهلية رأى النبي ﷺ واقفاً بعرفة وأنه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان ﷺ يخالفهم ويصل إلى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح أنه ﷺ كان يدعو قبائل العرب إلى

الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقاني : فلا يقبل نفي ابن سعد انه لم يحج بعد النبوة إلا حجة الوداع لأن المثبت مقدّم على النافي خصوصاً وقد صحبه دليل إثباته ولم يصحب النافي دليل نفيه ولذلك .

قال ابن الجوزي : حج ﷺ حججاً لا يعرف عددها وقال ابن الأثير في النهاية : كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه ﷺ لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفاري وكان نساؤه كلهنّ معه وقد طاف عليهنّ كلهنّ ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانياً لإحرامه غير غسل الجماع ، وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذي الحجة يوم الأحد ، وخرج معه ﷺ تسعون ألفاً ويقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ويقال : أكثر من ذلك وهذه عدّة من خرج معه وأمّا الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي وأبي موسى رضي الله عنهما .

وجاء في حديث أن الله وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور في كتب السنة شهير شائع فلا حاجة إلى الإطالة به .

بَاب يُذكر فيهِ مَا يتعَلق بالوُفوُد

التي وفدت على رسول الله ﷺ غير ما تقدّم قد تقدّم أنه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصري وذلك في أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم في سرية عيينة بن حصن وكان ذلك في المحرّم سنة تسع .

وفد نصارى نجران

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكباً جاؤه يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن تشمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوي بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال ﷺ : دعوهم تألفا لهم ورجاء لإسلامهم ولدخولهم بالأمان فأقرّهم على كفرهم سياسة فليس فيه إقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوي عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ، ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال ﷺ : أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فإن تعطونيها آخذها فقالوا : نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزيّ الحسن تشوّقت نفوسهم إلى الدنيا فأنزل الله تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلك للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ ولما فرغوا من صلاتهم عرض ﷺ عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا : قد كنا مسلمين قبلك ، فقال رسول الله ﷺ : كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم أن لله ولداً وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رهطاً

من نجران قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ما شأنك تذكر صاحبنا قال : من هو قالوا : عيسى تزعم أنه عبد الله قال : أجل قالوا : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له : قل لهم إذا أتوك إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين .

وفي رواية : أنّ واحداً منهم قال له المسيح ابن الله : لانه لا أب له وقال آخر : المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيراً وقال له : أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال : هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فغضبوا وقالوا : إنما يرضينا أن تقول : هو إله وقالوا : إن كنت صادقاً فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص ويخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ثم قال لهم : إنّ الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أباهلكم أي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له : يا أبا القاسم ترجع فننظر في أمرنا فحلا بعضهم ببعض فقال بعضهم : والله قد علمتم أنّ الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبياً إلا استؤصلوا أي اخذوا عن آخرهم وإن أنتم أبيتم إلا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم .

وفي لفظ أنهم ذهبوا إلى بني قريظة وبني قينقاع واستشاروهم أي شاوروا من بقي منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ أنهمواعدوه على الغد فلما أصبح ﷺ أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وعند ذلك قال لهم الأسقف : إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى : أن يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني فقالوا له ﷺ : لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال : آخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى : ﴿ ونساءنا ونساءكم ﴾ .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : وأما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولا ضرم الوادي عليهم ناراً ولاستأصل الله نجران

وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم أنهم صالحوا النبي ﷺ على الجزية على ألف حلة في صفر وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتاباً وقالوا : أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم : هذا أمين هذه الأمة .

وفي رواية : هذا القوي الأمين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك وفي أهل نجران وفي الردّ عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوّركم في الأرحام كيف يشاء أي بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون في أوّل الكلام إشارة إلى الردّ عليهم وذلك براعة استهلال وهي من المحسنات البديعية .

وفد تميم الداري وأصحابه

وفد عليه ﷺ الداريون أبو تميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن إسلامهم رضي الله عنهم وكان وفدهم عليه مرّتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرّة بعدها وفي المرة الأولى سألوا رسول الله ﷺ : أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام فقال لهم رسول الله ﷺ : سلوا حيث شئتم . قال أبو هند وهو من أصحاب تميم : فنهضنا من عنده نتشاور في أي الأراضي نأخذ فقال تميم : نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند : هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا قال تميم : نسأله بيت جيرون وكورتها فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتاباً نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين أعطاه الله الأرض فوهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم إلى الأبد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتاباً وقال : إنصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت قال أبو هند : فانصرفنا فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدّد لنا كتاباً آخر فكتب لنا كتاباً نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه أني أنطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونهيت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبداً لابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب .

ومن فضائل تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ روى عنه حيث خطب فقال في

خطبته : حدّثني تميم الداري وذكر خبر الجساسة أي لأنّ فيما أخبر النبي ﷺ أنه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء فلقي إنساناً يجر شعره فقال له : من أنت قال : أنا الجساسة قالوا : فأخبرنا قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال : من أنتم قلنا ناس من العرب قال : ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال : ذلك خير لهم قال : افلا تخبروني عن عين زعر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال : ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال : أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال : فأخرجه رسول الله ﷺ فحدث الناس فقال : هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر : وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير : ولما فتحت مكة ودانت له ﷺ قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوته لأن قريشاً كانت قادة العرب فلما أسلموا دخل الناس في دين الله أفواجاً وتتابعت الوفود عليه ﷺ .

وفد كعب بن زهير رضي الله عنه وقد تقدمت قصته في فتح مكة

وفد ثقيف

ولما قدم ﷺ المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما إنصرف ﷺ من محاصرتهم تبع أثره عروة ابن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم رضي الله عنه وسأل رسول الله ﷺ : أن يرجع إلى قومه يأمرهم بالإسلام فقال له رسول الله ﷺ : إنهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم أي أولادهم .

وفي رواية : من أبصارهم فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم لأنه كان محبباً مطاعاً وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف فتوجه الى قومه فلما أشرف لهم على عليه دعاهم إلى الإسلام وأظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله .

وفي لفظ : أنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان

السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره : وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت: ما ترى في دمك؟ قال :كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه ﷺ : أن مثله في قومه كمثل صاحب يّس أنه قال لقومه : إتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يسٓ .

وقد قال ﷺ : مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصن أو ابن الحرث بعثه ﷺ إلى بني هلال بن عامر يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه فقال ﷺ : مثله مثل صاحب يّس ، ثم أن ثقيفاً أقامت بعد قتل عروة أشهراً ثم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمر وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال : وفد عليه ﷺ تسعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة ابن شعبة الثقفي فذهب مسرعاً ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحبون رسول الله ﷺ فأبوا إلا تحية الجاهلية وهي عم صباحاً ثم قدموا على رسول الله ﷺ فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه إذا رجعوا ذهب إلى النبي ﷺ يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن وإذا وجد النبي ﷺ نائماً ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك رسول الله ﷺ فأحبه .

وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : إستعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لأني كنت قرأت سورة البقرة في مدّة إقامتهم وعنه رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله إن القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال : يا شيطان أخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده أريد حفظه وعنه

رضي الله عنه قلت : يا رسول الله أدع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني قال : ماذا قلت : فأعدت عليه القول فقال : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك إذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله أن الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال : ذاك الشيطان يقال له : خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه وأتفل على يسارك ثلاثاً قال : ففعلت فأذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فارسل ﷺ يقول له : أنا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لا تديموا النظر إلى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله ﷺ لا عدوى ولا طيرة .

وبما جاء في أحاديث أُخر : أنه ﷺ اكل مع المجذوم طعاماً و خذ يده وجعلها مع يده في القصعة وقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأجيب بأن الأمر باجتناب المجذوم إرشادي ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوى إيمانه وعدم جوازها في حق من ضعف إيمانه ومن ثم باشر ﷺ الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوي الايمان بطريق التوكل ضعيف الايمان بطريق التحفظ والإحتياط ولا تأثير إلا لله وما يتخيل من العدوى في أمثال ذلك من جملة الأسباب العادية التي لا تأثير لها بل يحصل الشيء عندها لا بها والفعل لله وحده الله خالق كل شيء .

وعند إنصراف وفد ثقيف قالوا : يا رسول الله أمر علينا رجلاً مؤمناً فأمر عليهم : عثمان بن أبي العاص فما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبي ﷺ : يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . وفي رواية : أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إجعلني أمام قومي قال : أنت أمامهم وقال له : إذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذناً لا يأخذ أذانه أجراً وكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وهو الذي يمشي بينهم وبينه ﷺ حتى كتب لهم كتاباً وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ووج وادياً بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود وغيره ألا إن صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج المدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه ، والمشهور عنه في وج وحرم المدينة أنه يحرم التعرض لصيديهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول

الله ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله ﷺ : أن يترك لهم الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه .

وفي لفظ لا ركوع فيه وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهي اللات وكانوا يقولون لها : الربة فأبى رسول الله ﷺ فسألوه : أن يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهراً واحداً وأرادوا بذلك ليدخل الإسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله ﷺ وعند خروجهم قال له كنانة : أنا اعلمكم بثقيف أكتموا إسلامكم وخوّفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمداً سألنا أموراً عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أموراً شداداً وذكروا ما تقدم قالوا : والله لا نعطيه ولا نقبل هذا أبداً فقالوا لهم : أصلحوا السلاح تهيؤوا للقتال ورموا حصونكم فكنت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ، ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا : والله ما لنا به من طاقة فارجعوا إليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم : قد قاضينا وأسلمنا فقالوا لهم : لم كتمتمونا قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا أو مكثوا أياماً فقدم عليهم رسل رسول الله ﷺ بعث ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلى فلما قدما على رسول الله ﷺ أمر ﷺ أبا سفيان أن يقضي بين عروة وأخيه الأسود من مال الطاغية فقضاه وذلك أن أبا مليح ابن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الأسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله ﷺ : في ذلك وكان قدما على رسول الله ﷺ مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد بني عامر بن صعصعة

وفيهم عدوّ الله عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى ـ بضم السين وفتحها ـ وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر ابن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راحل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي ﷺ فقال : لاربد وهو أخو لبيد الشاعر إذا قدمنا على

الرجل فأني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال : والله لقد كنت آليت على نفسي أي حلفت أن لا أنتهي حتى تتبع عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني أي إجعلني خليلاً وصديقاً لك قال ﷺ لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال : يا محمد خالني وجعل يكلم النبي ﷺ وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء وييست يده على السيف فلم يستطع سله .

وفي رواية : لما جاءه عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له : أسلم يا عامر فقال عامر لي : إليك حاجة قال : أقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله ﷺ وقال لرسول الله ﷺ : أتجعل لي الأمر بعدك ؟ إن أسلمت فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك لك ولا لقومك أي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر وقال : لا .

وفي رواية : قال له : يا محمد مالي إن أسلمت فقال له : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . وفي رواية : خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله عز وجل ومكث ﷺ أياماً يدعو الله ويقول اللهم : أكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله وأهد قومه ثم قال ﷺ : والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنوا عامر لزاحمت قريشاً على منابرها فحينئذ دعا رسول الله ﷺ وقال : يا قوم أمنوا ثم قال : اللهم إهد بني عامر وإشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت وأني شئت وفي البخاري أنه قال للنبي ﷺ أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء ، فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر : لاربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به وما كان على وجه الأرض رجل أخافه على نفسي غيرك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً فقال : لا أبالك لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف .

وفي رواية : ألا رأيت بيني وبينه سوراً من حديد . وفي رواية : لما وضعت يدي على السيف يبست فما أستطيع أحركها . وفي رواية : لما أردت فصل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل فاغرفاه بين يدي يهوي إلي فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسي ولا مانع من

تكرير عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحداً مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى إلى بيت إمرأة من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم فسار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول : يا بني عامر غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول إئتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتاً وكان يقول : وهو يجول أبرز يا ملك الموت .

وفي لفظ : يا موت أبرز لي لأقاتلك، فلم يزل كذلك حتى أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته ، وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر ابن الطفيل على الإسلام إلى أن مات وذلك إنما هو عامر بن الطفيل الأسلمي فإنه صحابي رضي الله عنه قال : يا رسول الله زوّدني كلمات أعيش بهن قال : يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحيي من الله كما تستحي من رجل من أهلك ، وإذا أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات . وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات على كفره ، وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقال : لاربد ما وراءك يا أربد قال : لا شيء والله لقد دعانا إلى شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك في يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ وأما جبار بن سلمى الذي هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر وحسن إسلامه رضي الله عنه .

وفد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

قيل أنه وفد على النبيﷺ في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر أنه سنة تسع قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول اللهﷺ بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وفي رواية : أيكم محمد : قالوا : هذا المتكيء فقال إلى سائلك فمشدّد عليك فلا تجد علي فقال : سل عما بدا لك فقال : يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق فقال : أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك .

وفي رواية : أنشدك بالذي خلق السموات والأرض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن

تأمرنا أن تعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان أباؤنا يعبدونها قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من إثني عشر شهراً قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من إستطاع إليه سبيلاً . قال : اللهم نعم . قال : آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما رجع إلى قومه كان أوّل شيء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه : يا ضمام إتق البرص إتق الجذام إتق الجنون فقال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً إستنقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فلم يبق من القوم رجل ولا أمرأة إلا وأسلم .

وفد عبد القيس

وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال : أبياتاً يخاطب بها النبي ﷺ منها قوله :

يا نبي الهدى أتاك رجال قطعت فدفد أو آلافا
لا تتقي وقع يوم عبوس أو جل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة وآلافا ما يرفع الشخوص في أوّل النهار وفي آخره وقيل بالسراب قيل : كان مجيئهم سنة عشر فعرض ﷺ على الجارود بعد إنشاده الأبيات فقال : يا محمد ، إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي ﷺ : نعم أنا ضامن أن قد هداك إلى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء في رواية أنه كان مع الجارود سلمة بن عياض الأسدي وأن الجارود قال لسلمة : إنّ خارجاً خرج يزعم أنه نبي فهل لك أن تخرج إليه فإن رأينا خيراً دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها ، لا يخبر بها صاحبه فلعمري إن أخبرنا بها إنه لنبي يوحي إليه فلما قدما عليه ﷺ قال له الجارود : بم بعثك ربك يا محمد ؟ قال بشهادة أن لا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ندّ يعبد من دون الله

وبإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير إلحاد من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

قال الجارود : يا محمد ، إن كنت نبياً أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله ﷺ وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدّر عنه فقال : أما انت يا جارود فإنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وإنّ دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الإسلام ألا وإنّ أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة وأما أنت يا سلمة فإنك أضمرت أن تسألني عن عبادة الأوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الأوثان فإن الله تعالى يقول : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ وأما يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيراً من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأخير من رمضان فإنها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها الإشعاع لها وأما عقل الهجين فإنّ المؤمنين أخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم له فقالا : نشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وإنك عبده ورسوله ، وذكر بعضهم أن وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن أن وفادتهم تكررت وجزم بذلك في المواهب .

وجاء في رواية : أنه ﷺ بينما هو يحدّث أصحابه إذ قال لهم : سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق . وفي رواية : يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم أغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقى ثلاثة عشر راكباً وقيل : كانوا عشرين راكباً وقيل كانوا أربعين رجلاً فقال : من القوم قالوا : من بني عبد القيس ؟ فقال : أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفا فقال : خيراً ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده ﷺ ورجله ، وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سناً فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي ﷺ وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها وكان رجلاً دمياً ففطن لنظر رسول الله ﷺ إلى دمامته فقال : يا رسول الله إنه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم إنما يحتاج من الرجل إلى أصغر به لسانه وقلبه ، فقال له رسول الله ﷺ إن فيك خلتين .

وفي رواية : خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والإناة فقال : يا رسول الله أنا اتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال : بل الله تعالى جبلك عليهما فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والإناه كقناة التؤدة أي التأني في الأمر وقد جاء في الحديث التؤدة والإقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوّة . وفي رواية : أنهم لما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم : من القوم قالوا : من ربيعة فقال : مرحباً بالقوم .

وفي رواية : بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا : يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة أي لأن مساكنهم بالبحرين أي وما والاها من أطراف العراق وأنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل إليك إلا في شهر حرام .

وصرّح في بعض الروايات : بأنه رجب فمرنا بأمر نأخذ به ونخبر به من وراءنا وندخل فه الجنة فقال آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الإمام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير .

وفي رواية : والمقير والمراد النهي عن نتباذ النبيذ في هذه الأشياء لأنها تسرع بالتخمر الذي هو سبب الإسكار والدباء والقرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والمقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر والمقيد ما طلي بالقار وهو الزفت .

وجاء في رواية بدل المقير والزفت . وفي رواية قال : واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الأواني فقالوا يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقي فيها أسقية الأدم قال : وإن أكلها الجرذان قال : ذلك مرتين أو ثلاثاً فقال له الأشج : يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة واخمة وإنا إذا لم نشرب هذه لا شربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه واوماً بكفه ، فقال ﷺ يا أشج إن أرخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه أي سكر قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال : فلما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ جعلت أسدل ثوبي لأغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه ﷺ . وفي رواية : أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا : يا رسول الله إن أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا إلا النبيذ قال : قال : فلا تشربوا في النقير فكأني بكم إذا شربتم في النقير

قام بعضكم إلى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها إلى يوم القيامة فضحكوا فقال : ما يضحككم قالوا : والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا إلى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال : لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال : إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من أدناها إلى أقصاها وقال لهم : خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وإنما إقتصر في المناهي على شرب الأنبذة في الأوعية المذكورة مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم أن النهي عن إنتباذ في هذه الأواني إنما كان في أوّل تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة في شربها معتادة لها ثم لما إستقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها . قال ﷺ : كنت نهيتكم عن الإنتباذ في هذه الأواني فانتبذوا في كل إناء واجتنبوا المكر فالنهي عن الإنتباذ فيها منسوخ ، والقصد إجتناب المسكر فقط والله أعلم .

وفد بني حنيفة

ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وفدوا عليه ﷺ وكانوا سبعة عشر رجلاً ومعهم مسيلمة الكذاب قيل : جاء بنوا حنيفة إلى رسول الله ﷺ ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيماً له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيراً وكان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه معه عسيب من سعفة النخل في رأسه خويصات فلما إنتهى مسيلمة إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلم النبي ﷺ وسأله أن يشركه معه في النبوّة فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل إن بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فأمر له ﷺ بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا إلى اليمامة إدّعى مسيلمة أن النبي ﷺ أشركه معه في النبوّة وقال لمن وفد معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني أما أنه ليس بشركم مكاناً ما ذاك إلا لما كان يعلم أني أشركت معه في الأمر أي وهو ﷺ إنما أراد بذلك أنه حفظ ضيعة أصحابه .

وفي الصحيحين : انه ﷺ أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقد بلغه ﷺ أن مسيلمة قال :

إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته فقال له النبي ﷺ : إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها وإني لاراك الذي رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم إنصرف عنه ﷺ والذي رأى منه ﷺ هو أنه رأى في المنام أن في يده سوارين من ذهب قال : فافهمني شأنهما فأوحى الله إليّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطار فأوّلتهما كذا بين يخرجان من بعدي أي وهما الأسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فإن كلاً منهما إدّعى النبوّة في حياته ﷺ وكان العنسي يقول : إن ملكاً يقال له : ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمداً فلما بلغه ﷺ ذلك قال : لقد ذكرنا ملكاً عظيماً في السماء يقال له : ذو النون .

وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى : كان فيها تابعاً ومن ثم جاؤوا به مستوراً حتى إنتهى إلى النبي ﷺ أو قام في حفظ الرحل كما تقدم والثانية : كان متبوعاً لم يحضر أنفة واستكبار وعامله ﷺ معاملة الكرام تألفا له فأتاه إلى قومه وهو فيهم ولما خرج الأسود العنسي بصنعاء وإدّعى النبوّة غلب عامل النبي ﷺ على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية . ويقال أنه مرّ به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادّعى الأسود أنه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له : شيئاً فقام وكان مع الأسود شيطانان يقال لأحدهما : سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغـرا وكانـا يخبرانـه بكل شيء يحـدث من أمـور النـاس وكان بأذان عاملاً للنبـي ﷺ أيضـا بصنعـاء فمات فجـاء شيطـان الأسـود فأخبـره فخـرج في قومه حتـى ملك صنعـاء وتـزوّج المرزبانـة زوجـة باذان فواعـدت فـيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلاً وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحترز رأسه وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافاهم عند وفاته ﷺ قال أبو الأسود عن عروة : أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر إلى أبي بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ .

وقصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي مشهورة رواها جملة من أصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم : إنها من المشهور المستفيض وحاصلها أن الأسود العنسي بعث إلى أبي مسلم الخولاني لما ادّعى الأسود النبوّة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له : أتشهد أني رسول الله قال : ما أسمع قال : أتشهد أن محمداً رسول الله قال : نعم فردّ ذلك عليه مراراً وهو يقول : كما قال أولا . فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضرّه فقيل له : أنفه عنك وإلا أفسد عليك من إتبعك فأمره بالرحيل فأتى

المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ا لصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال : من أهل اليمن قال : ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال : أنا هو قال : أنشدك الله أنت هو قال : اللهم نعم . فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمّة محمدﷺ من فعل له كما فعل بإبراهيم خليل الله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنا أدركت أمداد خولان يقولون للأمداد من بني عبس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضرّه ونقلة هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى الإستفاضة ثم أن مسيلمة حين إدّعى النبوّة صار يتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلي أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعاً ومراده أن يكون على منوال سورة الكوثر فقال : إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن مبغضك رجل فاجر .

وفي رواية : إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر . وفي رواية : إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر فظنّ اللعين المخذول أنّ الجواهر تعادل الكوثر فجهل اللغة مع أنّ الكوثر الخير الكثير فليت شعري ما الذي جاء به فإنه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر أتى الفجور في لسانه وصرف عن الإتيان بمثله ولم يعرف المخذول أنه محروم عن الوصول إلى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوي أقل كلام من كلام الفصحاء فضلاً عن كلام رب العالمين ثم إنّ اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيباً لهم في إتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بالنبوّة ويدّعي أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله إذ النبي لا يبيح المحرّمات وكانت دعوى مسيلمة النبوّة في حياة النبيﷺ لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته إلا في زمن الصدّيق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة جمع جموعاً كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصدّيق رضي الله عنه جيشاً أمّر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني ، وقيل عدي بن سهل ، وقيل أبو دجانة رضي الله عنه ، وقيل وحشي والأول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي

ضربه أولاً وكمل عليه الآخرون .

وفي البخاري ، عن وحشي : لما خرج مسيلمة قلت : لأخرجنّ إليه لعلي أقتله فأكافيء به حمزة فخرجت مع الناس فإذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الأنصار بالسيف على هامته وكان عمر حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

لهفي عليك أبا ثمامة لهفي على ركن اليمامة
كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي : وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم أنه دعا لأبنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبيّ فقرع قرعا فاحشاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد طيء

وفد عليه ﷺ وفد طيء وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك الخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جوداً وخلقاً وأحسنهم وجهاً وشعراً وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الأرض كأنه راكب حمار فقال له النبي ﷺ ، وهو لا يعرفه : الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للإيمان ثم قبض على يده فقال : من أنت فقال : أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله . فقال له : بل أنت زيد الخير وعرض الإسلام على من معه فأسلموا وحسن إسلامهم وقال ﷺ ، في حق زيد الخيل : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل إثني عشر أوقية ونشا وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتاباً ولما خرج من عند رسول الله ﷺ متوجهاً إلى قومه . قال رسول الله ﷺ : إن ينجو زيد من حمى المدينة أي ما ينجو منها ففي أثناء الطريق أصابته الحمى وفي لفظ قال له : يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الأسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله ﷺ الذي أقطعه فيه محلين بأرضه

فلما رأت إمرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت وإحترق الكتاب وقيل : إن زيد الخير بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنه وأنه لما ارتدّت العرب عند موت النبي ﷺ ثبت على الإسلام وكتب إلى أبي بكر بهذين البيتين :

أما تخشين الله بيت أبي نصر — فقد قام بالأمر الجليّ أبو بكر
نجيّ رسول الله في الغار وحده — وصاحبه الصديق في معظم الأمر

وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : كنت أمرأ شريفاً في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ما رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعياً لابلي لا أبالك أعزل لي من إبلي إجمالاً ذللاً سمانا فاحبسها قريباً مني فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني ثم إنه أتاني ذات يوم فقال : يا عدي ، ما كنت صانعاً إذ أغشيك محمد فاصنعه الآن فإني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد فقلت له : قرّب لي إجمالي فقرّبها فاحتملت أهلي وولدي وإلتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول الله ﷺ وبلغ رسول الله هربي إلى الشام منّ عليها رسول الله ﷺ وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت إلى أن قدمت على الشام فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظغينة تؤمّناً فقلت : إبنة حاتم فإذا هي هي فلما وقفت عليّ قالت : القاطع الظالم إحتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت : أي أخية لا تقولي إلا خيراً فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها : وكانت إمرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكاً فأنت أنت فقلت : والله إن هذا للرأي قال : فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال : من الرجل فقلت عدي بن حاتم مقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لقائدني إليه إذ لقيته إمرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت : ما هذا بملك .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم حشوها ليف فقدّمها إلي وقال : إجلس على هذه فقلت : بل أنت فاجلس عليها قال : بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ بالأرض فقلت : والله ما هذا بأمر ملك ثم قال له : ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دين لأنه كما تقدم كان نصرانياً فقلت : بلى فقال : ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الإشارف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت : بلى قال : فإنّ ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت : أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال : لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي : وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد عروة المرادي

وفد على رسول الله ﷺ عروة مفارقاً لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها همدان من مزاد ما أرادوا في يوم يقال له : الردم فقال له رسول الله ﷺ : هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله ﷺ : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً وإستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

وفد بني زبيد

ـ بضم الزاي وفتح الموحدة ـ وفدوا على النبي ﷺ وفيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهوراً بالشجاعة شاعراً مجيداً قال لابن أخيه قيس المرادي إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له : محمد قد خرج بالحجاز يقول : إنه نبي

فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لا يخفي عنك إذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيساً تواعد عمرا فقال عمر : وفي قيس أبياتا منها :

فمن ذا عاذري من ذي سفاه يردّ بنفسه شدّ المرادي
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته ﷺ أسلم قيس فليس له صحبة وقيل : بل أسلم قبل موته ﷺ فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد كندة

وكندة قبيلة باليمن ينسبون إلى كندة لقب جدّهم نور بن عفير وله ﷺ جدة منهم وهي أم جدّه كلاب وفد عليه ﷺ ثمانون من كندة وقيل : ستون فيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه ﷺ سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قالوا : أبيت اللعن فقال رسول الله ﷺ : لست ملكاً أنا محمد بن عبد الله قالوا : لا نسميك باسمك قال : أنا أبو القاسم فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك خبئاً فما هو ؟ وكانوخبؤوا لرسول الله ﷺ عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا : كيف نعلم إنك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال : هذا يشهد أني رسول ا لله فسبح الحصى في يده فقالوا : نشهد أنك رسول الله قال رسول الله ﷺ : إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا : أسمعنا منه فتلا ،سول الله ﷺ : ﴿ والصافات صفاً ﴾ حتى بلغ ﴿ ورب المشارق ﴾ .

ثم سكت رسول الله ﷺ وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا : إنا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك قال : خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت ثم تلا : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي

أوحينا إليك ﴾ الآية . ثم قال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى قال : فما بال هذا الحرير ؟ فعند ذلك شقوه وألقوه ولعل سجفهم جاوزت الحدّ الجائز شرعاً وكان على النبي ﷺ حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال : إنها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان ﷺ إذا أقدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك . وقال الأشعث ابن قيس : له ﷺ نحن بنو آكلة المرار وأنت بن آكلة المرار ويعنون جدته أم كلاب لما تقدم إنها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمر ولقب بذلك لأكله شجراً يقال له : المرار في غزوة وغزاها ولما قال له الأشعث : ما ذكر؟ قال ﷺ : لا نحن بنو النضر بن كنانة لانفقوا أمناً وننتفي من أبينا أي لا ننتسب إلى الأمهات ونترك النسب إلى الآباء فقال الأشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين والأشعث هذا ممن إرتد بعد النبي ﷺ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فإنه حوصر وجيء به أسيراً فقال للصديق حين أراد قتله : إستبقيني لحروبك وزوّجني أختك فزوّجه أخته أم فروة وعاد إلى الإسلام فدخل سوق الإبل بالمدينة وإخترط سيفه فجعل لا يرى جملاً إلا عرقبه فصاح الناس كفر الأشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوّجني أخته ولو كنا ببلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال : يا أهل المدينة إنحروا وكلوا وأعطى أصحاب الإبل أثمانها وقال ﷺ للأشعث : هل لك من ولد : فقال : لي غلام ولد عند مخرجي إليك لوددت أن لي به سبعة قال : إنهم لمجبنة مبخلة وأنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الأشعث اليرموك بالشام ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل : مات سنة ثنتين وأربعين .

وفد أزدشنوءة

وفد على رسول الله ﷺ جمع من الأزد وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي وكان افضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره ان يجاهد بمن أسلم من بليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش - بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة - وهي مدينة بها قبائل اليمن ، فحاصرها المسلمون قريباً من شهر ثم رجعوا عنها حتى إذا كانوا بجبل يقال له : شكر - بالشين المعجمة والكاف المفتوحين - فلما وصلوا ذلك المحل ظنّ أهل جرش أن المسلمين إنما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى إذا أدركوهم عطف المسلمون

عليهم فقتلوهم قتلاً شديداً وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان أي ينظران الأخبار فبينما هما عند رسول الله ﷺ إذ قال ﷺ : بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له : كشر فقال : إنه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال إن بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الإستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما أي يخبركما بموتهم فقوما إليه فأسألاه أن يدعوا الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال : اللهم إرفع عنهم .

ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله ﷺ ما قال ، ثم بعد ذلك وفد عليه ﷺ وفد جرش فأسلموا فقال لهم ﷺ مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً أنتم مني وأنا منكم وحمي لهم حول بلدهم .

وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه

وذلك أن الحارث بن كلال ـ بضم الكاف ـ والنعمان ومعافر ـ بالفاء مكسورة ـ وهمدان ـ بإسكان الميم وفتح الدال المهملة ـ وهي قبيلة كتبوا إلى النبي ﷺ بإسلامهم فكتب اليهم رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن كلال وإلى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فإني أحمد الله إليكم الذي لا آله إلا هو أما بعد فإنه وقع بنا رسولكم فقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا عن غزوة من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وإن الله قد هداكم بهداه وإنكم أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فإن محمد النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وإن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً ولا تخونوا ولا

تجادلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته إنما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله .

وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على رسول الله ﷺ يخبره بإسلامه وأهدى فروة له ﷺ بغلة بيضاء يقال لها : فضة وحماراً يقال له : يعفور وفرسا يقال لها : الظرب وثياباً وقباء مرصعاً بالذهب فقبل ﷺ الهدية وأعطى الرسول إثنتي عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملاً للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان - بفتح الميم وضمها - إسم جبل فلما بلغ الروم إسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له : الملك إرجع عن دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك قال : لا أفارق دين محمد فإنك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك .

وفد الحارث بن كعب

قد تقدّم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين إجتمعوا به ﷺ قال لهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال : صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ .

وفد رفاعة بن زيد الخزاعي

- بالخاء المعجمة والزاي - وفد على رسول الله ﷺ فأسلم وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد أني بعثته إلى قومه عامة من دخل منهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله ورسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضي الله عنهم .

وفد همدان

وفد على رسول الله ﷺ جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات - بكسر الحاء ثياب مخططة من

برود اليمن والعمائم العدنية نسبة إلى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لأن تبعاً كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهربة والأرحبية والمهرية نسبة إلى قبيلة يقال لها : مهرة باليمن والأرحبية نسبة إلى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله ﷺ :

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

ومن شعره :

حلفت برب الراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره ﷺ على من أسلم من قومه ، وتقدّم ان النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد اليهم ، ثم بعث علياً رضي الله عنه ، وأمر خالد بالرجوع وإن من كان مع خالد إن شاء بقي مع علي وإن شاء رجع ، وأنه ﷺ لما جاء خبر إسلامهم خرّسا جداً ثم رفع رأسه ثم قال : السلام على همدان . وجاء انه ﷺ قال : نعم الحي همدان ، وما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الإسلام .

وفد تجيب

- بضم المثناة فوق - وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله ﷺ منهم ثلاثة عشر رجلاً ، وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسرّ رسول الله ﷺ بهم وأكرم مثواهم . وقالوا : يا رسول الله ، إنا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله ﷺ : ردّوها فأقسموها على فقرائكم . قالوا : يا رسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد . فقال رسول الله ﷺ : إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيراً شرح صدره للدين ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله ﷺ رغبة

فيهم ، وأرادوا الرجوع الى أهليهم ، فقيل لهم : ما يعجلكم ؟ قالوا : انرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ ، وملاقاتنا له وكلامنا إياه وما ردّ علينا . ثم جاؤوا الى رسول الله ﷺ فودعوه فأرسل اليهم بلالاً ، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم ﷺ : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً . فقال أرسلوه إلينا فأرسلوه ، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي . قال : وما حاجتك ؟ فقال : يا رسول الله ، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الإسلام ، والله ما أخرجني إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . وقد قال ﷺ : من أراد الله به خيراً جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه ، واذا أراد الله بعبد شراً جعل فقره بين عينيه ، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم إنهم بعد ذلك وافوا رسول الله ﷺ بمنى في الموسم إلا ذلك الغلام ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله إني لأرجوا أن يموت جميعاً . فقال رجل منهم : أوليس يموت الرجل جميعاً ؟ قال ﷺ : تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ؟ فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك . قالوا : فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق . فلما توفي رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام ، قام في قومه فذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن الوليد يوصيه به خيراً ، وكان زياد والياً على حضرموت .

وفد بني ثعلبة

وفد على رسول الله ﷺ مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة مقرّين بالإسلام ، فاذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء . قال بعضهم : فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا : يا رسول الله . إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام ، وقد قيل لنا ان رسول الله ﷺ يقول : لا إسلام

لمن لا هجرة له . فقال رسول الله ﷺ : حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم . ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته ، فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال : كيف بلادكم ؟ فقلنا : مخصبون . فقال : الحمد لله : فأقمنا أياماً وضيافته تجري علينا . ثم لما جاؤوا يودعونه قال لبلال : أجزهم ، فأعطى كل واحد منهم خمس أواقي فضة ، والأوقية أربعون درهماً .

وفد بني سعد هديم من قضاعة

عن النعمان رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي ، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد أي جعلها موطوءة قهراً وغلبة ، واستولى عليها والناس صنفان : إما داخل في الإسلام راغب فيه وإما خائف السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤمّ المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة في المسجد ، وهي سهيل بن بيضاء ، فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ﷺ ونبايعه . ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر الينا فدعا بنا فقال : ممن أنتم ؟ فقلنا : من بني سعد هذيم . فقال : أمسلمون أنتم ؟ قلنا . نعم . فقال : هلا صليتم على أخيكم ؟ فقلنا : يا رسول الله ، ظننا ان ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك . فقال رسول الله ﷺ : أينما أسلمتم فأنتم مسلمون . قال : فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ على الإسلام ثم انصرفنا الى رحالنا ، وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا . فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا ، فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام فقلنا : يا رسول الله ، إنه أصغرنا وانه خادمنا . فقال : أصغر القوم خادمهم ، بارك الله عليه . قال النعمان : فكان والله خيرنا واقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ . ثم أمرّه رسول الله ﷺ علينا فكان يؤمنا ، فلما أردنا الانصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا ، فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الإسلام .

وفد بني فزارة

وفد عليه ﷺ بضعة عشر رجلاً من بني فزارة ، فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة ابن حصن وابن أخيه الجد بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالإسلام ، وهم مسنتون اي توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف اي هزال ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم فقال رجل منهم : أي وهو خارجة يا رسول الله ، أسنت بلادنا

وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وجاعت عيالنا ، فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا إلى ربك فصعد ﷺ المنبر ورفع يديه حتى رأى بياض إبطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسقِ بلدك غيثاً مغيثاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إن التمر في المربد ثلاث مرات ، فقال عليه السلام اللهم : اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بإزاره . قال : فلا والله ، ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء ، وقام ابو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه ، فوالله ما رأوا الشمس سبعاً ، ثم قام الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى بياض ابطيه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر ، فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب .

وفي السيرة الحلبية : إن هذا المطر كان عاماً للمدينة وما حولها إلى محل هؤلاء الوافدون . أحاديث الاستسقاء تعدّدت وتكرّرت فهذه القصة غير قصة الأعرابي الذي سأله السقيا وهو ﷺ على المنبر ، وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه ﷺ حيث يقول :

ودعا للأنام إذ دهمتهم ... سنة من محولها شبهاء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا ... م عليهم سحابة وطغاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ ... ـي وحيث العطاش توهي السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها ... ورخاء يؤذي الأنام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في ... وصف غيث إقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون ... بقراها وأحييت أحياء
فترى الأرض غبه كسماء ... أشرقت من نجومها الظلماء
تجعل الدر واليواقيت من نو ... ر رباها البيضاء الحمراء

وحديث الاعرابي رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه ، قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ ، فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة ، فدار السحاب أمثال الجبال . ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال : فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي او غيره فقال : يا رسول الله ، تهدّم البناء وغرق المال ادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال : فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا ، فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود أي المطر الكثير . وجاء في احاديث : انه ﷺ خرج مرة أخرى الى المصلي بعد أن وعد الناس يوماً أن يخرج فيه ، ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر . وجاء اليه مرة أعرابي فقال : يا رسول الله ، أتيناك ومالنا بعير يئط ، ولا صغير يغط ، ثم أنشد أبياتاً منها قوله :

وليس لنا إلا إليك فرارنا　　وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال : لو كان أبو طالب حياً لقرّت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟ فقام علي فقال : يا رسول الله ، كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه　　ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال ﷺ أجل ، وفي رواية : لما جاءه المسلمون وقالوا : يا رسول الله ، قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس ، فاستسق لنا ربّك . فخرج ﷺ والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى ، فتقدم ﷺ فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة ، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية ، فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكثر تكبيره ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً واسعاً طبقاً مغدقاً عاماً هنيئاً

مريئاً مريعاً مربعاً ، وابلاً شاملاً مجللاً داراً نافعاً غير ضارعاً عاجلاً غير آجل ، اللهم غيثاً تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منا والباد ، اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها ، اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهوراً ، تحيي به بلدك الميت وتسقيه مما خلقت أنعاماً وأناسّي كثيراً ، فابرحوا حتى قبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة ، فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا : قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل ، فادع الله يصرفه عنا . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم ، ثم رفع يديه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على رؤوس الظراب ومنبت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام ، فتقشعت عن المدينة ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله ؟ فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال أجل فهذه الأحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرّره منه ﷺ . وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له ﷺ ، ثم أجاز ﷺ بني فزارة بما يجيز به الوفود ، ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد بني اسد

وفد عليه ﷺ جماعة من بني أسد فيهم حضرمي ابن عامر ، فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، أنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا : جئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثاً ونحن على من وراءنا .

وفي رواية : أن حضرمي بن عامر قال : أتيناك بتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا . وفي رواية : يا رسول الله ، أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب ، فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يمنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين ﴾ وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة ، وهي زجر الطير والكهانة وهي الأخبار عن الكائنات في

المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا : يا رسول الله ، خصلة بقيت . قال : وما هي ؟ قالوا : الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه . فقال : علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم . وفي رواية : في مسلم : فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح إلا بتبين الموافقة . وفي شرح مسلم : أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لأنه لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة ، وكأنه ﷺ قال : لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياماً يتعلمون الفرائض . ثم جاؤوا رسول الله ﷺ فودّعوه وأمرلهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم .

وفد بني عذرة

قبيلة باليمن وفد على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً من بني عذرة ، وسلموا إسلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحاً . فقال لهم رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال قائل منهم : نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة ، فلنا قرابات وأرحام . فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بكم وأهلاً ما أعرفني بكم أي لقيتم مكاناً رحباً وأتيتم أهلاً فاستأنسوا ولا تستوحشوا . ثم قال : فما يمنعكم من تحية الإسلام ؟ قالوا : يا محمد . كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا ، ثم قالوا : إلام تدعوا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تشهدوا أني رسول الله إلى كافة الناس . فقال متكلمهم : فما وراء ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : الصلوات تحسن طهورهن وتمليهن لمواقيتهنّ فانه أفضل العمل ، ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا ، وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ، ونهاهم عن سؤال الكاهنة ، لأنهم قالوا له : يا رسول الله ، إن فينا أمرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور ؟ فقال لا تسألوها عن شيء ، ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لأصنامهم . وقالوا : نحن أعوانك وأنصارك ، ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسا أحدهم برداً .

وفد بليّ

ـ على وزن عليّ ـ مكبّرا وهم حي من قضاعة ، وفد على رسول الله ﷺ جمع من بليّ منهم وهو شيخهم أبو الضبيب ـ تصغير الضب ـ الدابة المعروفة ، فنزلوا اعلى رويفع بن ثابت البلوي ، فقدم بهم على رسول الله ﷺ فقال له : هؤلاء قومي : فقال له رسول

الله ﷺ : مرحباً بك وبقومك ، فأسلموا . وقال لهم رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم الإسلام فكل من مات منكم على غير الإسلام فهو في النار .

وفي رواية : عن رويفع قال : قدم وفد قومي فأنزلتهم عليّ ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله ﷺ ، وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع ، فقلت : لبيك . قال : من هؤلاء ؟ قلت : قومي . قال : مرحباً بك وبقومك . قلت : يا رسول الله ، قدموا وافدين عليك مقرّين بالإسلام وهم على من وراءهم من قومهم . فقال رسول الله ﷺ : من يرد الله به خيراً يهده للإسلام ، فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حقاً ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار . وقال له أبو الضبيب : يا رسول الله ، إن لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر ؟ قال : نعم . وكل معروف صنعته إلى غنيّ أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله ، ما وقت الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام . قال : فما بعد ذلك ؟ قال : فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك اي يضيق عليك . وفي لفظ : فيؤثمك اي يعرضك للإثم بأن تتكلم بسيء القول . قال : يا رسول الله لا ، أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض ؟ قال : لك أو لأخيك أو للذئب . قال : فالبعير . قال : مالك وله دعه حتى يجده صاحبه . قال رويفع : ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي فاذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي يحمل تمراً فقال : استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله ﷺ وأجازهم ورجعوا إلى بلادهم .

وفد بني مرة

وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً من بني مرة ورأسهم الحرث بن عوف ، فقال : يا رسول الله ، إنا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤيّ بن غالب ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال له : أين تركت أهلك ؟ قال : بسلاح وما والاها : قال : فكيف البلاد ؟ قال : والله إنا لمسنتون وما في المال صوت يردّده ، فادع الله لنا . قال رسول الله ﷺ : اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياماً ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤوا رسول الله ﷺ مودعين له ، فأمر بلالاً أن يجيزهم فأجاز كل واحد بعشر أواق فضة ، وفضل الحرث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة ،

فسألوا قومهم ، متى مطرتم ؟ فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ وأخصبت بعد ذلك بلادهم .

وفد خولان

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله ﷺ عشرة من خولان فقالوا : يا رسول الله ، نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله ، قد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها ، وحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض والمنة لله ولرسوله علينا ، وقدمنا زائرين لك . فقال رسول الله ﷺ : أما ما ذكرتم من مسيركم اليّ فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة ، وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة . ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا : بدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى ، فقد كنا منه في غرور وفتنة . فقال لهم رسول الله ﷺ : وما أعظم ما رأيتم من فتنته ؟ قالوا : لقد أصابتنا سنة مسنتة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع ، فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا : كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعاً آخر حجراً اي ناحية لله ، فإذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ، ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله أنزل عليه في ذلك : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا الشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان الله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ وقالوا : كنا نتحاكم اليه فيتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الشياطين تكلمكم ؟ وسألوه ﷺ عن فرائض الدين فأخبرهم بها ، وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا ، وأن لا يظلموا أحداً ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفاً ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس .

وفد بني محارب

وفد على رسول الله ﷺ عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد ، وكانوا أغلظ العرب وأشدّهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى ، فجلسوا عنده يوماً من الظهر إلى العصر وأدامﷺ النظر لرجل منهم وقال له : قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم ؟ فقال له ذلك الرجل : إنك والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس : فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : يا رسول الله ، ما كان في أصحابي أشدّ عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني ، فأحمد الله الذي جاء بي حتى صدّقت بك ، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم . فقال رسول الله ﷺ : ان هذه القلوب بيد الله عز وجل . فقال : يا رسول الله ، استغفر لي من مراجعتي إياك . فقال رسول الله ﷺ : إن الإسلام يجُبّ ما قبله من الكفر ، ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن شواد فصارت له غرة بيضاء ، وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم .

وفد صداء

وهم حي من عرب اليمن وفد عليه ﷺ خمسة عشر رجلاً من صداء ، وسبب ذلك أنه ﷺ هيأ بعثاً أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء ، فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم وعلم بالجيش ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، جئتك وافداً عمن ورائي فأردد الجيش وأنا لك بقومي ، فرد رسول الله ﷺ قيس ابن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله ﷺ بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، دعهم ينزلون عليّ ، فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا ، فرجعوا الى قومهم ففشا الإسلام فيهم فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة في حجة الوداع ، ويسمى ذلك الرجل الذي كان سبباً في رد الجيش ومجيء الوفد بزياد بن الحرث الصدائي ، وقال له ﷺ : يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك قال : فقلت بل منّ من الله عز وجل ومنّ رسوله .

وفي رواية : بل الله هداهم للإسلام . فقال رسول الله ﷺ : أفلا أؤمّرك عليهم ؟

فقلت : بلى يا رسول الله ، فكتب لي بذلك . فقلت : يا رسول الله ، مر لي بشيء من صدقاتهم . قال . نعم ، فكتب لي كتاباً آخر . قال زياد : وكنت معه ﷺ في بعض أسفاره وكنت رجلاً قوياً فلزمت غرزه اي ركابه ، وجعل أصحابه يتفرقون عنه . فلما كان السحر قال : أذن يا أخا صداء ، فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال : يا أخا صداء ، هل معك ماء ؟ قلت : معي شيء في أدواتي أي وهي إناء من جلد صغير .

وفي رواية إلا شيء قليل لا يكفيك . قال : هاته ، فجئته به قال : صب ، فصببت ما في الأداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ، ثم وضع كفه على الإناء فرأيت من بين كل أصبعين عيناً تفور . ثم قال : يا أخا صداء ، لولا إني أستحيي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا اي من غير نهاية . ثم توضأ وقال : أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء ـ بفتح الواو ـ فليرد قال : فورد الناس من آخرهم . ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله ﷺ : إن أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال : فأقمت ، ثم تقدم رسول الله ﷺ فصلى بنا ، فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بكل شيء كان بيننا وبينه في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : لا خير في الإمارة لرجل مسلم ، ثم قام رجل آخر فقال : يا رسول الله ، أعطني من الصدقة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل ، جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وإن كنت غنياً عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن . ثم قال له رسول الله ﷺ : دلني على رجل من قومك أستعمله ، فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت : يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها وإن كان الصيف قلّ علينا ، فتفرقنا على المياه والإسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف ، فادع الله عز وجل لنا في بئرنا . فقال رسول الله ﷺ : ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن إليّ وقال : إذا انتهيت اليها فألق فيها حصاة حصاة وسمّ اللهِ قال : ففعلت فما أدركنا لها قعراً حتى الساعة .

وفد غسان

اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة ، وقيل : غسان قبيلة وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا : لا ندري هل يتبعنا قومنا أم

لا ؟ لأنهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز ، وانصرفوا راجعين إلى قومهم . فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا إسلامهم .

وفد سلامان

ـ بفتح السين وتخفيف اللام ـ وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الأزد ، وبطن من طيء ، وبطن من قضاعة ، ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله ﷺ سبعة نفر من سلامان ، فيهم خبيب بنُ عمر والسلاماني فأسلموا . قال خبيب رضي الله عنه : صادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد الى جنازة دعي اليها ، فقلنا : السلام عليك يا رسول الله فقال : وعليكم . من أنتم ؟ قلنا : نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الإسلام ونحن على من وراءنا من قومنا ، فالتفت الى ثوبان غلامه فقال : أنزل هؤلاء ، قال خبيب : قلت يا رسول الله ، ما أفضل الاعمال ؟ قال : الصلاة في وقتها ، وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له جدب بلادهم ، فقال رسول الله ﷺ بيده : اللهم اسقهم الغيث في دارهم . فقلت : يا رسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله ﷺ ، ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قام وقمنا معه ، وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجري علينا ، ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة ، واعتذر الينا بلال رضي الله عنه وقال : ليس عندنا اليوم مال . فقلنا : ما أكثر هذا وأطيبه . ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ .

وفد بني عبس

وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة من بني عبس فقالوا : يا رسول الله ، قدم علينا قرّاؤنا فأخبرونا ، أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواشي هي معاشنا ، فان كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا . فقال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب ؟ فأخبروه بأنه لا عقب له ، كانت له ابنة فانقرضت . وأنشأ رسول الله ﷺ يحدّث اصحابه عن خالد بن سنان وقال : إنه نبي ضيعه قومه لكن ورد ليس بيني وبين عيسى نبي ، ويمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بيني وبينه نبي مرسل فلا ينافي أنّ خالداً نبيي مرسل .

وفد مزينة

وهي قبيلة تنسب الى مدينة امرأة عمر وبن أدّ بن طابخة بن الياس ابن مضر . روى البيهقي عن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل . . وفي رواية : غير النعمان ان فيهم رجالاً من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم : يا رسول الله : سألنا من طعام نتزوّده . فقال : يا عمر زود القوم . قال : ما عندي ما أزوّدهم به الا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعاً . قال : انطلق فزوّدهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية ، قال عمر رضي الله عنه : فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق ، فأخذ القوم منه حاجتهم . قال النعمان : وكنت في آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها ، وفي هذا معجزة له ﷺ : فان التمر كان قليلاً فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته . وفي رواية : وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه اي ننقصه .

وفد الاشعريين

قوم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وهم منسوبون الى أشعر ابن أدد ، وفدوا عليه ﷺ قيل : وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبأ وفيهم إياس ابن عمرو الحميري فقالوا : يا رسول الله ، أتيناك لنتفقه في الدين والمحققون على أن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى سنة سبع عند فتح خيبر ، وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ، ولذا اجتمعوا مع بني تميم . روى يزيد بن هرون عن حميد عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين :

غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه

وروى الإمام أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من في الأرض ،فقال رجل من الأنصار :إلا نحن ، فسكت ﷺ ثم قال : إلا نحن فسكت ، ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ، قال : إلا أنتم . ولما القوا رسول الله ﷺ أسلموا وبايعوا فقال ﷺ : الأشعريون كصرة فيها مسك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : جاء أهل اليمن هم

أرقّ أفئدة وألين قلوباً الايمان يمان والحكمة يمنية ، والسكينة في اهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدّادين - بالتشديد - جمع فدّاد وهو من يعلوا صوته ، وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطلع الشمس ، وقوله : الايمان يمان أي منسوب لأهل اليمن لأن صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدّي إلى عرفان الحق والتصديق به ، وهو الإيمان والانقياد . وقال أبو عبيدة وغير معناه : إن مبدأ الايمان من مكة ، لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن ، وقبل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبي ﷺ وسلم وهو بتبوك ، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذي هو فيه يمانية ، وقيل المراد الأنصار لأنهم يمنيون في الأصل ، فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره ، وقيل غير ذلك . ومعنى الحديث وصف الذين جاؤوا بقوّة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على أن المخاطبين من الصحابة وليسوا كذلك . ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن في كل زمان . والحديث يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد في جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان ، بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والأبدان .

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ان نفراً من بني تميم جاؤوا الى رسول الله ﷺ فقال : ابشروا يا بني تميم ، فقالوا : بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله ﷺ وجاء نفر من اهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر : فقال كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وروى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا رسول الله ﷺ بالمدينة اذ قال : الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ، الايمان يمان والحكمة يمانية .

وروى الطبراني ان النبي ﷺ قال لعيينة بن حصن : اي الرجال خير ؟ قال : اهل نجد ، قال : كذبت ، بل هم اهل اليمن الايمان يمان ، الحديث والله سبحانه وتعالى اعلم .

وفد دوس

وهم قوم أبي هريرة رضي الله عنه ، ينتهي نسبهم الى الأزد ، وكان قدومهم بخيبر سنة سبع ، قال ابن إسحق ، كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يحدث انه قدم

مكة ورسول الله ﷺ بها قبل الهجرة ، فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً كثيرا لضيانة فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا ، وإنما قوله ، كالسحر يفرق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا من الكلام ، فلا تكلمه ولا تسمع منه . قال فوالله ما زالوا بي حتى عزمت أن لا اسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت اليه كرسفاً أي قطفاً فرقاً من أن يبلغني شيء ، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً فقلت : واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان ما يقول حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت . قال : فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوّفوني امرك حتى سددت أذني بكرسف لأجل ان لا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسناً فردّ الله كيدهم في نحورهم ، وقلب مكرهم عليهم فأعرض علي أمرك ، فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن قال : فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا امرءاً أعدل منه ؛ فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا رسول الله ، إني امرؤ ومطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية . فقال : اللهم اجعل له آية .

وفي رواية : اللهم اجعل له نوراً . قال الطفيل : فخرجت الى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : اللهم في غير وجهي اني أخشى أن يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة ؛ فكان الطفيل يسمى ذاك النور ، فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال : فلما أصبحت فيهم جاءني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت : اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك . قال : ولِمَ يا بنيّ ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . قال : يا بني ، فديني دينك . قال : فقلت : فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال أعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ، ثم اتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت لها : اليك عني فلست مني ولست منك . قالت : ولم ؟ قلت : فرق الإسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت محمداً . قالت :

فديني دينك ، ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليه الإسلام ، فأسلمت ثم دعا دوساً إلى الإسلام فأجابه ابو هريرة رضي الله عنه وأبطأ الباقون . قال : فجئت رسول الله ﷺ بمكة وقلت : يا رسول الله ، قد غلبني علي دوس الزنا أي حبهم له وعلمهم بأنهم ان أسلموا منعوا منه فادع الله عليهم ، فقال ﷺ : اللهم اهد دوساً وائت بهم . ثم قال : ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم ، فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الله ، حتى هاجر النبي ﷺ الى المدينة ، ثم قدمت على النبي ﷺ وهو بخيبر ، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً وكانوا في العدد أربعمائة ، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر ، فلما رآهم النبي ﷺ قال : مرحباً بأحسن الناس وجوهاً وأطيبهم افواها أي كلاماً وأعظمهم امانة .

وروى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري ، فقرأ في الركعة الأولى بسورة مريم وفي الأخيرة بويل للمطففين ، فلما قرأ إذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت : تركت عمي له مكيالان إذا اكتال اكتال بالأوفى ، وإذا كال كال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله ﷺ بخيبر وهو قادم عليكم فقلت : لا أسمع به في مكان أبداً الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة ، فأقمنا حتى فتح الله علينا فأسهم لنا مع المسلمين .

ويروى ان الطفيل بن عمرو رضي الله عنه قال : لم أزل مع النبي ﷺ حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت : يا رسول الله ، ابعثني الى صنم عمرو بن حممة يعني صنم دوس حتى أحرقه ، فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول :

يا ذا الكفين ليست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى ﷺ حتى قبض ، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردّة من اهل اليمامة وغيرهم ، وكان وهو متوجه إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لأصحابه : إني رأيت رؤيا فاعبروها لي إني رأيت أن رأسي قد حلق وأنه خرج من فمي طائر ، ولقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها وان ابن يطلبني طلباً حثيثاً ثم رأيته حبس عني قالوا خيراً . قال : أما والله فقد أوليتها . قالوا : بماذا ؟ قال : ما

حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجهد ان يصيبه ما أصابني ، فاستشهد الطفيل باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفي منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضي الله عنهم . وقال بعض أهل المغازي : ان الطفيل استشهد باليرموك ، وجزم بهذا ابن حبان ، وقال موسى بن عقبة : انه استشهد بأجنادين ، وأخرج البغوي عن الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه قال : أقرأني أبيّ بن كعب القرآن فأهديت له فرساً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه

روى البيهقي عن جامع بن شداد المحاربي قال : حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربي قال : إني لقائم بسوق ذي المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب ، إذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إلّه إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة ، وقد أدمى كعبيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا : غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله . قلت : من هذا الذي يفعل به هذا الأذى ؟ قالوا : عمه عبد العزى أبو لهب . قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهي موضع معروف ، به قبر أبي ذر رضي الله عنه نريد بالمدينة نختار من ثمرها ، فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا : لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال : من أين أقبل القوم ؟ قلنا : من الربذة . قال : وأين تريدون ؟ قلنا . نريد المدينة . قال : ما حاجتكم فيها ؟ نمتار من تمرها . قال طارق بن عبد الله : ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم . فقال : أتبيعوني جملكم هذا ؟ قلنا : نعم ، بكذا ، وكذا صاعاً من تمر ، فأخذ بخطام الجمل فانطلق به ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمناً فعرضناه للضياع . قال طارق : فقالت المرأة التي معنا : والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر أناضا منه لثمن جملكم وفي رواية : قالت الظعينة : فلا تلاوموا أي لا يلم بعضكم بعضاً ، لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم هذا تمركم الذي بعتم به جملكم ، فكلوا واشبعوا وأكتالوا واستوفوا اي فلا تسامحوا في الكيل في مقابلة أكلكم . قال : فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة ، فلما دخلنا

المسجد إذ هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول : تصدقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول ، أمك فأباك ، وأختك وأدناك فأدناك فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ،هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلاناً في الجاهلية فخذلنا بثأرنا ، فرفع ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطه فقال : لا تجني أم على ولد مرتين ، ،وأسلم القوم على يديه ﷺ ثم رجعوا الى أهلهم ، والله أعلم .

وفد بهراء

ـ بالمد ـ قبيلة من قضاعة ، روي الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت : سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول : • قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ، فأقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن في منازل الأنصار ، خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس ، وهو تمر يعجن بسمن وأقط فأكلوا منها حتى نهلوا ، وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة ، فأرسل بها إلى رسول الله ﷺ مع سدرة مولاة ضباعة وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها فأصاب منها وهو ومن معه فق البيت حتى نهلوا ، ثم قال : اذهبي بما بقي الى ضيفكم ، فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أي مدة إقامتهم يرددون ذلك وما تنقص ، فجعلوا يقولون للمقداد : يا أباد معبد إنك لتنهلنا من أجب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين ، فأخبرهم أبو معبد بر رسول الله ﷺ ، وأنه أكل منها وردّها فان هذه بركة أصابعه، عليه الصلاة والسلام ، فجعل القوم يقولون : نشهد أنه رسول الله وازداد يقيناً وذلك الذي أراد ﷺ فأظهروا الإسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياماً ، ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهليهم باليمن .

وفد غامد

قبيلة من الأزد باليمن ، قدم عليه ﷺ سنة عشر ، عشرة من غامد فنزلوا في بقيع الغرقد وفيه يومئذ اثل وطرفا ، ثم انطلقوا الى النبي ﷺ وخلفوا أصغرهم في رحالهم ، فأقروا بالإسلام وسلموا على النبي ﷺ وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام ، وقال لهم النبي ﷺ : من خلفتم في رحالكم ؟ قالوا :أحدثنا سناً قال : فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم ، فقال أحدهم : ما لأحد عيبة غيري . فقال رسول الله ﷺ ،

قد أخذت وردّت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رسلهم فسألوا الذي خلفوه فقال : فزعت من نومي ففقدت العيبة فقمت في طلبها ، فإذا رجل كان قاعداً فنار يعدو مني فانتهيت الى حيث ينتهي فإذا أثر حفر وإذا هو قد غيب الغيبة فاستخرجتها فقالوا : نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا وأنها قد ردّت فرجعوا وأخبروهﷺ ، وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم وأمر النبيﷺ أبي بن كعب أن يعلمهم قرآناً ثم أجازهُم كما يجيزوا الوفود ، انصرفوا الى بلادهم .

وفد الأزد

قدم عليهﷺ قوم من الأزد ينسبون الى جدهم الأعلى وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبابن يشجب بن يعرب بن قحطان . روى أبو نعيم عن سويد بن الحرث الأزدي رضي الله عنه قال : وفدت سابع سبعة من قومي على رسول اللهﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ أي ما صفتكم ، قلنا : مؤمنون . فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال : ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم ؟ وايمانكم ؟ قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلاّ أن تكره شيئاً منها فنتركه فقالﷺ : ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نقول لا إلَه إلا الله أي مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا اليه سبيلاً . قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمرّ القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء . فقالﷺ : حكماء علماء أي هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم غداً عنه زائلون ، واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون ، فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقاً من الله تعالى ببركتهﷺ .

وفد بني المنفق

وهي قبيلة من عامر بن صعصعة ، قدم عليه ﷺ جماعة من بني المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق . قال : فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أي الصبح ، فقام في الناس خطيباً فلما فرغ قلت : يا رسول الله ، علام ، نبايعك ، فبسط ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن لا تشركوا بالله شيئاً . قال قلت : يا رسول الله ، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب فقال : تحل منها حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك فلما انصرفنا عنه قال : انهم من أتقى الناس لله في الدنيا والآخرة ، فقال له بعض أصحابه : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق ، قالها ثلاثاً .

وفد النخع

ـ بفتح النون والخاء المعجمة ـ قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود ، وكان وفودهم سنة إحدى عشرة في النصف من المحرم ، وفد على رسول الله ﷺ مائتا رجل من النخع مقرّين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه . فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو : يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجباً . وفي رواية : رأيت رؤيا هالتني . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت أتانا نركبها في الحي ولدت جدياً أي وهو ولد المعز أسفع أحوى ، والأسفع الذي سواده مشرب بحمرة ، والأحوى الذي ليس شديد السواد فقال رسول الله ﷺ : هل تركت لك أمة مصرة على حمل ؟ قال : نعم : قال فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك . فقال : يا رسول الله ، فما له أسفع احوى قال : ادن مني فدنا منه فقال : هل بك برص تكتمه ؟ قال : فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك . قال : هو ذاك . قال : يا رسول الله ، ورأيت النعمان ابن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان ، والقرط ما يكون في شحمة الأذن ودملجان ـ بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ـ ومسكان ـ بفتح الميم والسين المهملة ـ قال : ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته . قال : يا رسول الله ، ورأيت عجوزاً شمطاء أي يخالط شعر رأسها الأبيض شعر أسود خرجت من الأرض قال : تلك بقية الدنيا . قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين إبن لي يقال له عمرو ، وهي تقول : لظى لظى بصير وأعمى أطعموني آكلكم وأهلكم ومالكم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون في آخر الزمان . قال : يا رسول الله ، وما الفتنة ؟ قال : يقتل الناس إمامهم

ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أي يشتبكون في الفتنة إشتباك أطباق الرأس . وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل .

وفي رواية : أحلى من شرب الماء ، وإن مات ابنك أدركت الفتنة ، وان مت أنت أدركها ابنك . قال : يا رسول الله ، ادع الله أني لا أدركها . فقال رسول الله ﷺ : اللهم لا تدركها إياه ، فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به ﷺ ، فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه .

وفي رواية : أن النخع بعثوا رجلين ارطاة بن شرحبي من بني حارثة والأرقم من بني بكر الى رسول الله ﷺ باسلامهم ، فلما قدما على رسول الله ﷺ وعرض عليهما الإسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما ، وأعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما . وقال لهما : خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما . قالا : يا رسول الله ، قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم افضل منا وكلهم يقطع الأمر وينفذ من الأشياء ما يشاء ، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير . وقال : اللهم بارك في النخع وعقد لا رطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ ، لكن قوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم إن وفد النخع كان قدومه في المحرّم سنة إحدى عشرة إلا أن يقال : ان هذين وفد أقبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم .

بَابُ بيان كتبه ﷺ

التي أرسلها الى ا الملوك يدعوهم فيها الى الإسلام أي في الغالب وإلا فمنها ما ليس كذلك ، ولما أرادﷺ أن يكتب للملوك قيل له : يا رسول الله ، انهم لا يقرأون كتاباً إلا إذا كان مختوماً أي ليكون في ذلك إشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم ، وفيه أن هذا واضح إذا كان الختم عليها بعد طيها ، ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك . والظاهر أن ذلك لم يكن ، وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم . فاتخذﷺ خاتماً من فضة أي بعد أن اتخذ خاتماً من ذهب ، فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ، ولما لبس رسول اللهﷺ ذلك لبس أصحابه خواتيهم ، فأخبره جبريل عليه السلام من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك ، فطرح رسول الله ﷺ ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم ، وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق ، محمد آخر الاسطر ، ورسول في الوسطوالله فوق ، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يدهﷺ ، ثم في يد أبي بكر في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم ، حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي عثمان رضي الله عنه ، فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه . واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يدهﷺ فقيل : في خنصر اليسار ، وهو المروي عن عامة الصحابة ، وقيل : في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ، وجمع البغوي بأن النبيﷺ فعل كلاً من الأمرين تختم في يمينه وفي يساره ، لكن قال : التختم في اليسار كان آخر الامرين .

وروى أشعب الطائع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، بأن رسول اللهﷺ

كان يتختم في اليمين . قال الإمام النووي والتختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح ، نقله عن النبي ﷺ لكنه في اليمين أفضل ، لأنه زينة واليمين به أولى ، ونقل ابن أبي حاتم على أبي زرعة : انه ﷺ كان في يمينه أكثر منه في يساره ، وكان يجعل فصه مما يلي كفه ، وعند عزمه ﷺ على إرسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك ، خرج على أصحابه يوماً فقال : أيها الناس ، إن الله بعثني رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا عليّ كما اختلفت الحواريون على عيسى ابن مريم . فقال أصحابه : وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يا رسول الله ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً رضي وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً كره وأبى ، فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم .

ذكر كتابه ﷺ الى قيصر

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير ، لأنه بقر أي شق عنه لأن أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر ، وكان يفتخر بذلك ويقول : لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسماً لكل من ملك الروم ، وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية ، وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع ، وكان إرساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه ، وأمره ﷺ أن يدفع الكتاب الى قيصر ، وكان ﷺ قال قبل ذلك : من ينطلق بكتابي هذا فيصير الى هرقل وله الجنة ؟ فقال دحية : أنا يا رسول الله ، فأعطاه ذلك الكتاب ، وقيل انه ﷺ أمر دحية رضي الله عنه أن يدفعه الى عظيم بصرى ، وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ، فلما انتهى دحية الى الحرث أرسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر ، فذهب به اليه فقال قومه لدحية : إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبداً حتى يأذن لك . قال دحية رضي الله عنه : لا أفعل هذا أبداً ، ولا أسجد لغير الله تعالى . قالوا : إذاً لا يؤخذ كتابك . فقال له رجل منهم : أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له ، فقال دحية : وما هو ؟ فقال : إن له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحداً لا يحركها حتى يأخذها هو ، ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال : انظر لنا من قومه أحداً نسأله عنه ؟ وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام قبل إسلامه أي كان بغزة

مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية ، وكان أول الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل : ان النبيﷺ كتب لقيصر من تبوك في السنة التاسعة ، وجمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين . قال أبو سفيان : فأتانا رسول قيصر وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس ، فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه : أيهم أقرب نسباً لهذا الذي يزعم انه نبي .

وفي رواية : لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم انه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً أي لأنه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيره ، وعبد مناف هو الأب الرابع لهﷺ وكذا لأبي سفيان . زاد في رواية : ما قرابتك منه ؟ قلت : هو ابن عمي . فقال لترجمانه : ادنه مني ، ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه أني قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ، وإنما جعلتكم خلف كتفيه لتردّوا عليه الكذب إن قاله اي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب إذا كذب . قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثروا علي كذباً لكذبت ، ولكني استحييت فصدقت وانا كاره . وفي رواية : لولا مخافة أن ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه ، وبه يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية وإسلاماً ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب قال : قل له هل قال هذا القول احد منكم قبله ؟ قلت : لا . قال : قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . وفي رواية : هل كان حلافاً كذاباً مخادعاً ؟ قلت : لا . قال هل كان من آبائه ملك ؟ قلت : لا . زاد في رواية : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب عليه عقلاً ولا رأياً قط . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت ، بل ضعفاؤهم ، والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال ، فانهم من ذوي الأنساب الكريمة ، لكنهم ليسوا من أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار .

وفي رواية عند ابن اسحق : تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث ، وأبى ذوو الأنساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر والأغلب أي الأكثر ، والأغلب أن اتباعه الضعفاء . قال : فهل يزيدون او ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون .

قال : فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه اي كراهية له وعدم رضا به بعد أن دخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر إذا عاهد ؟ قلت : لا .ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف حربكم وحربه ؟ قلت : دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر ، وقد تقدّم في غزوة أحد أن أبا سفيان قال في يوم أحد : يوم احد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب .

وفي لفظ : قال ابو سفيان لقيصر : علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والأنوف والفروج ، وأشار بذلك ليوم أحد . قال : فما يأمركم به ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف ، اي ترك المحارم وخوارم المروءة والوفاء بالعهد ، وإداء الأمانة . فقال لترجمانه : قل له إني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله ، فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك هل كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت : ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أي لأن الغالب ان اتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار ، وسألتك هل يزيدون او ينقصون ؟ فزعمت انهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك هل يرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي إذا حصل به انشراح الصدر ، وسألتك هل قاتلتموه ؟ فقلت : نعم . وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك ماذا يأمركم به ؟ فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وإداء الأمانة . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت ان لا ، وكذلك الرسل لا تغدر لأنها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه إلا بالغدر فعلمت انه نبي . وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وإن كان ما حدثتني به حقاً فيوشك اي يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين وهذه الأشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته ﷺ ، ثم قال قيصر ، ولو أعلم أني أخلص اليه أي أصل لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقبه . وفي رواية : لا

أستطيع أن أفل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم .

قال الإمام النووي : ولا عذر له في هذا لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ وإنما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الإسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة . قال الحافظ ابن حجر : لو تقطن هرقل لقوله ﷺ في الكتابة أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة ، وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله . ثم قال هرقل : ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه اي مبالغة في خدمته ، والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصباً . قال أبو سفيان : ثم دعا قيصر بكتاب النبي ﷺ فقرىء فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ . وفي لفظ : عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فأني أدعوك بدعاية الإسلام أي بالكلمة الداعية للإسلام وهي كلمة التوحيد ، أي أدعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام ، فان توليت فإنما عليك اثم الاريسيين اي الفلاحين في القرى .

وفي رواية : ثم الأكارين ، والأكار هو الفلاح ، والمراد إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . وخص هؤلاء بالذكر لأنهم أسرع انقياداً من غيرهم ، لأن الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين ، والمراد عليك مع إثمك إثم رعاياك لأنه إذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا ، فهو متسبب في عدم إسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴿ ولا يتخد بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ قال ابو سفيان : فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا تفهم فلا أدري ما قالوا ، وأمر بنا فأخرجنا ، فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الأصفر يخافه ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام أي فأظهرت ذلك اليقين .

وفي رواية : ما زلت مرعوباً من محمد حتى أسلمت ، وقوله بن أبي كبشة قيل انه جدّ لآمنة بنت وهب ام النبي ﷺ كان يكنى ابا كبشة .

وجاء في رواية : ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله : هل تتهمونه بالكذب ؟ فقال : لا ، ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبراً تعرف به انه قد كذب ، قال : وما هو ؟ قال :

يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح ، فقال بطريق اي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر : صدق ايها الملك اي في أنه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال : وما أعلمك بهذا ، قال : إني كنت لا أنام ليلة ابداً حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني ، فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه كأنما نزاول جبلاً فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا : لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح ، فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر : فقال قيصر لقومه : يا قوم ، الستم تلمون ان بين يدي الساعة نبياً بشركم به عيسى ابن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم ؟ قالوا : بلى قال : فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ، ثم أمر بانزال دحية واكرامه .

وجاء في رواية ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه : ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم الق به يعني الكتاب فقال له : والله ، انك لضعيف الرأي أترى ارمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر هو احق ان يبدأ بنفسه، ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ، إن اخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ : من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان يقطعه فقال قيصر : ما شأنك ؟ فقال : تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم ، وماذا كرملك الروم ؟ فقال له قيصر : انك أحمق صغير او مجنون كبيراً تريد ان امزق كتاباً قبل ان انظر ما فيه ؟ ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق أن يبدأ بها مني ، ولئن سماني صاحب الروم فلقد صدق ما انا الا صاحبهم ولا أملكهم ولكن الله سخرهم لي ، ولو شاء لسلطهم عليّ كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ، ولما جاءﷺ الخبر عن قيصر قال : ثبت ملكه وفي رواية : سيكون لهم بقية ، وقد صدق الله ورسولهﷺ .

فقد ذكر الحافظ ابن حجزان الملك المنصور قلاوون ارسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له : لا تحفنك بتحفة سنية ثم اخرج صندوقاً مصفحاً بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب

فأخرج منها كتاباً قد زالت اكثر حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير فقال : هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن ، وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما زال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه ﷺ : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لأن المراد اذا ازال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه احد ، وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم .

يروى أن قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذران يأتي بيت المقدس ماشياً شكرالله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشياً بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس ، فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر منادياً ينادي الا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل اليهم ، اني اردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه ، والذي في البخارى : ان قيصر لما سار الى حمص ، اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ؟ وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ، فوجدوهما قد اغلقت وقالوا له : اتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيداً لأعرابي ؟ فلما رأى نفرتهم وايس من ايمانهم قال : ردوهم عليّ وقال : اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه ، وعند ذلك كتب كتاباً وأرسله مع دحية الى رسول الله ﷺ يقول فيه : اني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ ﷺ الكتاب قال : كذب عدوا الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين .

وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كتب اليه أيضاً من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى كسرى ملك فارس

كتب اليه ﷺ كتاباً وبعث به مع عبدالله بن حذافة السهمى رضي الله عنه ، لأنه كان يتردد على كسرى كثيراً وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، ادعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس أي الذين هم اتباعك .

قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرىء عليه فأخذه فمزقه .

وفي رواية : ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله ﷺ أذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال : لا حتى أدفعه اليه كما أمرني رسول الله ﷺ فقال كسرى : ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه ، فقرأه فاذا فيه : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح ، ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده ، فلما وصل اليه ﷺ وأخبره الخبر قال ﷺ : مزق ملك كسرى .

وفي رواية : مزق الله ملكه وفي رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى اميرله باليمن يقال له باذان انه بلغني ان رجلاً من قريش خرج بمكه يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فإن تاب والا فابعث اليّ برأسه يكتب الى بهذا الكتاب اي الذي بدا فيه بنفسه وهو عبدي : وفي رواية قال له ان لم تكفني رجلاً خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتيا به ، فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي ﷺ مع قهرمانه وبعث معه رجلاً آخر من الفرس وبعث بهما الى رسول الله ﷺ وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى بعث الى الملك باذان ان يبعث اليك من يأتي بك ؛ وقد بعثنا اليك فان أبيت اهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكان على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره ﷺ النظر اليهم ثم قال لهما ، ويلكما من امركما بهذا . قال : أمرنا ربنا يعنيان كسرى ، فقال ﷺ : ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ، ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا اي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من

جمادي الأولى سنة سبع ، فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله ﷺ الى باذان ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا ، فلما أتـي باذان الكتاب توقف ، قال : ان كان نبياً فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ على يده ولده شيرويه قيل : قتله ليلاً بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت .

وفي رواية : انه ﷺ قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ، ثم جاء الخبر بان كسرى قتل تلك الليلة فكان كما اخبر ﷺ ، فلما جاء ﷺ هلاك كسرى قال : لعن الله كسرى أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب ، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه ﷺ قال : لتقتحن عصابة من المسلمين او من المؤمنين او رهط من امتى كنوز كسرى التي في القصر الأبيض ، فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك الف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه اما بعد فقد ، قتلت كسرى ولم اقتله الا غضباً لفارس فانه قتل اشرافهم فتفرق الناس ،فاذاجاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك امري فيه ، فبعث باذان باسلامه واسلام من معـه الى رسـول الله ﷺ ثم ملك الله المسلمـين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقاً لدعوته ﷺ ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ للنجاشي ملك الحبشة

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي، سنة ست وبعث معه كتاباً فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجـاشي ملك الحبشة ، سلم انت اي انت سالم لأن السلم يأتي بمعنى السلامة ، فانى احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول اي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم او المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالـذي جاءني ، فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت

فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم ، وفي رواية انه ﷺ ارسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام وفي الاخر يأمره ان يزّوجه ام حبيبة فاخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله الا هو الذي هداني للاسلام ، اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى ، فورب السماء والأرض ان عيسى لا يزيد على ماذكرت وقد عرفنا ما بعث به الينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ، فأشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك اي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يده لله رب العالمين .

وفي رواية : وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت اتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم إنه أرسل ابنه في ستين نفسا في اثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده ، فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين ، وعند وصول كتابه قال النبي ﷺ : اتركوا الحبشة ما تركوكم .

وفي رواية ان عمر وبن امية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب : يا أصحمة ان عليّ القول وعليك الاستماع كأنك منا اي في الرقة علينا ، وكأنا منك اي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيراً قط الا نلناه ، ولم نخفك على شر قط الا امناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الجد وأصابة الفصل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد فرّق النبي ﷺ رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه الخير سالف وأجر ينتظر ، فقال النجاشي : اشهد بالله انه للنبي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأنه ليس الخبر كالعيان ولكن اعواني من الحبشة قليل فأنظرني

حتى اكثر الأعوان وألين القلوب .

وفي رواية : ولو استطيع ان آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبي ﷺ وأصحابه ، فهذا النجاشي هو الذي أسلم وأكرم اصحاب النبي ﷺ ، وأما النجاشي الذي ولي الامر بعده فكان كافراً لم يعرف اسلامه ولا اسمه .

وجاء في بعض الروايات : انه ﷺ كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام ، فقد روى البيهقي عن ابن اسحق قال : هذا كتاب من النبي ﷺ الى النجاشي عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فاني رسوله فاسلم تسلم ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك .

قال في المواهب : وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما اي بين النجاشيين فظنهما واحدا وفي صحيح مسلم ما يدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ للمقوقس

ومعناه المطوّل البناء ، وهو لقب لكل من ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل بعث ﷺ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنه الى المقوقس ، وذلك انه ﷺ عند منصرفه من الحديبية قال : ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله ، فوثب اليه حاطب وقال : انا يا رسول الله ، قال : بارك الله فيك يا حاطب . قال حاطب : فأخذت الكتاب وودّعته ﷺ وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت اهلي وسرت .

وفي رواية انه ارسل مع حاطب جبراً مولى ابي رهم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله . وفي رواية : عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم

تسلم ، وأسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فإنما عليك اثم القبطاي الذين هم رعاياك ﴿ ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ ثم ان حاطباً رضي الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد ان ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر انه في مجلس مشرف على البحر ، فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه ، فلما رآه امر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب : ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها ؟ فقال له حاطب : ألست تشهد ان عيسى ابن مريم رسول الله ؟ فما له حيث اذاه قومه وأرادوا ان يصلبوه ان لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه ؟ قال : أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب : انه كان قبلك رجل يزعم انه الربّ الا على يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ، ان هذا النبيﷺ دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمدﷺ ، وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوماً فهم أمته فالحق عليهم ان يطيعوه ، فانت ممن أدرك ذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به فقال : اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه اي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة ، وينهى عما ترغب عنه ، ولم أجده بالساحر الضارّ ولا بالكاهن الكذاب ، ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء اي يُـ ء الغائب والاخبار بالنجوى اي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبيّﷺ وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب الى النبيﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقي وقد كنت أظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك اي فانه دفع له مائة دينار وخمسة اثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين ويثياب وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر .

وفي رواية : وارسل له عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ، ومع قدح من قوارير فكانﷺ يشرب فيه ، ثم قال : وأهديت لك بغلة لتركبها

والسلام عليك ، ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفي رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية اخرى اسمها قيس وهي اخت مارية .

وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وان النبيﷺ اهدى واحدة من تلك الجواري لأبي جهم بن حذيفة العدوي وهي ام ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر ، وأهدىﷺ اخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي ام عبد الرحمن بن حسان .

وفي رواية : ان المقوقس أهدى للنبيﷺ مع الجواري غلاماً اسود خصباً يقال له مأبور . وفي رواية : انه اهدى مع البغلة حماراً اشهب يقال له يعفور ، وأما البغلة فتسمى الدلال وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها ، وأهدى له أيضاً فرساً وهو اللزاز . ففي رواية ان المقوقس قال لحاطب ، ما الذي يحب صاحبك من الخيل ؟ فقال له حاطب : الأشقر . وقد تركت عنده فرساً يقال له المرتجز ، فانتخب له فرساً يقال له المرتجز ، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة فاسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلاً من عسل بنها ـ بكسر الموحدة ـ قرية من قرى مصر فأعجب بهﷺ ودعا بعدّ الكلام عن بعض في عسل بنها بالبركة ، ولما أكل منه قال : ان كان عسلكم اشرف فهذا أحلى ، وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا .

وفي رواية انه ارسل مع العدية طبيباً . فقال له النبيﷺ : ارجع الى اهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع ، ثم ان المقوقس قال لحاطب : ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً قال حاطب : فرحلت من عنده وبعث معي جيشاً يحرسني الى ان دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فردا الجيش وارتفقت بالقافلة وفي بعض كتب السير : ان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل إسلام المغيرة ، فلما دخلوا على المقوقس قال : ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد ؟ قالوا : ما تبعه منا رجل واحد : قال : كيف صنع قومه ؟ قالوا : اتبعه احداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال : فالى ماذا يدعو؟ قالوا : الى ان نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر ، فقال المقوقس : هذا نبي

مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى ، وهذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه احد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر ، فقالت ثقيف ، لو دخل الناس كلهم مع ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال : انتم في اللعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لأبي سفيان ثم قال لهم : ما فعلت يهود بيثرب ؟ قلنا : خالفوه ، فأوقع بهم فقال : هم حسد ، أما انهم يعرفون من امر مثل ما نعرف .

وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق ابان بن صالح قال : ارسل المقوقس الى حاطب اي حين جاءه بكتاب النبي ﷺ فقال : أسألك عن ثلاث فقال : لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال : الام يدعو محمد ؟ قلت : الى ان يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن اكل الميتة والدم الى ان قال : صفه لي : فوصفته فأوجزت قال : بقيت أشياء لم تذكرها أفيعينيه حمرة ؟ قلت : ما نفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم ؟ قلت : هذه صفته : قال : قد كنت اعلم ان نبياً قد بقي وكنت اظن ان مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه ، وأنا اضن بملكي ان افارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما ههنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً ولا أحب ان تعلم بمحاورتي اياك احداً قال حاطب رضي الله عنه : فذكرت قوله لرسول الله ﷺ فقال : ضن الخبيث بملكه ولا بقاء الملكة ، فكان كما قال : ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمز على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى المنذر بن ساوى التميمي

وكان بالبحرين بعث ﷺ اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام .

قال في شرح المواهب : ولم نر أحداً ذكر لفظ ذلك الكتاب ، فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله : اما بعد يا رسول الله ، فإني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي

يهود ومجوس اي باقين على كفرهم ، فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى المنذر بن سلوى سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله اما بعد ، فاني اذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وأن رسلي قد اثنوا عليك خيرا اي من قبولك للحق وانقيادك للايمان ، واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه اي من مال وزوجات اربع يحل نكاحهن وعفوت عن اهل الذنوب اي المتقدمة منهم في الكفر ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه ان اقرض على كل رجل ليس له أرض اربعة دراهم وعباءة .

وفي رواية كتب اليه ان أعرض عليهم الاسلام فإن أبوا اخذت منهم الجزية على ان لاتنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم .

وذكر السهيلي في الروض : انّ العلاء لما قدم على المنذر قال له : يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم اهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ان لا نصدقه ولمن لا يخون ان لا تأمنه ولمن لا يخلف ان لا تثق به ، فان كان هكذا فهذا هو النبيّ الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول : ليته ما أمر به نهى عنه او ما نهي عنه امر به اوليته ، زاد في عفوه او نقص من عقابه ، اذ كل ذلك منه على امية اهل العقل وفكر اهل النظر فقال المنذر ، قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ، والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت امس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه وأن من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر اي سأنظر فيما اصنع من الذهاب اليه او مكاتبته .

وروى الطبراني وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدي عن أبيه قال : وفد المنذر بن سلوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبي ﷺ ووضع المنذر سلاحه ولبس ثياباً كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبي الله ﷺ

وأنا مع الجمال انظر الى نبي الله ﷺ قال المنذر : قال لي النبي ﷺ : رأيت منك ما لم أر من أصحابك فقلت : اشيء جبلت عليه واحدثته ؟ قال : لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى .
قال بعض اهل السير : ان ذلك اشتباه وانّ هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن سلوى لم تعرف له وفادة وذكر ابو جعفر الطبري انّ المنذر بن سلوى مات بالقرب من وفاته ﷺ وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو : كم جعل ﷺ للميت من ماله عند الموت ؟ فقال : الثلث قال : فما ترى أن أصنع في ثلث مالي ؟ قال : ان شئت قسمته في سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت قال : ما أحب ان جعل شيئاً من مالي كالسائبة ولكني أقسمه والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ إلى ملكي عمان

ـ بضم العين المهملة وتخفيف الميم ـ بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبأ وأمّا عمان بفتح العين وشدّ الميم ـ فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ رجلاً الى قوم فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك .

وروى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إني لأعلم أرضاً يقال لها : عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا بحجر ، وكان بعث كتابه ﷺ إلى ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضي الله عنه وكتب له فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر ـ على وزن جعفر ـ وعبدا بني الجلندي سلام على من إتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما وتظهر نبوّتي على ملككما وكتب الكتاب أبي بن كعب وختمه ﷺ قال عمرو : فخرجت حتى إنتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك بهذا الكتاب أي وبالدعاء إلى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخي جيفر هو المقدّم عليّ بالسنّ والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال : وما تدعوا إليه ؟ قلت : أدعوك إلى

عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمداً عبده ورسوله قال : يا عمرو إنك كنت ابن سيدقومك فكيف صنع أبوك ؟ فإن لنا فيه قدوة قلت : لم يؤمن بمحمدﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام فسألني اين كان إسلامك قلت : عند النجاشي .

وأخبرته أنّ النجاشي قد أسلم . قال : كيف صنع قومه بملكه قلت : أقروه وإتبعوه قال : والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت : نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال: أنظر يا عمرو ما تقول فإنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب قلت : وما كذبت وما نستحله في ديننا ؟ ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلامه أي النجاشي قلت : بلى . قال : بأيّ شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمدﷺ قال : لا والله ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله فقال : أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ؟ فقال هرقل : رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به ؟والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال : أنظر ما تقول يا عمرو؟ قلت : والله صدقتك قال : عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهي عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجلّ وينهي عن معصيته ويأمر بالبرّ وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدّق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً أي طرفاً وتابعاً ، بعد أن كان رأساً ومتبوعاً قلت : إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردّها على فقرائهم قال : إنّ هذا الخلق حسن أي لما فيه من مواساة الفقراء قال : وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال ، حتى انتهيت الى الإبل فقال : يا عمرو ، ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه قلت : نعم . قال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا . قال : فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري .

ثم إنه دعاني يوما لأدخل معه على أخيه فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال : دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجم ، في أنّ رسول الله شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك ، فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك فدفعت إليه

الكتاب مختوماً ففض ختمه فقرأه حتى إنتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أني رأيت أخاه أرق منه فقال : جيفر ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه أمّا راغب في الدين وأمّا مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام وإختاروه على غيره وعرفو بعقولهم مع هدى الله إنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحد أبقى غيرك في هذه الحرجة ، وهي الشجر الملتف والمراد التجوز وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أي جماعتك ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الإسلام ، ولا تدخل عليك الخيل والرجال وفي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال .

وفي هذا دليل على قوّة نفس عمرو رضي الله عنه ، وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب ،وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة أعوانه ، مع أنه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ، ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته ﷺ فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال : دعني يومي هذا وإرجع إليّ غداً قال عمرو : فرجعت إلى أخيه فقال : يا عمرو إني أرجوا أن يسلم أخي إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله ههنا أي لبعد الدار وإن بلغت خيله ههنا وجدت قتالاً ليس كقتال من لاقى .

قال عمرو : قلت : وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلابه أخوه فقال له : ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل إليه أجابه : فأصبح فأرسل إليّ فأجاب للإسلام : وهو وأخوه جميعاً وصدقا النبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا عوناً على من خالفني . وأسلم معهما خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم . قال بعضهم : ثم إن عمراً لم يزل بعمان حتى توفي النبي ﷺ .

قال ابن سعد ولعل إقامته كانت بأمر النبي ﷺ حين بعثه أو بإشارة فهم منها ذلك أو بإجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى هوذة بن علي الحنفي

صاحب اليمامة وهي بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من

مكة ، كتب ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي الحنفي ، وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه ، وكان ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد بدراً وغيرها وإستشهد باليمامة في قتال أهل الردة . وفي الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة ابن علي سلام على من اتبع الهدى وإعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم وإجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوماً أنزله وحباه ، وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف .

قال السهيلي : وقال له : سليط يا هوذة إنك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار وإنما السيد من متع بالايمان ، ثم زوّد بالتقوى إن قوماً سعدوا برأيك فلا يشقون به وإني آمرك بخير مأمور به ، وأنهاك عن شر منهي عنه ، آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار ، فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت ، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطالع ، فقال هوذة : يا سليط سوّدني من لو سودك شرقت به وقد كان لي رأي اختبر به الأمور ففقدته ، فموضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع إلي فيها رأيي فأجيبك به إن شاء الله .

وذكر الواقدي : أن أركون دمشق الرومي من عظماء النصارى كان عند هوذة . فقال له هوذة : جاءني كتاب من النبي يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه فقال الأركون : لم لا تجيبه ؟ قال : ضننت بديني وأنا ملك قومي ولئن تبعته لن أملك قال : بلى والله لئن إتبعته ليملكنك وإن الخير لك في إتباعه وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ثم إن هوذة كتب للنبي ﷺ جواب كتابه وقال فيه : ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب نهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك وكأنه أراد الشركة في النبوة أو الخلافة بعده ﷺ ، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر ، فقدم بكتابه على النبي ﷺ وأخبره بخبره ، فلما قرأ الكتاب على النبي ﷺ قال : لو سألني سبابة من الأرض أي قطعة منها ما فعلت باد وباد ما في يديه أي هلك وهو خيراً ودعاء ، فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره . فقال ﷺ : أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل .

وفي رواية : فقال قائل : يا رسول الله من يقتله : قال : أنت وأصحابك . قال بعضهم : والظاهر ان المخاطب من الذين اشتركوا في قتله تراجع وخالد بن الوليد أي فإنه رضي الله عنه كان أمير الجيش الذي قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ إلى الحرث بن أبي شمر الغساني

وكان أميراً بدمشق من جهة قيصر وكان إقامته بغوطتها ، وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر ، وبعث ﷺ إليه شجاع بن وهب الأسدي من أسد بن خزيمة رضي الله عنه ، وكان من السابقين الأولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحرث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك ، وختم الكتاب . قال شجاع : فانتهيت فوجدته مشغولاً بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص إلى أيليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكر الله تعالى . قال شجاع : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله ﷺ فقال حاجبه : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه يسألني عنه ﷺ وما يدعوا إليه ، فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول : إني قرأت في الإنجيل واجد صفة هذا النبي بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام ، فأراه خرج بأرض القرظ فأنا أؤمن به وأصدّقه ، وأنا أخاف من الحرث بن أبي شمران يقتلني ، وكان هذا الحاجب رومياً إسمه مري . قال شجاع : وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحرث ويقول : هو يخاف قيصر قال : فخرج الحرث يوماً فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه ، فدفعت إليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالساً حتى الليل ، وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بابليا وعنده دحية رضي الله عنه ، وقد بعثه ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب إليه أن لا تسر إليه واله عنه ووافقني بابلياً قال : ورجع إليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك : قلت : غداً فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ، ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال : إقرأ على رسول الله مني السلام وأخبره بأني متبع دينه ، فقدمت فأخبرته ﷺ بخبر الحرث فقال : باد ملكه واقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال ، فقال ﷺ : صدق .

وفي كلام بعض أهل السيار انّ الحرث أسلم ولكن قال : أخاف أن أظهر إسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع ابن وهب إنما توجه إلى جبلة بن الأيهم ، ويقال أرسل إلى الحرث وإلى جبلة وأن شجاعاً قال له : يا جبلة إن قومك يعني الأنصار ، نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه ، وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فإن أسلمت إطاعتك الشام ، وهابتك الروم ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة ، وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع ، والأذان بالناقوس ، والجمع بالشعانين ، وكان ما عند الله خيراً وأبقى . فقال جبلة : والله إني لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي إجتماعهم على من خلق السموات والأرض ، وقد سرني إجتماع قومي به وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ولكني لست أرى حقاً ولا باطلاً وسأنظر .

وذكر بعضهم : أنه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله ﷺ وأعلمه بإسلامه ، وأرسل له هدية وكان ثابتاً على إسلامه لزمن خلافة عمر رضي الله عنه ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته ، حتى إذا قارب المدينة عمد إلى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ، ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيه وزينته ، ولما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه ، وأقام عنده بالمدينة مكرماً فخرج عمر حاجاً فخرج معه ، وحين تطوف بالبيت وطيء رجل من فزارة أزاره فغضب فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه .

وفي رواية : ففأ عينه فشكى الفزاري إلى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له : لم هشمت أنفه ؟ وقال له : لم فقأت عينه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين وطيء على أزاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف . فقال له عمر رضي الله عنه : أمّا أنت فقد أفريت إما أن ترضيه وإلا قدته منك .

وفي رواية : قال : والحكم إما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة : فيصنع بي ماذا ؟ قال : مثل ما صنعت به : فقال : أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقة ؟ فقال له

عمر رضي الله عنه : الإسلام سوّي بينكما ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى ، قال : إن كنت أنا وهذا الرجل في الدين سواء ، فأنا أتنصر فإني كنت يا أمير المؤمنين أظنّ إني أكون في الإسلام أعزمني في الجاهلية ، فقال له عمر رضي الله عنه : إذا تنصرت أضرب عنقك . قال : فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال : ذلك إلى خصمك . فقال الرجل : أمهلته يا أمير المؤمنين ؟ فأذن له عمر في الإنصراف ثم ركب في بني عمه وهرب إلى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك ، وكان مع الروم في قتالهم المسلمين حتى هلك على النصرانية ، وقيل عاد إلى الإسلام ومات مسلماً ولم يصح . وكان جبلة رجلاً طوالاً طوله إثنا عشر شبراً ، وكان يمسح الأرض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوّجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيها قبر إبراهيم بن أدهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابهﷺ إلى بني نهد

وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب ، وكانﷺ يخاطب كل قوم بكاتبهم بلغتهم ،وذلك من انواع بلاغتهﷺ فكان يتكلم مع كل ذي لغة غريبة بلغته ، ومع كل ذي لغة بليغة بلغته إتساعاً في الفصاحة واستحداثاً للالفة والمحبة ، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام أرسي من الهضب وأردف من العضب فانظر إلى دعائهﷺ لأهل المدينة حين سألوه ذلك .

فقال : اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم . وفي رواية : اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا اللهم إني آدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة . ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب إليه فقال : يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة باكوار الميس ، ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب/ الخبير ونستعضد البرير ، ونستخيل الرهام ، ونستجيل الجهام ، من أرض غائلة النِطاء ، غليظة الوطاء ، قد نَشَفَ المُدهُن ، وييس الجِعثِن وسقط الأملُوج ، ومات العسلوج ، وهلك الهَـدِيّ ، ومات الوَدي، برئنا اليك يا رسول الله من الوَثن والعَتَن وما يحدث الزمن لنا دعوة الإسلام وشرائع الإسلام ما طمى البحر وقام تِعَار ولنا نعم هَمَل أغفال ما تبلُّ ببلال ، ووقير كثير

الرّسل قليل الرسل أصابتها سنة حمراء مؤزلة ليس لها علل ولأنهل فقال رسول الله ﷺ في الدعاء لهم : اللهم بارك لهم في محضها أو مخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثْر ببائع الثمر وأفجر له الثّمدْ وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن أتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً لكم يا بني نهد ودائع الشرك ، ووضائع المِلك ، لا تُلطِط في الزكاة ، ولا تُلْحِد في الحياة ، ولا تتثاقل عن الصلاة . ثم كتب معه كتاباً إلى بني نهد .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله ، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفَريش ، وذو العِنان الرَكُوب والفَلُوّ الضَبيس لا يُمْنَع سرّحكم ، ولا يعضد طلحكم ، ولا يحبس دركم ، مالم تضمروا إلا مآق وتأكلوا الرِباق ، من أقرّ بما في هذا الكتاب ، فله من رسول الله ﷺ الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الرُبوة . وروى العسكري عن عليّ رضي الله عنه قلنا : يا بني الله نحن بنو أب وأحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تتكلم بلسان العرب ما لا نعرف أكثره . قال : إنّ الله عز وجل أدّبني فأحسن تأديبي أي علمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت في بني سعد بن بكر أي فجمع لي بذلك قوّة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .

قال : في المواهب : ونحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى التفسير فغوري تهامة ما انحدر منها والأكوار الرحل ،والميس ـ بفتح الميم وسكون التحتية ـ شجر صلب يعمل منه رحال الإبل ، ونستحلب بالحاء المهملة الصبير ـ بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب بتكاثف أي نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب في الأرض شبه بخبير الإبل وهو وبرها وإستخلابة احتشاشه بالخلب وهو المنجل وقيل : نستخلب الخبير أي نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أي نقطعه والبرير ثمر الأراك وكانوا يأكلونه في الجدب لقلة الزاد ، ونستخيل الرهام ـ بكسر الراء وهي الأمطار الضعيفة واحدتها رهمة أي نتخيل الماء في السحاب القليل ، ونستجيل بالجيم الجهام أي نراه حائلاً يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام ـ بفتح الجيم ـ السحاب الذي فرغ ماؤه . ويروى ونستخيل ـ بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال إذا ظننت أراد لا نتخيل في السحاب إلا المطر ، وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا اليه فنظنّ مالاً

وجود له موجوداً . ويروى ونستحيل ـ بالحاء المهملة ـ والمراد لاننظر من السحاب في حال إلا إلى الجهام من قلة المطر . وقوله : من أرض غائلة النطا ـ بكسر النون ـ أي المهلكة للبعد يقال : بلد نطي أي بعيد والمدهن ـ بالضم ـ نقرة في الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة الدهن وقارورته .

وهذا كناية عن جفاف الماء في جميع نواحيهمم والجعثن ـ بالجيم والمثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون ـ أصل النبات والأملوج ـ بضم الهمزة واللام بالجيم ـ ورق شجر يشبه الطرفاء ، والعلوج ـ بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم ـ هو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الأغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله : وهلك الهدري ـ بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشدّ الياء كالهدي ـ بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدي إلى البيت الحرام من النعم لينحر ، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هدياً لصلوجها له تسمية للشيء ببعضه . وقوله : ومات الوديّ ـ بشد الياء ـ هو فسيل النخل بريد هلكت الإبل ويبست النخيل ، ويرئنا إليك من الوثن أي الصنم يعنون إنهم تركوا عبادة الأصنام والإلتجاء إليها والعنن أي الإعتراض يقال : عن لي الشيء إذا اعترض كأنه قال : برئنا إليك من الشرك والظلم وقيل : أراد به الخلاف والباطل . وقوله : ما طمي البحر ـ بالطاء المهملة ـ أي ارتفع بأمواجه وتعار ـ بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فألف فراء ـ بزنة كتاب اسم جبل بصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله: ولنا نعم همل ـ بفتحتين ـ أي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويديها فهي كالضالة والإبل الإغفال التي لا لبن فيها والوقير القطيع من الغنم .

وقوله : كثير الرسل ـ بفتح الراء اي شديدة التفرّق في طلب الرعي قليل الرسل ـ بكسر فسكون ـ للبن وقوله : سنية ـ بالتصغير للتعظيم ـ وقوله : حمراء أي شديدة أي أصابها جدب شديد وقوله : مؤزلة أي آتية بالأزل أي القحط ليس لها علل هو الشرب ثانياً : ولا نهل هو الشرب أولاً أي لشدّة القحط ، وقوله ﷺ اللهم : بارك لهم في محضها ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة ـ أي خالص لبنها ومخضها ـ بالمعجمتين ـ ما مخض من اللبن ، وهو الذي حرك في السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء ، والضمائر لأرضهم أو إنعامهم المذكورة في كلام طهفة .

فدعا النبي ﷺ لهم في ألبانهم باقسامها ، والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم

وسقيها فكأنه قال : اللهم إسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها الى الدثر - بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء - المال الكثير وقيل : الخصب والنبات الكثير لأنه من الدثار ، وهو الغطاء لأنها تغطي وجه الأرض وأفجر له الثمد - بفتح المثلثة وإسكان الميم - وتفتح الماء القليل أي صيره كثيراً وقوله : ودائع الشرك فيل : المراد بها العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ، وضائع الملك بكسر الميم هي الوظائف التي تكون على الملك ، وهوما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة أي لكم الوظائف التي تلزم ا لمسلمين لا تتجاوز عنكم ولا تزيد عليكم فيها شيئاً ، بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله : لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الأولى مكسورة والثانية ساكنة أي لا تمنع الزكاة يقال : لط الغريم إذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية ، وإسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة ، أي لا تمل عن الحق ما دمت حياً ، والخطاب لطهفة بن رهم .

ويروى : ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بصيغة التفعل ولا تتثاقل عن الصلاة أي لا تتخلف عنها وعن أدائها في وقتها وقوله : في الكتاب في الوظيفة الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هي : الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والإنتفاع بها أي لا نأخذ في الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المرضة أي فهي : لكم لا نأخذها في الزكاة أيضاً والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة - وهي من الإبل الحديثة العهد ، بالنتاج كالنفاس من بني آدم أي لكم خيار المال كالفريش لأنها لبون نفيسة ، ولكم شراره أيضاً كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقاً بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أي الفرس الذلول أي المذلل المركوب أي لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب ، أي بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح القاء وضم اللام وشدّ الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب أمتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ، وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلوّ الضبيس أي اظهر المنة عليهم في ذلك لأنّ الله ما أوحى إليه بأخذ الزكاة في ذلك ، فهي غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله : لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي أي لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم ، والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها . وقوله : ولا يعضد طلحكم أي لا

يقطع شجركم الذي لا ثمر له فغيره من باب أولى وقوله : ولا يحبس دركم أي لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى إلى أن تجتمع الماشية ، ثم تعدّ أي بعدّها الساعي لما في من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا تأخذ ذات الدر لما في ذلك من الأضرار وقوله : مالم تضمروا الاماَق أي ما لم تحلفوا وتكتموا الا مآق أي الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف برنة الإكرام .

وفي رواية : الرماق وهو الغدر أيضاً . وقال الزمخشري في تفسير الا مآق : المراد إضمار الكفر والعمل على ترك الإستبصار في دين الله وقوله : وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذي يجعل فيه عري وتشدّ به البهيمة لتتخلص من الرباط ، أي إلا أن تنقصوا العهد فاستعار الأكل لنقض العهد إستعارة تصريحية أو تمثيلية ، وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الأكل لنقضه ، والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الإسلام ، فإن فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله : فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أي الزيادة يعني من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له ، وهو صادق بأي زيادة كانت أي يزاد في عقوبته ولو بقتاله فإن مانع الزكاة يقاتل .

قال في الموهب : فانظر إلى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم أي من حيث المماثلة في غرابة الألفاظ مع أنه زاد عليها في الجزالة أي حسن النظم والتأليف ، وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها ، فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الألفاظ استعملها معهم ، فاستعمالها مع من هي لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها ، وإن كان فيها ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم ، حتى إن كلام البادية الوحشي فصيح بالنسبة لهم ، وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي ، وما ذلك منه ﷺ إلا بقوّة إلهيّة وموهبة ربانية ، لأنه بعث إلى الكافة طرّاً وإلى الناس سوداً وحمراً فعلمه الله جميع اللغات . قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ أي لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون ، فكان ذلك من معجزاته ﷺ ، وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت في كتب السنة .

وفي شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء أن جماعة وفدوا على النبيّ ﷺ حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا والنبيّ ﷺ ، وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أسران أي أبكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله ، فقال النبي ﷺ : اشكدّ أور معنى أشكدّ تعال وأقبل وهلم وأور معناه هنا أو الينا . وجعل رسول الله ﷺ يجيبه بلغته ولا يفهم القوم ، فأسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي ﷺ قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته ، فسبحان من علمه ذلك إنه المنعم الكريم وإمّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة ، فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، فلا توازي فصاحة ولا تباري بلاغاً فلا حاجة الى الإطالة بها وفي المواهب والشفاء وشروحها كثير من ذلك .

ذكر كتابه ﷺ لذي المشعار الهمذاني

المشعار - بكسر الميم وإسكان الشين المعجمة وعين مهملة فألف فراء - إسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمداني وهمدان شعب عظيم أي قبيلة من همدان ويكنى مالك بابي ثور وفد على النبيّ ﷺ مقدمه من تبوك فقال : يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ما حل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور وبصلع ، فكتب لهم النبيّ ﷺ أي أمر بكتابة ما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ، وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها أي المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه ، على أنّ لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والداجن والكبش الحوري ، وعليهم فيها الصالغ والقارح .

فقوله : نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصي من القوم ويختار وهم الرؤوس والإشراف ويقال : للإشراف نواص كما يقال : للإتباع إذ ناب وقوله : أتوك على بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة ولا تزال قلوصاً حتى تصير بازلاً وهي ما تم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة

والنواجي السراع جمع ناجية وقوله : متصلة بحبائل الإسلام أي عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال : أيام قبيلتان من همدان وقوله : ولا ينقض عهدهم عن سنة ما حل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والإفساد والسنة الطريقة ، ويروى عن وشية ما حل والماحل هو الواشي والساعي بالإفساد والعنقفير ـ بفتح العين المهملة وسكون النون ـ وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل ، وقوله : سوداء اي شديدة فهو من إضافة الصفة للموصوف اي لا ينقض عن داهية شديدة ، ولعلع بلا مين وعينين جبل وما جرى اليعفور ـ بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ـ ولد الظبية وقوله بصلع ـ بضم الصاد المهملة وتشديد اللام ـ الأرض التي لا نبات فيها ، فالمراد أنّ عهدهم لا ينقض أصلاً لأنّ لعلعاً مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالأرض القفراء .

وقوله ﷺ لمخلاف : هو الناحية وطرف الإقليم . وقوله : خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب ـ بكسر الجيم ـ والهضب ـ بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة ـ جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضاً وحفاف الرمل ـ بحاء مهملة مكسورة ـ ففاءين بينهما ألف اسم موضع أيضاً وهذه المواضع ببلادهم وفراعها ـ بكسر الفاء ـ وبراء وعين مهملة جمع فرعة ـ بفتح فسكون ـ اي ما علا من الجبال أو الأرض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو ابن العاص رضي الله عنه بالطائف على ثلاثة اميال من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة .

وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهلمة ثم زاءين مخففتين ما صلب من الأرض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله : يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أي تأكل ماشيتهم أو أن يأكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهلمة وتخفيف الفاء وبالمد أي المباح الذي ليس لأحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشيء ، إذا ندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء بالهمز نتاج الإبل وألبانها أو الإنتفاع بها وسياها دفئاً لأنه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به ، وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أي لنا من نخلهم ما بصرم اي بقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ما هرم بكسر

الراء من ذكور الإبل وتكسرت أسنانه والأنثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها ، والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر ، والداجن الدابة التي تألف البيوت والكبش الحوري بحاء مهملة فواو مفتوحتين ، وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذي في صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها إذا اتم سنها ، وذلك إذا دخلت في السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة أو السادسة وفي النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ، وذلك في السنة السادسة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ لقطن بن حارثة العليمي

وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بمهملة مصغر نسبة لبني عليم الكلبي ، وقد قطن مع قومه على النبي ﷺ فأسلم وأنشد النبي ﷺ قوله :

رأيتك يا خير البرية كلها ... نبت نضارا في الأرومة من كعب
أغرّ كأن البدر سنة وجهه ... إذ لصايدا للناس في خلل العضب
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها ... ودنت اليتامى في السقاية والجدب

فقال له النبي ﷺ : خيراً وكتب كتاباً وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وإحلافها ومن ظأره الإسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي بإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار ، والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشويّ الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر . وفي العثرى شطره بقيمة الأمين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله ، وكتب ثابت بن قيس بن شماس .

وتفسير ذلك أن العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والأحلاف المحالفون

لهم ، ومن ظأره الإسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخرها على وزن منعه أي ومن جمعه الإسلام عليهم من غيره ، والهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة في كلاء مباح والبساط التي معها أولادها ، والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو إسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله : ناقة بالرفع فاعل ليجب مقدراً وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع أصناف الإبل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله : عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام ، والمعنى أن الإبل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة ، لأنها عوامل وبه قال قوم : وقوله وفي الشوي : بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة إسم جمع للشاة ، والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة مالها سنتان لكن الذي في الفروع أن الواجب في الغنم جذعة ضأن لها سنة وأجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معزلها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والإبل ، لأنها غالب أموالهم والجدول النهر الصغير ، والعين المعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض بلا تعب والعثري الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر . وقوله : بقيمة الأمين أي بتقويم الخرّاص العدل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابة ﷺ لوائل بن حجر

ـ بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء ـ الحضرمي رضي الله عنه ونسبه ينتهي الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمي ، كان أبوه من أقيال اليمن ووفد هو على النبي ﷺ واستقطعه أرضها فأقطعه إياها ، وأرسل النبي ﷺ معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ليسلمه إياها ، وكان معاوية رضي الله عنه حافياً فأحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فأبى ، ورأى أنه لا يكون كفؤاً لأن يكون رديفه فقال له : لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه أن يلبسهما فأبى وقال : دونك ظل ناقتي فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك ، فعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه . قال وائل : فوددت لو كنت حملته بين يدي وكان له قبل الإسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوماً في الظهيرة فسمع صوتاً هائلاً فأتى فسجد له فسمع هاتفاً يقول :

وإعجبا لوائل بن حجر يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا ترجى من نحيت صخر ليس بذي عرف ولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال :

إرحل إلى يثرب ذات النخل وسر إليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلي محمد الرسول خير الرسل

ثم خرّ الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتاً ، ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبي ﷺ وبسط له رداءه وأجلسه معه ، ثم صعد المنبر وقال : أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الأقيال أتاكم من أرض بعيدة راغباً في الإسلام فقال : يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال : صدقت ، اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ، ثم إنه نزل الكوفة في آخر عمر . وتوفي بها في خلافة معاوية رضي الله عنه وله بها عقب ووقع في الشقاء إنه ﷺ وصفه بالكندي ، فقيل إنه غلط والصواب الحضرمي . وقال ابن الجوزي الحضرمي أو الكندي : فلا مانع من كونه حضرمياً كندياً .
ثم كتب له ﷺ كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب ، في البيعة شاة لا مقورة الإلياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوف الخمس ، ومن زني مم بكرٍ فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً ومن زنى مم يثب فضرجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ، ووائل ابن حجر يترفل على الأقيال وتفسيره الأقيال هم الرؤساء دون الملوك . وقيل : الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقرّوا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الإبل إذا تركتها ترعى متى شاءت ، والإرواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذووا الهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤوس الحسان الوجوه ، فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادات فلا يردانه مساً ولمفهوم الإرواع .

وقوله : وفي التبعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة

أربعون من الغنم وفي القاموس التبعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان ، أي غير البقر وقوله : ولا مقوّرة بضم الميم وفتح القاف وشدّ الواو والإلياط بفتح الهمزة وسكون اللام بعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة ، أي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع لبط بكسر اللام وهو قشر العود ، فاستعير للجلد من لاطه يلوطه إذ ألصقه وقيل المقدرة المقطوعة والمعنى بها : الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله : ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله : وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أي أعطوا بلغة اليمن أو بني سعد وقرىء شاذاً إنا أنطيناك ، وروى في الدعاء لا مانع لما أنطيت والثجية بمثلثة ، فموحدة فجيم مفتوحات ، وقد تكسر الموحدة أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من دينه ، وفي السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين ، لأن الأصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً وهي ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل في الرسم تخفيفاً ، فلذلك اتصلت النون بالميم لفظاً وخطاً فأدغمت ، إذ لم يبق مانع من الإدغام بخلاف ما لو رسمت فإنها تكون فاصلة وقوله : فاصقعوه بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أي أضربوه وأصله الضرب على الرأس ، وقيل الضرب ببطن الكف .

ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال : صفعت فلانا أصفعه إذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب ، أي غربوه وأنفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة والجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أي أرجموه حتى يسيل دمه ويموت وقوله : بالأضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أي بالحجارة وقوله : ولا توصيم في الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم ، وهو العيب والعار أي لا عار في إقامة الحدود أي لا تحابوا فيها أحداً وهذا بمعنى قوله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ . وقوله : ولا غمة في فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أي لا تستر ولا تخفي بل تظهر ويجهر بها إقامة وإظهار الشعائر الدين ويروى ولا عمه في الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردّد فيه ، وقوله : يترفل بشد الفاء المفتوحة أي يتسوّد ويترأس إستعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه أي تطويله وإسباله للفخر والعظمة فاستعير ، أو هو كناية عن جعله رئيساً عليهم محكماً فيهم .

فهذه نبذة من مكاتباته ﷺ ومخاطباته يعلم منها إنه كان يكلم كل ذي لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته ﷺ ، ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقاً ، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه يسلب الأرواح ، ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ، ومنزلة لا يداني منتهاها . ولذا قال بعضهم : كلامه ﷺ معجز .

قال الزهري : قال رجل من بني سليم : يا رسول الله أيدا لك الرجل إمرأته قال : نعم إذا كان ملفجاً . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما قال لك وما قلت له ؟ فقال ﷺ : قال : أيماطل الرجل أهله قلت : نعم إذا كان مفلساً ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال : أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه ابن عساكر وغيره قال : في القاموس دالكة أي ماطلة والمفلج بضم الميم وإسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم إسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج إذا كان فقيراً وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله في الخروج عن القياس أحصن ، فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل إذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر في الجميع وقيل إن الكلام كناية عن مماطلة الرجل إمرأته في الإيلاج عند إرادة الوقاع أي أيداعب الرجل إمرأته قبل الجماع فقال ﷺ : نعم إذا كان ملفجاً أي مفلساً كناية عن كونه عاجزاً ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركاً لشهوته ، ولعجزه سمى مفلساً تشبيهاً بمن لا يملك مالاً لعجزه وقيل : معناه أيماطلها بمهرها إذا كان فقيراً فقد أجاب ﷺ السائل بجواب محتمل لتلك المعاني كما أن سؤاله كان كذلك ، فهذا من بلاغته ﷺ ومن جوامع كلمة التي اختص بها صلوات الله وسلامه عليه .

وفي حديث عطية السعدي رضي الله عنه قال : قدمت وافداً على رسول الله ﷺ مع قومي فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا ، وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة . وقال : الله مسؤول ومنطي .

وفي شرح الشهاب على الشفاء روى باسناد صحيح : أنه ﷺ بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقالوا : يا رسول الله ، هذه سحابة فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكنها . قال : وكيف ترون رحاها قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها قال : وكيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استقامتها

قال : وكيف ترون برقها أوميضاً أم خفقاً ؟ أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقاً قال : وكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده . فقالﷺ : الحيا فقالوا : يا رسول الله ما رأينا أفصح منك . قال : وما يمنعني من ذلك وإنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أساسها ، وأخذتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ، ومعظمها حيث استدار القوم .

وقال الجوهري : مستدارها وبواسقها ما علا منها وإرتفع وكل شيء علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال : أومض إيماضاً وأومض بعينه غمز والخفق بزنة الضرب البرق الضعيف . قال الجوهري خفق إذا لمع لمعاً ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم فإن لمع قليلاً ثم سكن فهوالوميض والذي يشق شقاً هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها وهو من الأضداد لأنه يكون بمعنى الأربض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء ، وبعد أن بث ﷺ كتبه في الآفاق أمر أمراء في كل تطر دخل في طاعته وانقاد لشريعته ، فمن امرأئه ﷺ باذان بن ساسان كان نائباً لكسرى على اليمن ، فلما هلك كسرى بإخبار النبي ﷺ كما تقدم ، أسلم باذان لظهور صدق النبيﷺ له في إخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات ، وأرسل للنبيﷺ بإسلامه وإسلام من معه فأمّرهﷺ على اليمن وفاء بقولهﷺ لرسولي باذان . حين أراد الرجوع إليه قولا له : إن أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير في الإسلام على اليمـ وأوّل من أسلم من ملوك العجم ، ثم مات واستعمل النبي ﷺ ابنه شهر بن باذان وقيل : إن باذان خرج للوفود على النبيﷺ فلحقه العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل : ان الذي قتله الأسود إنما هو ابنه شهر لاهو وإن العنسي تزوّج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة ، فأعانت فيروز الديلمي على قتل الأسود فإنها مكنته من الدخول عليه ليلاً فقتله وأمرﷺ على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه حضر موت وهو مخلاف باليمن ، وولى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها ، وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن .

قال بعضهم إنه لما توفي النبيﷺ كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ، ثم أن أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أوّل أمير عقد رايته يزيد بن أبي سفيان ، ثم ولى الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة

رضي الله عنه ، وقيل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنه بالشام ، وهو أكبر من معاوية . قال بعضهم : إن يزيد ابن أبي سفيان أفضل آل أبي سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وولى ﷺ عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن ، وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عمان إلى غير ذلك مما بسطه أهل السير ، وفي هذا القدر كفاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بَابُ فِي ذِكرِ شيْءٍ مِن مُعْجزاتِهِ ﷺ

اعلم ان معجزاته ﷺ كثيرة لا يمكن حصرها ، ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شيء مما تقدم في اول بعثته أو مما إندرج في غزاوته وسراياه ، فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لأن بتكراره تزداد الفائدة :

أعـد ذكر نعمان لنـا إن ذكره   هو المسـك ما كررتـه يتضوع

والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي أي بطلب المعارضة ، كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الأصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، لأنها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة ، وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة ، أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الأمر الخارق للعادة إلى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام ، فلا حاجة الى الإطالة به . ثم إن دلائل رسالة نبينا ﷺ كثيرة والأخبار عن شأنه شهيرة .

فمن ذلك ما وجد في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدي مولده ومبعثه من الأمور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما أحل الله بأصحابه . فإن تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوّهة بذكرهم مشيرة إلى أنه سيصير لهم نبأ عظيم ، وذلك بظهور هذا النبي الكريم ﷺ ، وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها إلى ما حولها من البلاد والمدن ، فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها شيء من الماء .

ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده ﷺ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى : أي شيء يكون هذا ؟ قال : حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير رافع لها من أمكنتها إلى غير ذلك مما روي ونقل في الأخبار المشهورة من ظهور العجائب ، في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبياً ، ومن تأمل في جميع مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته ، وقد اكتفى كثير ممن عاصره ﷺ بتلك الأشياء فآمن وإنقاد له ﷺ وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبي فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه ، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوباً في التوراة إسمه وصفته ، وإني أؤمن به وأصدقه .

وعن أبي رمثة التميمي رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فلما رأيته قلت : هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه ﷺ . وروى مسلم أن ضماد ابن ثعلبة الأزدي كان صديقاً للنبي ﷺ قبل البعثة ، وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافداً إلى مكة تقدم مرة في أوّل مبعثه ﷺ ، وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون ، وكان ضماد عاقلاً يطب ويرقى في الجاهلية ، فلما سمعهم يقولون : إن محمداً مجنون جاءه وقال : إني راق فهل بك من شيء فأرقيك ؟ فأجابه ﷺ بقوله : إن الحمد الله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال له ضماد : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغت قاموس البحر أي وسطه أو لجته ثم قال : هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم ، وانقاد من غير تردّد وإكتفي بهذه الكلمات الدالة على صدقه ﷺ ، البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتها مع ما شهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾ هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ يقول : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يقرأ قرآناً أي وإن لم يظهر معجزة

كما قال ابن رواحة رضي الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينة لكان منظـره بنبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معهﷺ ما يستميل به القلوب من مال ، فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذي أظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام ، مقيمين على عادة الجاهلة في العصبية والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات ، لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر في عاقبة ، ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم ، فألفﷺ بين قلوبهم وجمع كلمتهم اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وتتابعت الأيدي في التعاون والتناصر على إظهار الحق ، فصاروا جمعاً واحداً في نصرته ناظرين إلى طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونـوه على ما يريد ، وهجـروا بلادهـم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته ، وبذلوا أرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقـع السيوف والسهـام والرماح ، ووطنـوا أنفسهـم على إصابـة ذلك لوجوههـم وصدورهم ، لأجل إعزاز كلمته وإعلاء دينه وإظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض في العاجل اطعمهم في نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو أشرف في الدنيا يحوزونه .

بل كان من شأنهﷺ أن يجعل الغني فقـيراً لأنـه كان يحمـل الأغنياء على صرف أموالهـم في الجهـاد ونحـو من أنـواع القـرب ، ويجعـل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر ، والإعراض عن الأسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الأمور او يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله بالإختيار العقلي والتدبـير الفكري ، لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الأمور ، ما يشك عاقل في شيء من ذلك وإنما هو أمر إلهي ، وشيء غالب سماوي ، ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوي البشر ، ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، ثم إن معجزاتهﷺ أكثرها متواتر ، رواها جمع عن جمـع وكانـت تظهـر في مواطـن اجتماعهـم كيوم الخنـدق وبقية الغزوات ، وفي محافل المسلمين ومجتمع العساكر والجند ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا إنكار على من روى ذلك ، مع شدة تحريهم فسكوت السـاكت منهـم كنطـق الناطق ، لأنهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة في الكذب ، كلهم عدول

لا يخافون في الله لومة لائم ، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير ، وبعض ألفاظ في القرآن . ثم نقلت إلى من بعدهم قرناً بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة ، وجماعة عن جماعة .

قال القاضي عياض في الشفاء فمن إعتنى بطرق النقل لم يشك في صحة هذه القصص المشهورة أي من المعجزات وخوارق العادات كالأخبار بالمغيبات ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ، ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد ، وأنها مدينة عظيمة وأنها دار الإمامة والخلافة ، وآحاد من الناس لا يعلمون إسمها فضلاً عن وصفها أي فجهل الجاهل بذلك لا ينفي التواتر ، فكذا ما نحن فيه ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان أمياً لا يخط كتاباً بيده ولا يقرؤه ولد في قوم أميين ونشأ بينهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصداً إلى عالم يعكف عليه ليتعلم منه ، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية ، وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن موضعها ولم يبق من المتمسكين بها ، وأهل المعرفة بصحيحها إلا القليل ولقلتهم لم يجتمع ﷺ بأحد منهم ، حتى يظن انه اخذ عنهم . ثم إنه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين ، وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيا لهم نقض ذلك وهذا أدل شيء على أنه أمر جاءه من عند الله تعالى لاصنع لأحد فيه . ومن أعظم دلائل نبوته ﷺ القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الإعجاز ودعاهم الى معارضته والإتيان بسورة من مثله ، فعجزوا عن الإتيان بشيء منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمة الأبرص ، لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم ، فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند إحياء الموتى ، لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في إبراء الأكمة والأبرص .

وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة ، وإنشاء الكلام البليغ ارتجالاً في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة ، فيأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون بديهة في المقامات وفي كل موضع شديد الخطب ، ويرتجزون بين

الطعن والضرب ، ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ، ويرفعون من مدحوه بمدحهم ، ويضعون من ذموه بقدحهم ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون الأعناق بأحسن من عقد اللآل ، فيخدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ، ويذهبون الأحسن ، ويهجون الدمن ، ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملاً ، ويتركون النبيه خاملاً ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل ، والقول النصل ، والكلام الفخم ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة ، والألفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف في القول ، القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوي والحضري لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة ، لا يرتابون إن الكلام طوع مرادهم .

والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، وإستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتنادرت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه .

جاءهم وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً ، وأشهر في الخطابة رجالاً ، وأكثر في السجع والشعر ارتجالاً ، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صار خلبهم في كل حين ومقرعاً لهم من الأعوام بضعاً وعشرين ، على رؤوس الملا أجمعين فأتوا بسورة مثله وإدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذاك إلا ليصير علماً على رسالته وصحة نبوته ، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح ، وهو باق دون غيره . من المعجزات ، ومنه تستنبط الأحكام الشرعية ، والعلوم العقلية ، ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الأنبياء ، انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وقد قطع ﷺ بأنهم لا يقدرون على معارضته القرآن حيث تحداهم به وقال لهم :

كما أمره الله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ . فلولا علمه ﷺ بأن ذلك من عند الله علام الغيوب ، وأنهم لا يقدرون لما قال لهم : ولن تفعلوا لأنه. كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الإطلاق ، فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بشيء من مثله وهذا من أحسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأبينه ، فانه أدى عليهم بالعجز عن معارضته ونفي قدرتهم في المستقبل حيث قال : ولن تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار صارخاً بعجزهم على رؤوس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به ، مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد ، وهم في كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء ، يقولون إن هذا إلا سحر يؤثر ، وسحر مستمر ، وإنك افتراه ، وأساطير الأولين ورضوا بالدنية كقولهم : ﴿ قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ﴾ أي صمم : ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ ولو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ .

وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم ، فلوا استطاعوا مما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعاً وعشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصاً في الفصاحة وقال تعالى اظهاراً لعجزهم ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ اي معينا فهذا نزل ردا لقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيماً لاعجاز القرآن والا فالتحدي انما وقع للانس دون الجن لأنهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، وإذا فرض اجتماع الثقلين وأعانة بعضهم بعضاً ومع ذلك عجزوا عن المعارضة ، كان الفريق الواحد اعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزاً عن الاتيان بمثله وعناداً فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من اهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر احد على معارضته وانه ليس من كلام البشر ، فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبي ﷺ فقال : يا ابن اخي ، ان كنت تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا ، او

تطلب الشرف فنحن نسودك علينا ، وان كان الذي يأتيك رئياً بذلنا اموالنا في طلب الطلب لك . فلما فرغ قالﷺ : اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ حتى انتهىﷺ الى قوله تعالى ﴿ فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادوثمود ﴾ فوضع عتبة يده على فم النبيﷺ وقال له : لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش : ما وراءك ؟ فقال : والله لقد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة سلام حمزة رضي الله عنه عند ذكر ما وقع لهﷺ من الأذية .

وروى من حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم : انه حين بلغه بعثة النبيﷺ بمكة بعث أخاه انيساً ينظر له في أمر النبيﷺ وكان ابو ذر بصف اخاه بقوله : والله ما سمعت بأشعر من اخي أنيس قد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية اي عارضهم في قصائدهم اي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال : فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر بخبر النبيﷺ فقال : رأيت رجلاً بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر ، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد وانه لصادق وانهم لكاذبون .

وروى البيهقي في قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش في الفصاحة انه قال للنبي ﷺ : اقرأ على شيئاً لأنظر فيه فقرأ عليه ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فقال الوليد : اعد علي قراءتك فأعادﷺ الآية فقال : والله ، ان له الحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر وان ، أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر ، ثم قال لقومه ، والله ما فيكم رجل اعلم بالأشعار مني ، ولا بأقوال الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من ذلك ، والله ، ان لقوله الذي يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه ، مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته . وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين بهﷺ ان الوليد بن المغيرة هذا قال في حق النبيﷺ : ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطاً .

وروى ابو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من

الأنصار قال : لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ : اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل ؟ وكان معاذا أسلم قبل ابيه ، فقرأ عليه : الحمدلله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم ، فقال عمرو لابنه : ما احسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا ، قال يا أبت وأحسن من هذا .

قال في المواهب نقلاً عن بعضهم : انّ هذا القرآن لو وجده مكتوباً في مصحف في فلاة من اررض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت لعقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى ، وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك ، فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرّهم وأتقاهم ؟ وقد قال : انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يفقى مع هذا شك .

ذكر وجوه اعجاز القرآن .

اعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أي قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة لعادة العرب ، حتى كان في الحد الأعلى مثل قوله ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ فجمع في كلمتين عدد حر فهما عشرة احرف معاني كثيرة ، وحكى ابو عبيد ان أعرابياً . سمع رجلاً يقرأ ﴿ فأصدع بما تؤمر ﴾ فسجد وقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام اي انما كان سجوده لأنه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب . وسمع أعرابي آخر رجلاً يقرأ ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً ﴾ فقال : اشهد ان مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام اي لاعجاز بلاغته ، وخروجها عن طوق البشر .

وحكى الأصمعي : انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أو ستاً وهي تقول : استغفر الله من ذنوبي كلها . قال الأصمعي : فقلت لها مم تستغفرين وانت صغيرة لم يجر عليك قلم اي لم تبلغي الحلم ؟ فقالت :

استغفر الله لذنبي كله قتلت إنسانا لغير حله
مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك . فقالت : او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى

﴿ وأوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، فالأمر ان ارضعيه وألقيه ، والنهيان ولا تخافي ولا تحزني ، والخبران وأوحينا وفاذا خفت ، وقيل الخبر ان والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فهو خبر من جهة وبشارة من جهة .

وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد فإذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق ، فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم ، وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون قال : فنأصلتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ فكان ذلك سبباً لاسلامه ، وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفاً من البلاغة وحظاً من البيان أن يضعوا شيئاً يلبسون به على الناس ، يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ، ورأوه ، مكان النجم من يد المتناول ، ومنهم من أراد ان يصنع كلاماً قليلاً يحاكي به نحو سورة الكوثر ، ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح ، فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله ، وظهر لأهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم ، فولوا عنه مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله : يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين، ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى ﴿ والنازعات غرقاً ﴾ قال : والزارعات زرعاً والحاصدات حصدا والذاريات قمعا ، والطاحنات طحناً والخافرات حفراً ، والناردات نرداً ، واللاقمات لقماً ، لقد فضلتم على اهل الوبر ، وما سبقكم اهل المدرالي غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله ، بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التي ألقوها فيكون حجة على خزية . ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تركيف فعل ربك بالحبلى ، خرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين شراسيف وأحشا . وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وثيل ، اي ممتد ومشفر طويل ، وان ذلك من خلق ربنا لقليل . ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا يخفى على من لا يعلم ، فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يمجه ويعلم ضرورة هجانته

ولكنته .

ومن وجوه اعجازه

الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع ، فلا يشبه نظماً ولا نثراً ولا خطبة ولارسالة ولا سجعاً . مع انه يشاركها في انه مؤلف من كلماتهم ، ونزل على أساليب كلامهم في البلاغة ، وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكبهم ، وغرائب اساليبهم وبدائع انشاءاتهم ، وروائع اشارتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ، ووقفت عليه تقاطيع اياته وانتهت اليه فواصل كلماته ، لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ، ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم ، فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه ، وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ، ودليله القاهر وبرهانه الباهر ، ما رام معارضته شقي الا تهانت تهافت الفراش في الشهاب ، وذل ذلّ الغنم بين الليوث الغضاب .

وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيى بن حكيم الأندلسي ، وكان بليغ الأندلس في زمانه قيل : انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين انه رام شيئاً من المعارضة للقرآن ، فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثلها ، وينسج على منوالها ، فاعتز به خشية ورقة في قلبه حملته على التوبة عما كان رامه ، وعلم انه أمر لا يقدر عليه البشر .

ويحكى ان المقفع بضم الميم وفتح المقاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان افصح اهل وقته ، وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها ، فنظم كلاماً وجعله مفصلاً وسماه شوراً فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ فقال : اشهد ان هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض ابداً . ثم رجع ومحاما عمله وأبطله . وعلم انه لا مناسبة بينه وبين كلام الله في شيء ، وبالتأمّل في القرآن

المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمّل في مثل قوله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويا أرض ابلعي ماءك ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من اغرقنا ﴾ وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك ان تحت كل لفظة جملاً كثيرة وفصولاً جمة ، ووجدت فيها علوماً زواخر مع ايجاز الألفاظ وكثرة المعاني ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد ، والتحليل والتحريم والعظة والتقويم ، والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها .

كل شيء في موضعه بحيث لا ترى محلاً اولى من محل ، واذا تأمّلت ايضاً القرآن وجدته مودعاً فيه مثلات أخبار القرون الماضية ، منبئاً بالحوادث المستقبلة ، جامعاً للحجج والمحتج له ، واستيفاء هذه الأمور منتسقة احسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل ، فادعاء أنه من عند النبي ﷺ وانه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة انه جاء على لسانه من عنده الله فانه عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة، كما ان كونه خارقاً للعادة معلوم بالضرورة . كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته ، مع اعترافهم باعجاز بلاغته . ثم هواية معجزة في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئام مرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب ، وأبدع تهذيب مرتبطاً أوّلها بآخرها ، لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ، ثم ان قصصه اذا كرّرت فيه وذكرت مرة بعد اخرى اختلفت فيها العبارات ، وذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر ، وحكيت بعبارات مختلفة النظم والألفاظ ، وان كان المعنى واحداً حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى في البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ، ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها .

قال في الشفار من تفنن في علوم البلاغة وأرهب خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته ، فهو كاحياء الموتى وقلب

العصا حية وتسبيح الحصى ، بل اعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال ، بل صبروا على الجلاء والقتل ، وتجرعوا كاسات الصّغار والذل ، وكانوا شمخ الأنوف اباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختياراً ولا يؤثرونه الا اضطراراً ، فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها اهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر ، وافحام الخصم لديهم وهم اهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الأنام وما منهم احد الا جهد جهده واستفرغ ما في وسعه في اخفاء ظهوره واطفاء نوره ، فما اظهروا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم ، مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا .

ومن وجوه اعجازه

ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان في وقت نزوله ، ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما اخبر على الوجه الذي به اخبر كقوله تعالى ﴿ لتدخلّن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴾ أخبرﷺ أصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية ، فظنوا انه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول ، شق عليهم ذلك ، فانزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بانه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر ، فلما وقع ذلك قال لهمﷺ : ذلك الذي قلت لكم وكقوله تعالى ﴿ اغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ فأخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ، فكان كما اخبر الله وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين ، فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلاً بغلبتهم للمسلمين ، فبعث كسرى جيشاً الى الروم فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ، ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله ﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ وأخبر أبو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال : ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبيناﷺ بذلك ، فقال له امية بن خلف ، وقيل أبي بن خلف : كذبت ، فقال له أبو بكر : بل أنت كذبت يا عدو الله ، فقال اجعل بيني وبينك اجلاً على عشر قلائص يأخذها الصادق منها ، فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، وجعلوا الموعد

بينهما ثلاث سنين ، واخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك : فقال له : مدّ الاجل وزد في الرهان ، فانّ الله قال في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل ، فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك اي غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه من ورثة امية او أبي لأن امية قتل يوم بدر ، وأبي قتله النبي ﷺ بيده يوم أحد ، فتمام الأجل . انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما اخذت من ورثتهما فقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : تصدق بها وإنما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكراً لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم .

ومن الأخبار بالغيب الواقع في القرآن قوله تعالى ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ فهذا وعد من الله بأن دين رسوله ﷺ سيظهر يغلب سائر الأديان ، وتقهر امته ﷺ جميع الأمم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ اي ليجعلنهم خلفاء في ارضه مالكين لها منصورين على أعدائهم ، والآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم ، فكانت الغلبة لهم على اهل الردّة في خلافة الصديق رضي لله عنه ، وعلى الروم وفارس في خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم في البلاد وأبدلهم بعد خوفهم امناً كما اخبر سبحانه وتعالى ، ومكن دينهم في مشارق الأرض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيهـا ، كما قال ﷺ : زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها . وكقوله تعالى ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله ﷺ ، ولما نزلت وتلاها رسول الله ﷺ عليهم ، بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال : ما يبكيك يا عم ؟ قال : نعبث اليك نفسك : فقال : انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً اي جماعات كثيرة بعد جماعـات كثيرة ، لما اعـزّ الله الـدين ونشر أعلامـه في الخافقين ، فما توفي رسول الله ﷺ وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم اسلموا . ثم انتقل ﷺ الى الدار الآخرة فكان الأمر كما اخبر الله . وكقوله تعالى ﴿ انا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى بانه تولى حفظ القرآن من التبـديل

والتغيير في سائر الأزمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات ، فكان في المستقبل كما اخبر فلا مبدّل لكلماته بخلاف سائر الكتب ، فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ اي طلب حفظه منهم ، فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها ، فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن ، وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شيء من التبديل في القرآن بعد ان أجمعوا كيدهم وحولهم قوتهم ، في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ، ولا تغيير كلمة من كلامه ، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه ، فكان الحفظ حاصلاً بالله كما اخبرالله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه ، وخيبة سعي من سعي في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه .

ومما اخبر الله به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية ، فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس ﷺ درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ، قال عمر رضي الله عنه : فعلمت المراد منها حينئذ ، اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب ، فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها اعجاز لفظاً ومعنى وكقوله تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ ففيها اخبار بالغيب ، وذلك ان ناساً من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد ان هاجر النبي ﷺ وكثير من أصحابه ، فلقوا من المشركين اذى شديداً فارسلوا وشكوا الى رسول الله ﷺ فقال : اصبروا وأبشروا بفرج قريب . وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الأمر بالجهاد ومنها هذه الآية ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾الى آخرها، فكان بعدها ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم ، حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم ، وكقوله تعالى ﴿ لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم لا يقدرون عليكم الا بأذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وانهم ان ياقتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم ، فكان الأمر كذلك .

ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ، ما فيه من كشف اسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم ، مما لا يعلم علمه الا الله ، وكشف اسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه

فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم ، وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله ﷺ على مقالتهم انها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى ﴿ والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما تقول اي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبياً لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم ، وزاد ذلك بقوله ﴿ حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ﴾ وقال تعالى ﴿ يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك ﴾ يعني انهم يسرون في ضمائرهم غيرما يظهرونه لك اذا اتوك ، وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم وللذي اخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم أحد ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ﴾ فأعلم الله رسوله ﷺ بذلك فاخبرهم بما قالوه ، فهو من جملة الاخبار بالمغيبات ، وكقوله تعالى ﴿ سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ وكقوله تعالى ﴿ من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ﴾ اي بالتكذيب والسخرية فاخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم ، وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به ﷺ ، ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة التماس نظره ورعايته مكراً منهم ولياً بألسنتهم ، وهو من الأخبار بالغيب فضيحة لهم .

ومن الأخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه ، وهو مغيب عن النبي ﷺ فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية ، وذلك ان الله وعد نبيه ﷺ بأحد الأمرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش ، أو قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال ، فقدر الله انهم يلقون العدوّ ويقطع دابر الكافرين ، فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين .

ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وهم خمسة أو سبعة من الكفار كانوا يؤذونه ﷺ اشد الأذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه ، فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه ﷺ بشر اصحابه بهلاكهم ، وقد تقدم الكلام

عليهم في مباحث البعثة .

ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءاً . وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونهﷺ في اسفاره ، فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة ، وما أصابه يوم احد لا ينافي هذا ، لأن الآية نزلت بعدها او المراد من هذه الآية حفظه من القتل ، فكان محفوظاً مع كثرة من رام ضره وقصد قتله ، والاخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول اللهﷺ كبل نجد فأدركنا رسول اللهﷺ في واد كثير العضاه ، فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي ليستظلوا بالشجر ، فأتاه رجل وهوﷺ نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده ، فقال له : من يمنعك مني ؟ قال : الله . ثم قال ذلك ثانياً فقال : الله ، فسقط السيف من يده ووقعت له روعة ، فاخذ السيفﷺ وقال : من يمنعك مني ؟ فقال : كن خير آخذ فعفا عنهﷺ : فقالﷺ للصحابة : ها هو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال : والله لا أكون في قوم هم حرب لك . وامثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك .

ومن وجوه اعجازه القرآنية

ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من اخبار اهل الكتاب ، الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيهﷺ على اتم حال يليق به وينبغي له ، وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته ، فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدق معه أنه لم ينله بتعليم ، ومع انه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب ، ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به ، ولا جهل حاله احد منهم من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب ، وقد كان اهل الكتاب من احبار اليهود والنصارى كثيراً ما يسألونهﷺ عن اخبار الأمم السالفة ، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً ، كقصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم ، فيذكرها لهمﷺ مفصلة بأبلغ عبارة وألطف . اشارة كخبر موسى والخضر ، وخبر يوسف وإخوته ، وكقصة اصحاب الكهف وذي القرنين ، ولقمان وابنه واشباه ذلك من الأنباء والقصص المذكورة في القرآن ، عمن مضى من الأمم السالفة ، وكبيان ابتداء الخلق وما

جرى في ذلك وخلقه للسموات والأرض وآدم وحواء وما في التوراة والأنجيل من الأحكام والشرائع والتوحيد ، وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى ، مما صدقه فيه العلماء بها من اهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها، بل اذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الأزلية ، ومنهم من خذله الله فكفر عناداً وحسداً .

ومع هذا العناد والحسد الذي اظهروه لم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شيء من ذلك مع شدة عداوتهم لهﷺ ، وحرصهم على تكذيبه في شي من كلامه ، ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم ، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ، وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه في طلب أخبار أنبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم ، فكان يعلمهم بمكنون وشرائعهم وما تضمنته كتبهم ، مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سألوه وعن حكم الرجم للزاني المحصن ، وكانوا قد انكروه في شريعته فبينهﷺ لهم واخبرهم بانه مذكور في التوراة ، وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه ،واسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، وكان اليهود سألوا النبيﷺ امتحاناً له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم : لحوم الابل وألبانها فصدقوه ، وذلك ان يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليماً من الأمراض والآفات ان يذبح آخر اولاده ، فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكاً وكز فخذه فمرض بعرق النسا ، حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده ، لانه اشترط في النذر الدخول الى بيت المقدس سليماً من الأمراض والآفات ، فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مر لأنه يضر عرق النسا ، وكان ذلك باجتهاد منه والأنبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح .

وسألوهﷺ ايضاً عما حرم على بني اسرائيل من الطيبات والأنعام التي كانت احلت لهم ، فحرمها الله عليهم ببغيهم اي عقوبة لهم بسبب ظلمهم ، وانزل الله في ذلك ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما او الحوايا ، او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون ﴾ فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والأوز والبط ، وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب ، وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة

الانعام وقوله : ببغيهم اي بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبي ﷺ : لم يحرّم الله علينا شيئاً فان حرم علينا شيئاً فبينه ، فأنزل الله هذه الآية الصريحة في تكذيبهم فافتضحوا وجاء ان اليهود قالوا له ﷺ : تزعم أنك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم في شرعه ، فأنزل الله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ﴾ فكبتوا لما لم يجدوا فيها ما ادعوه .

ومن الاخبار بما في الكتب السابقة قوله تعالى في وصف اصحاب نبينا ﷺ ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ﴾ الآية ، والاشارة لقوله تعالى ﴿ سيماهم في وجوههم من اثر السجود ﴾ ولم يذكر عن احد منهم انه كذبه في شيء من ذلك ، بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته ، وبأنهم انما حجدوا نبوته حسدا وعناداً كأهل نجران وعبد الله ابن صوريا وحيي بن اخطب وغيرهم من اخبار اليهود والنصارى ، حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهاتهم امتعنوا وخافوا من نزول العذاب عليهم ، واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهراً بغياً وعناداً وصالحوه وانصرفوا كما سيأتي وعن صفية ام المؤمنين رضي الله عنها وكانت بنت حيي بن أخطب قالت : كان عمي أبو ياسر احسن رأيا من ابي كان يقول لأبي : أليس هو الذي تجده في كتبنا فيقول : نعم هوهو ، فيقول له : فما في نفسك منه ؟ فيقول : معاداته وقد فضح الله اهل الكتاب الذين حسدوه ﷺ وأظهر كثيراً مما اخفوه . قال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ اي لحمله وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى .

ومن وجوه اعجازه .

ما ذكره تعالى من عجز قوم في قضايا واعلامهم بانه لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا ﴿ ان يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى ﴾ فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال خطاباً لنبيه ﷺ ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ﴾ اي ان كنتم صادقين انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم ، فتمنوا الموت لأن من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ، ومن أحبّ لقاءَ الله أحب الله

لقاءه ، قال الله تعالى ﴿ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت ايديهم ﴾ فنفي عنهم تمنى الموت في جميع الأزمنة المستقبلة بقول : لن وأبداً وما قدمت ايديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ،ففي هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب ، وهو انتفاء تمنيهم الموت في المستقبل فكان كما اخبر إذا لم يتمنوه ولو تمناه احد منهم لمات لم يقع التمني من احد منهم مع توفر الدواعي على نقله لو وقع ، والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية ، الا ان النطق بقولهم تمنيناً ممكن .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ، والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غصّ بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ، ليظهر صدق رسوله ﷺ وصحة ما اوحي اليه ، ولم يتمنه احد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه احرص ، لو قدروا على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد ، فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته .

وفي الشفاء : من اعجب امر اليهود انه لا يوجد منهم احد يقدم على تمني الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ، ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ﴿ ولتجد نهم احرص الناس على حياة ﴾ وهذا المذكور من امتناعهم من التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمنحنهم به ، ومثل ما تقدم في الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم .

ومن وجوه اعجازه

الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار ، قال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ﴾ وهذا لما فيه من الروعة التي تهدّ الجبال فما بالك بالرجال ؟ وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستنقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ، ويزيدهم سماعه نفوراً عن الحق والإصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له الخبث طبائعهم : قال تعالى ﴿ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا

على أدبارهم نفوراً ، وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخـرة ﴾ ولهذا قال ﷺ القرآن : صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بـين الحـق والباطل ، والبر والفاجر ، وأما المؤمن فلا تزال روعته به أي فزعه وخوفـه من زواجـره ومواعظه إجلالاً وهيبة توليه عند تلاوته انجذاباً ، فيميل قلبه وسمعه لحبه استماعه ويزداد هشاشة ونشاطاً لميل قلبه اليه وتصديقه به ، قال تعالى ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ اي يعرض لجلد ذي الخشية عند القـرآن قشعريرة من الخفو من هيبته ، فاذا تأمله وتدبره لأن قلبه وجلده لأنسه وسروره به ، ولذا ترى الصالحين أذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ، ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضي الله عنهم ، لان مقامهم مقام تمكين ، ومما يدل على انه ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شيء خص به القرآن دون غيره من الكلام ، انه امر يعتري من لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفاسيره وماذاك الا لسرفيه ، وامر رباني ولذلك يتاب قارئـه وسامعـة ، وان لم يفهمـه بخلاف غيره.

وفي الشفاء للقاضي عياض : ان نصرانياً مرَّ بقارىء يتلو القـرآن جهـراً ، فوقف ليسمع قراءته وهو يبكي فقيل له : مم بكيت ؟ فقال : للشجا والنظم ، والمراد بالشجا الطرب ، وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه ، فأثر ذلك في نفسه وهو لايفهم حتى ابكاه . وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن ، فمنهم من اسلم لهذه الروعة لأول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر .

روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عن قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه ، حين جاء الى المدينة ليكلم النبي ﷺ في أسارى بذر قال : فلما بلغ هذه الآية ﴿ ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ﴾ كاد قلبي ان يطير اي حدث عنده فزع وخوف شديد ، حتى ظن ان قلبه يفنى ويطير زاد في رواية : وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي اي لانه لماسمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع ، لعرف الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله ، فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه ، وفي رواية : فصدع قلبي .

وفي رواية : انه لما سمع قوله تعالى ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ تحير واندهش ، فلما سمع ﴿ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ جلس وخاف ان العذاب ينزل به ، فلما سمع ﴿ يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً فويل يومئذ للمكذبين ﴾ اخذه خوف شديد ، فلما وصل الى قوله ﴿ ام هم المسيطرون ﴾ قال : كاد قلبي يطير الى آخر الحديث . ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه ، وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه .

ومن وجوه اعجازه :

ان قارئه لا يمله ولو اعاده مراراً مع ان القلوب جبلت على معادات المعادات ، وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه ، بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسناً وبهجة وقبولاً ، ولا يزال غضاً طرياً لا تتغير بهجته ونضارته ، فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ، ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يملّ مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات ، وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى احدث لها اصحابها لحوناً وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ، والمراد ان غير القرآن يخترع له اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ، ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه ﷺ بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال : انها ستكون فتنة قيل : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ﴿ قالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنابه ﴾ من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

ومن وجوه اعجازه جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد ﷺ قبل نزول الوحي عليه ، بل ولا يحيط احد من علماء الأمم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على فرق الأمم

ببراهين قوية بينة سهلة الألفاظ رام المتحذلقون ان ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى ﴿ لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ﴾ وكقوله تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم ﴾ وكقوله تعالى ﴿ قل يحييها الذي انشأها اول مرة ﴾ وكقوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا ﴾ وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى ﴿ والقمر قدرنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ﴾ ومن دقائق علم الطب ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ من دقائق علم الهندسة ﴿ انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لاظليل ولا يغني من اللهب ﴾ ففيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة ، وفيه جمل من علوم السير والاخلافق الحميدة وتزكية النفس ، وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم ، واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم ، والأمثال والأشياء التي دلت على البعث وآياته ، والاخبار بماكان ومايكون ، وما فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الأرحام الى غير ذلك ، قال تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ وأخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبيﷺ : اني منزل عليك توراة اي كتاباً يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه ، تفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب ، وعن كعب الأحبار عليكم بالقرآن ، فانه فهم العقول ونور الحكمة . وقال الله تعالى ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ وقال ﴿ هذا بيان للناس وهدى ﴾ فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجومع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظه على الضعف منه مرات .

ومن وجوه اعجازه

ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وبحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهذا دليل ، وفي اثناء هذه البلاغة امره ونيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارىء يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة .

ومن وجوه اعجازه

تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه . قال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول أعمارهم وامتداد ازمنتهم . قال سعيد بن جبير : ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرأونها الا نظرا في صحفها غير موسى وهرون يوشع بن نون وعزيز . وقد من الله تعالى على هذه الأمة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ، ويسر حفظه للغلمان في اقرب مدة .

ومن وجوه اعجازه

مشاكلة بعض اجزائه بعضاً وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى ، والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه ، وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد ، واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع ، وترغيب وترهيب الى دير ذلك من فوائده ، كضرب الأمثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه ، فتأمل اول صّ وما جمع فيها من اخبار الكفار ، وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم ، وما ذكر فيها من تكذيبهم بمحمدﷺ وتعجبهم ما أتى به والخبر عن انطلاق الملأ منهم واجتماعهم على الكفر ،وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجزيهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيب الأمم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم ، وتصبير النبيﷺ على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ، ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الأنبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا في اوجز كلام واحسن نظام على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل فصاحته .

ومن وجوه اعجازه

ان الله وسع على الأمة بقراءته على اوجه متنوعة وطرق متعددة وهي طرق القراءات المشهورة ، ومع ذلك لا يختل شيء من بلاغته وجميع انواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه ، وهذا لا يمكن مثله في كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد في انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شيء من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على اوجه متنوعة ، بخلاف القرآن العزيز قال تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت

الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فلم يقدر احد ان يأتي بمثل القرآن في زمن رسول الله ﷺ ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه احد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها ، فعجز غيرهم اولى وهم قد عرفوا ، انه ﷺ من قبل نبوته بأربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيئاً ، ولم ينشد شعراً لغيره فضلاً عن انشائه ، ولا يحفظ خبراً ولا يروي اثرا حتى أكرمه الله بالوحي المنزل ، والكتاب المفصل ، فدعاهم اليه وحاجهم به ، قال تعالى ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ وشهد له سبحانه وتعالى في كتابه بذلك ، قال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ﴾ ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضي ولا تتناهى ، واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصي عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا اكثر ، لانه ﷺ قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور: انا اعطيناك الكوثر ، فكل آية او آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسهامعجزات كما تقدم .

وجاء في حديث قدسي : من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين ، اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ، ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به ، العاملين بما فيه ، التالين له حق تلاوته إنك على كل شيء قدير والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

انشقاق القمر ، اعلم ان معجزاته ﷺ ترجع الى ثلاثة أقسام ما من وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله ، فأما القسم الماضي وهو ما كان قبل وجوده فكثير ، كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به ، وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته ، وهذا القسم سماه بعضهم إرهاصاً وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة ، وأماالقسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته ﷺ فكثير جداً اذ في كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات تسلبيه مالا يحصى ، فكرامات الأولياء من تتمات معجزاته ﷺ ورحم الله الأبوصيري حيث يقول :

والكرامات منهم معجزات حازها من توالك الأولياء

وأما القسم الثالث : وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته ، فما وجد قبل البعثة يسمى أيضاً ارهاصاً وذلك كالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رات أمه قصور بصرى .

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما : انّ آمنة قالت لما فضل مني تعني النبيﷺ : خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه إنما كان قبل البعثة ، وكذا كل ما كان قبل بعثته ، وما وجد بعد البعثة فكثير جداً ، فمنه انشقاق القمر ، وقد نطق القرآن به قال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وروى أحاديثه أهل السنن كالبخاري ومسلم والامام أحمد والبيهقي وبقية اهل السنن رووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم : علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر . قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكي : ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبيناﷺ : وهو من أمهات معجزاتهﷺ : قال في المواهب : وقد أجمع اهل السنة والمفسرون على وقوعه لأجلهﷺ قال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها شيء من آيات الأنبياء ، ولذا اختصر بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول اللهﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول اللهﷺ اشهدوا ، وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : أن أهل مكة سألوا رسول اللهﷺ ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين ، وكان أنس بالمدينة صغيراً ، فروايته كانت عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا رواية ابن عباس رضي الله عنهما لأنه اذا ذاك لم يولد .

وفي رواية للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال قد كان ذلك على عهد رسول اللهﷺ انشق فلقتين : فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل اي فوقه كما في الحديث قبله ، فقالﷺ : اشهدوا وفي رواية للامام أحمد

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا اي الكفار سحرنا محمد ، فقال رجل منهم اي وهو أبو جهل : ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس .

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه : فقال كفار قريش : سحركم ابن ابي كبشة ، فقال رجل منهم: ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره ان يسحر الأرض كلها ، فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فخبروهم انهم رأوا . مثل ذلك وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة ، ثم قالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمداً لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك ، رواه ابو داود والطيالسي .

وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فسلوا الكفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم ، وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا الكفار ، وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأينا فقال الكفار : هذا سحر مستمر .

وفي رواية لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ منهم الوليد ابن المغيرة وابو جهل والعاص ابن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحرث ونظراؤهم ، فقالوا للنبي ﷺ : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فانشق .

وفي رواية فقال لهم : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا . ورواه البخاري مختصراً عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ وابن عباس رضي الله عنهما : وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه : رأيت القمر منشقاً شقتين شقة على ابي قبيس وشقة على السويداء ، والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج . مكة عندها جبل .

وفي شرح المواهب : ان التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقا إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر ، ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر : رأيت الجبل بينهما اي بين الفرقتين لأنه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة

عن يساره صدق انه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره صدق عليه انها عليه أيضاً . ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه ان انشقاق القمر كان والنبي ﷺ بمنى وفي روايات أنس : ان ذلك كان بمكة ولا تعارض ، لأن مراد انس رضي الله عنه : ان ذلك كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى انها من جملة مكة .

بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل ان يصير الى المدينة ، فظهر ان المراد بذكر مكة في رواية انس الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة ، وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة ، وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل ، فيحتمل انهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا ابا قبيس . فقد روى ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انشق القمر ليلة اربع عشرة نصفاً على الصفا ونصفاً على الروة قدر ما بين العصر الى الليل .

وجاء انه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبي ﷺ احدى الفرقتين ، وقال : اشهدوا ثم أراهم الفرقة الأخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التي فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرير الانشقاق ، وانه وقع مرتين فلا تنافي بين الروايات : قال القاضي عياض في الشفاء : وحيث اجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على اهل الأرض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم ، وحاصل الردعليه انه لم ينقل لنا عن اهل الأرض انهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروه انشق ، بل لو فرض انهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الأرض لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض ، فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض ، وقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين ، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض او يحول بين قوم وبينه سحاب ، ولهذا توجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية ، وفي بعضها لا يعرفها الا ذو المعرفة . ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس في الليل السكون واغلاق الأبواب وقطع التصرف ، ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئاً الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء ، وكثيراً ما يكون خسوف القمر في البلاد واكثر الناس لا يعلم به حتى يخبر وكثيراً ما

يتحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وامور عظام ، تظهر بالليل في السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ، ومع ذلك قد سألت قريش كثيراً من أهل الآفاق فأخبروهم بانهم شاهدوا ذلك ، فقالوا : سحر مستمر اي عام ، وكان المخبرون هم السفار لان المسافرين في الليل غالباً يكونون في ضوء القمر ، ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم ، فان الغالب عليهم ان يكونوا نياماً ويكفي ذلك في ثبوت التواتر وان خفي على كثير من اهل الآفاق . وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ، ان الأجرام العلوية لملاستها الا يتهيأ فيها الأنخران والالتئام ، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الأسراء الى دير ذلك من افكارهم ما يكون يوم القيام من تكوير الشمس وغير ذلك ، وأجيب بانه لا انكار للعقل في ذلك فان القمر مخلوف ان يفعل فيه ما يشاء .

يحكى ان ابا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية وأخبر ملك الروم بأن هذا اجلّ علماء الاسلام ، احضر بعض بطارقته ليناظره فقال : تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم ؟ فقال له : وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ، ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فأفحم ولم يحر جواباً .

تنبيه

ما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه ، فليس له اصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال احدهما : انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر . وقال الآخر : بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه ، فأجاب : الاثنان مخطئان ، بل الصواب انه انشق وهو في موضعه من السماء ، وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه ، هكذا انبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ومن معجزاته

ﷺ رد الشمس له روت اسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وهي زوج جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم تزوجها ابو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي

الله عنه ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه : قالت : ان النبيﷺ كان يوحي اليه ورأسه في حجر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : أصليت يا علي ؟ قال : لا فقال رسول الله ﷺ : اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعده أغربت ، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهبا في خيبر رواه الأمام ابو جعفر الطحاوي ، وقال : ان احمد بن صالح المصري كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لأنه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار ائمة الحديث الثقات ، وحسبه ان البخاري روى عنه في صحيحه : ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث . في الموضوعات ؛ فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة ، قال السيوطي :

ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم

قال في المواهب : في حديث ردّ الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض : قال الزرقاني : وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ، ورواه ابن مردويه من حديث ابي هريرة باسناد حسن ايضا . ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ السلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن اسماء ، ولفظه ان رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبيﷺ العصر ، فوضع رسول الله ﷺ رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت ؟ قال : لا فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم ان عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس كي يصلي قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض ، وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء .

ورواه الطبراني أيضاً عن اسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت : اشتغل علي مع رسول الله ﷺ في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس ، فقالﷺ : يا علي ،

اصليت العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ، فتوضأ ﷺ وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين او ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر ، فنام علي فتوضأ وصلى العصر ، ثم تكلم ﷺ بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها ، فسمعت لها صريراً كالمشار في الخشبة ، وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني ايضاً في الكبير : كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه ، فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ لما سري عنه : صليت العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ، فدعا الله بكلمتين او ثلاث فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر . قالت اسماء : فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ، ومن القواعد ان تعدد الطرق يفيد ان للحديث أصلاً .

قال الزرقاني في شرح المواهب : ومن لطائف الاتفاقات الحسنة ان ابا المظفر الواعظ ذكر يوماً قريب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ، ورد الشمس له والسماء مغيمة غيماء مطبقاً فظنوا انها غربت وهموا بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراف ، فأشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالاً .

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
وأنني عنانك ان اردت ثناءهم انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ امر الشمس ان لا تغرب ، حتى تقدم عير قريش التى رآها ليلة الاسراء وأخبرهم انها تقدم يوم كذا ، وولي النهار ولم تجيء فتأخرت ساعة من نهار الى ان قدمت وروى يونس بن ابي بكر عن ابن اسحق امام المغازي قال : لما اسرى بالنبي ﷺ واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا : له متى تجيء ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار اي قارب ذلك اليوم ان يتم ، ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجيء العير ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس اي امسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون عليه السلام ، فهو محمول على ان

المعنى لم تحبس على احد من الأنبياء غيري الا ليوشع .

وقال الحافظ ابن حجر : الحصر محمول على الماضي للأنبياء قبل نبينا وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي ، وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه ، لأنه في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب ، وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب ، وقوله إلا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهرون عليهما السلام ، وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده ، فدعا الله تعالى أن يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر ، وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ، قيل : كان علم النجم صحيحاً قبل ذلك ، فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه .

ومن معجزاته

ﷺ كلام للشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة ، وأحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة ، رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم : عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وأنس بن مالك ويعلي بن مرة وغيرهم ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين . قال القاضي عياض في الشفاء : فصارت في انتشارها من القوّة حيث هي . قال الشهاب الخفاجي : يعني أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

روى البيهقي والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدنا منه أعرابي فقال له النبي ﷺ : أين تريد يا أعرابي ؟ قال : أهلي . قال : هل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه السمرة وهي بشاطيء الوادي ، فأقبلت تخدّ الأرض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه ﷺ ، فاستشهدها ثلاثاً اي طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله ﷺ فشهدت له بأنه رسول الله حقاً ، ثم رجعت إلى مكانها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : يا رسول الله ، إن يتبعوني

آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك .

وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : سأل أعرابي النبيﷺ آية أي علامة تدل على أنه رسول الله فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها ، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تخدّ الأرض تجرّ عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول اللهﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله : قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت ، فقال الأعرابي : أئذن لي أسجد لك أي بعد أن آمن به كما صرح به في رواية فقال له ﷺ : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها . فقال الأعرابي : فاذن لي اقبل يديك ورجليك ، فإذن له .

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : آذنت أي أعلمت النبيﷺ بالجنّ ليلة استمعوا له شجرة ، وان الجنّ قالوا له : من يشهد لك اي بأنك رسول الله ؟ فقال : هذه الشجرة . ثم دعاها للشهادة فجاءت تجرّ عروقها لها قعاقع ، وتقدم في مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين ، قصة ركانة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ، وفيها أنهﷺ لما طلب منه أن يسلم قال : لا إلا أن تريني آية . فقال له : إن أريتك آية تسلم ؟ قال : نعم ، وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها : أقبلي باذن الله تعالى : فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديهﷺ ويدي ركانة . فقال : أريتني أمراً عظيماً فمرها فلترجع ، فقال : أن أمرتها فرجعت تسلم ؟ قال : نعم ، فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر ، فقال له : أسلم فأبى ، وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضي الله عنه ، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين .

وروى البيهقي عن الحسن أن النبي : شكا إلى ربه من قومه في أوائل البعثة قبل قوة الإسلام وأهله ، وأنهم يخوّفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخالفة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادي كذا من أودية مكة ، فان فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ، ففعل فجاء يخط الأرض خطاً حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ، اي جعله مدة قائماً عنده ثم قال له : ارجع كما جئت ، فرجع فقال : علمت ان لا مخافة علي . ورواه بنحو هذا البزار وابو يعلى والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذكر فيه أنّهﷺ قال : أرني آية لا أبالي من

كذبني فذكر نحوه .

وروى البخاري في تاريخه ، والبيهقي والدارمي والترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : جاء أعرابي الى النبيﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ فقال : إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بي ؟ قال : نعم ، فدعا فجعل ينقز أي يثب حتى أتاه فقال : ارجع ، فعاد إلى مكانه ، فاسلم الأعرابي . وفي رواية : فجعل ينزل من النخلة شيئاً فشيئاً حتى سقط على الأرض فأقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبيﷺ ثم قال له : ارجع فعاد فأسلم الأعرابي وقال : أشهد أنك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ .

وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له : مالك ؟ فقال رسول الله ﷺ : فعل بي هؤلاء وفعلوا ، فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية أي تزيل حزنك ؟ فقال : نعم ، فنظر الى شجرة من وراء الوادي أي الذي كان فيه مع جبريل فقال : ادع تلك الشجرة فدعاها . قال : فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال : مرها فلترجع إلى مكانها ، فأمرها فرجعت الى مكانها ، فقال ﷺ حسبي حسبي .

وفي رواية : لا أبالي من كذبني من قومي بعد هذا أي لأن الجماد إذا أطاع دعوته دلّ ذلك على أن الناس تطيعه ، لكن تأخير ذلك لحكم خفية ، ورواه الدارمي من حديث أنس والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنهما ، وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : كنت مع النبيﷺ في مسير فذكر الحديث إلى أن قال : ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً فنام النبيﷺ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته . وفي رواية : طافت به ثم رجعت الى مكانها ، فلما استيقظﷺ ذكرت له ذلك فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي ، فاذن لها .

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ في غزاة حتى نزلنا وادياً أفيح أي واسعاً فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فاذا شجرتان في شاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ الى إحداهما فاخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي معي

باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، والمخشوش الذي وضع له الخشاش ، وهو عود يجعل في أنف البعير لينقاد بسهولة ، ثم فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال : ألتئما علي باذن الله ، فالتأمتا ، والمنصف ـ بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة أخره فاء ـ الموضع الوسط بين الموضعين ، والالتئام الاجتماع .

وفي رواية : أنه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر : قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت احضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الأمر الغريب العجيب ، فالتفت فاذا رسول الله ﷺ والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف ﷺ وقفة فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً ، وهو حديث واحد طوّله بعض الرواة واختصره بعضهم .

وروى البيهقي وابو يعلى عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في بعض مغازيه هل تعني مكاناً لحاجة رسول الله ﷺ اي تقصده وتعينه ؟ فقلت : إن الوادي ما فيه موضع خال عن الناس . فقال : هل ترى من نخل أو حجارة ؟ قلت : أرى نخلات متقاربات . قال : انطلق وقل لهن إن رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك ، فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاماً فقضى حاجته ، ثم قال لي : قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن يفترقن ، حتى عدن الى مواضعهن .

وروى الإمام أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عن يعلى بن سيابة رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في مسير وذكر نحواً من هذين الحديثين . وقال في رواية : فأمر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا . وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله في غزوة حنين ، ولله در البوصيري حيث يقول :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطراً لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللقم

اي الطريق .

ومن معجزاته

ﷺ تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له . روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، وأني لأعرفه الآن ، قال بعضهم : هو الحجر الأسود ، وقال آخرون : هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة ، والناس يتبركون بلمسه ويقولون : إنه هو الذي كان يسلم على النبي ﷺ متى اجتاز به . ذكر ذلك في المواهب ، ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الإمام ابو حفص الميانشي قال : أخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبني في الجدار المقابل لدار أبي بكر رضي الله عنه المشهورة ، هو الذي كلم النبي ﷺ .

وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله قال العلماء : وإنما كان هذا في بدء نبوّته تطميناً لقلبه وتبشيراً له بانقياد الخلق له بعد ذلك ، وإجابتهم لدعوته . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة : جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وروى أبو نعيم عن بريرة رضي الله عنها قالت : لما أراد الله كرامة نبيه ﷺ كان يمضي الى الثعلب وبطون الاودية ، فلا يمر وبشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان يرد عليهم وعليكم السلام ، قال بعضهم : فهذا أمر يقربه الحجر فكيف ينكره البشر ؟ رواه البزار وابو نعيم .

وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال : لم يكن النبي ﷺ اي في ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ، ومن ذلك تأمين أسكفه الباب أي عتبته وحوائط البيت على دعائه ﷺ .

وروى البيهقي وابن ماجه عن أبي أسد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه

وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : يا أبا الفضل لا ترم ـ بكسر الراء ـ أي لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك ، فان لي فيكم حاجة ، فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير بحمد الله تعالى . فقال لهم : تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى إذا أمكنوه اي اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال : يا رب هذا عمي وصنو أبي أي مثله ، وهؤلاء أهل بيتي أي من أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه ، قال : فأمّنت أسكفه الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين ، وبنو العباس هؤلاء هم : الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد وأختهم أم حبيبة رضي الله عنهم ، وفيهم يقول عبد الله الهلالي :

ما ولدت نجيبة من فحل   بجبل نعلمه أو سهل
كسبعة من بطن أم الفضل   أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل   وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الإمام أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهما أحداً فرجف بهم فقال : اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان .

وروى مسلم مثل هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه في حراء . وزاد وقال : ومعه علي وطلحة والزبير . وفي رواية : وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم . وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد وأو للتقسيم .

وروى مسلم أيضاً والترمذي والنسائي في حراء أيضاً عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : ومعه عشرة من أصحابه ، وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد . وفي رواية : أنه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ، ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طرباً بصعودهم عليه أو خوفاً وهيبة وإجلالاً وليست رجفة غضب كرجفته ببني إسرائيل لما حرفوا الكلم .

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قرأ على المنبر : ﴿ وما

قدروا الله حق قدره ﴾ ثم قال يحمد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال ، فرجف المنبر حتى قلنا ليخرّنّ عنه .

وروى البخاري ومسلم والبزار والطبراني وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، قال : قال : كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ، وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه : فجعل يطعنها ويقول : جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعبد ، ولا تنافي بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه يشير اليها من غير مس ، ليوافق ما قبله أو أنها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضي سقوطها عادة ، فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له ﷺ .

وروى الترمذي والبيهقي في حديث بحيرا الراهب وهو ـ بفتح الباء ـ مقصوراً في ابتداء أمره ﷺ وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه ابي طالب في تجارة ، وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرّة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : من أين عرفت هذا ؟ فقال : لأنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً له ولا تسجد إلا لنبي ، ولأنه أقبل وعليه غمامة تظلله ، ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فيء الشجرة جلس ﷺ فمال الفيء اليه .

ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه ﷺ في الحجارة وإلانة الصخر له . قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء : وهذا مما شاع في الأقطار ونظمه الشعراء في فصيح الأشعار ، فمن ذلك أنه ﷺ كان في بعض الأحيان إذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك إلى الآن ، وارتسم فيها مثاله بعينه ، والناس تنبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس . ونقل منه لمصر في أماكن متعددة حتى قيل : إن السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار ، وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن ، وانه ﷺ إذا مشى على الرمل أحياناً لا يكون لقدمه أثر .

وقال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية : كانﷺ إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديماً وحديثاً على الألسنة ، ونطق به الشعراء في قصائدهم النبوية ، والبلغاء في منثورهم ، مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ البالغ تعيينه ، وأنه أثره مبلغ التواتر . وفيه يقول أبو طالب :

وموطىء ابراهيم في الصخر وطؤه على قدميه حافياً غير ناعل

وبما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستاً او سبعاً لما فرّ بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي إلا ولنبيناﷺ مثلها ، ويؤيده وجود أثر حافر بغلتهﷺ في مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة إلى الآن ، وما ذاك إلا من سرهﷺ الساري في البغلة ليكون أوضح في الدلالة ، على أنه أوتي مثل ما أوتي الخليلﷺ ، على وجه أعلى منبه .

وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني : إن أثر قدمه ﷺ وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس . وذكر السيوطي في الخصائص أن من خطائصهﷺ انه ما وطىء على صخر إلا وأثّر فيه . قال بعضهم : كان ذلك قبل البعثة ، وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الأئمة الجهابذة من أهل الحديث ، فلا وجه لإنكار بعض القاصرين لها . وفي فتاوى الجلال السيوطي : من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة . إن أبا جهل قال : يا محمد إن أخرجت لنا طاوساً من صخرة في داري آمنت بك ، فدعا النبيﷺ ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ، ثم انشقت عن طاوس من صدره من ذهب ، ورأسه من زبرجد ، وجناحاه من ياقوت ، ورجلاه من جوهر ، فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى .

قال بعض المحققين . وفي معجزات نبيناﷺ ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف ، فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاتهﷺ : تسبيح الحصى في كفه ﷺ ، وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من

أهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي ذر وأنس ابن مالك رضي الله عنهما . ففي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت أتتبع خلوات النبي ﷺ فرأيته يوماً خالياً فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكاني أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قلت : الله ورسوله أي حبهما ، فأمرني أن أجلس ، فجلست الى جنبه لا أسأل عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعاً فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قال : الله ورسوله . فأشار بيده أن أجلس ، فجلس الى ربوة مقابل النبي ﷺ ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه . ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك ، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ، ثم وضعهنّ بالأرض فخرسن ثم أخذهن وناولهنّ أبا بكر رضي الله عنه ، فسبحنّ في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم تناولهنّ وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحت في كفه كما سبحت في كف أبي بكر رضي الله عنه .

وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ثم تناولهن من الأرض وناولهن عثمان رضي الله عنه ، فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا . وفي رواية أنس رضي الله عنه : ثم وضعهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن ، واستشكل قوله ثم وضعهن في أيدينا بأن ما تقدم يقتضي أنه لم يحضر غير أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر رضي الله عنهم ، وأجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الأمر ، ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه خصوصاً وقد كان خادم النبي ﷺ فتقل مفارقته له ، ولم يذكر عليّ رضي الله عنه لأنه لم يكن حاضراً معهم في ذلك المجلس ، وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ، ولو كان حاضراً السبحت في كفه قطعاً .

و من معجزاته ﷺ : تسبيح الطعام وهو يؤكل . روى البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام .

وفي الشفاء للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمّان وعنب ، فأكل منه ﷺ فسبح . وروى ابو الشيخ عن انس رضي الله عنه قال : أتى النبي الله ﷺ بطعام ثريد فقال : إنّ هذا الطعام يسبح ؟ قالوا : اوتفقه تسبيحه ؟ قال : نعم ، ثم قال لرجل : أدن هذه القصعة من هذا الرجل ، فأدناها فقال : نعم يا رسول الله ، هذا الطعام يسبح ، ثم قال ردها فردّها ، وظاهر هذا انه كان يسبح وهو في الإناء ، وظاهر حديث البخاري أنه كان يسبح بعد وضعه في الفم ولا مانع منهما . وفي قوله : كنا دليل على تكرره وأنه وقع مراراً عديدة وهو آية للنبي ﷺ أعظم من تسبيح الجبال مع داود ، وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام ، وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهي بيد داود عليه السلام ، بخلاف الحصى فانها سبحت بيده ﷺ، ويد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما إذ لم يعهد مثله ، والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع ، وإنما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لأن الطير ناطق في الجملة بخلاف الطعام .

وروى البيهقي أن أبا الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما كانا إذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة ، وذلك أنهما بينما هما يأكلان في صحفة إذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبي ﷺ ، مع ظهور صوت دالّ على ذلك الشوق ، والجذع واحد جذوع النخل ، وهو بالذال المعجمة وقد روي حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك ، حتى صار متواتراً .

قال القاضي عياض والتاج السبكي والحافظ ابن حجر وغيرهم : إن حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة نقلت نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ، ممن لا ممارسة له في ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا ﷺ .

وقال الشافعي رضي الله عنه : ما أعطى الله نبياً مثل ما أعطى نبينا محمداً ﷺ ، فقيل له : أعطي عيسى عليه السلام ، إحياء الموتى ، فقال : أعطي نبينا محمداً ﷺ حنين الجذع حين سمع صوته فهي أكبر من ذلك .

وقال القاضي عياض في الشفاء حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أي لكثرة طرقه الصحيحة . ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب اخرجه أهل الصحيح ، أي الذين التزموا إخراج الأحاديث الصحيحة في كتبهم كالشافعي والإمام احمد والبخاري وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والطبراني والحاكم والدارمي . ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أُبيّ بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة السهمي .

فما رواه الشافعي في مسنده حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي مستنداً الى جذع اذ كان المسجد عريشاً أي مسقوفاً بالجريد ، وكانت الجذوع له كالأعمدة وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه أي وهو تميم الداري رضي الله عنه : هل لك أن تجعل منبراً تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر أي في خلافة معاوية رضي الله عنه ، لأنه مروان زاد فيه ست درجات ، وقال : إنما زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك إلى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له ﷺ موضعه الذي هو فيه فكان إذا بد الرسول الله ﷺ أن يخطب فتجاوز الجذع الذي يخطب عليه خار ، فنزل رسول الله ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكت ، ثم رجع الى المنبر .

وفي رواية للبخاري عن جابر رضي الله عنه : فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة رفع أي النبي ﷺ الى المنبر فصاحت النخلة . زاد في رواية : صياح الصبي حتى كادت أن تنشق ، فنزل رسول الله ﷺ فضمها أي النخلة . وفي رواية : فضمه أي الجذع اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن . قال عليه الصلاة والسلام : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها . وفي رواية للبخاري عن جابر أيضاً رضي الله عنه ، كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت ، والعشار ـ بكسر العين ـ النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة أشهر .

وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه : اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج - بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم - الناقة التي انتزع ولدها . وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه : فحنت الخشبة حنين الواله . وفي رواية للإمام أحمد والدارمي وابن ماجة عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه . فلما جازه خار الجذع حتى تصدع وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد ، فلم يزل عنده حتى بلى وصار رفاتاً ، وهذا لا ينافي أنه جاء في رواية : فأمر به نبي الله ﷺ فدفن تحت المنبر لاحتمال أنه ظهر بعد الهدم عند التنظيف ، فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه . وفي رواية لأبي يعلى عن أنس رضي الله عنه : خار كخوار الثور ، وارتج المسجد لخواره حزناً على رسول الله ﷺ .

وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية : حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت . وقال : والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة . وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه فقال : يعني النبي ﷺ للجذع حين سمع حنينه : إن شئت أن أردك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى له يستمع ما يقول . فقال : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يليه : فقال النبي ﷺ قد فعلت . ثم قال النبي ﷺ : اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا .

قال القاضي عياض في الشفاء : وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بهذا بكى ، وقال : يا عباد الله ، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه . قال في المواهب : إن الله خلق في الجذع حياة وعلما حتى صوّت واشتاق ، وقد عامله النبي ﷺ معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته ، يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ، ولله در القائل :

وحنّ اليه الجذع شوقاً ورقة ورجع صوتاً كالعشار مردّدا
فبادره ضما فقر لوقته لكل امرىء من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني : يعني أنه أمر مسطر في كل من اعتاد أمراً وانقطع عنه ، فانه يتألم لذلك ويحزن ، فاذا رجع اليه فرح واطمأن . وهذا الجذع لما ألف مقامه ﷺ عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته ، فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفراً طويلاً ، لا سيما إذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ، ولله در القائل :

وألقى حتى في الجمادات حبه ... فكانت لإهداء السلام له تهدي
وفارق جذعاً كان يخطب عنده ... فأنّ أنين الأم إذ تجد الفقدا
يحنّ اليه الجذع يا قوم هكذا ... أما نحن أولى أن نحنّ له وجدا
إذا كان جذع لم يطق فقد ساعة ... فليس وفاء أن نطيق له بعدا

ومن معجزاته ﷺ : سجود الجمل له ، وشكواه كثرة العمل وقلة العلف . روى الإمام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون أي يسقون عليه ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فدخل الحائط اي البستان والجمل في ناحية : فمشى رسول الله ﷺ نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله ، قد صار مثل الكَلْب الكَلِب أي العقور ، وإنا نخاف عليك صولته . فقال رسول الله ﷺ : ليس علي منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه أي واضعاً مشفره باركاً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك ، فقال رسول الله ﷺ : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .

وروى الإمام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلي بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع النبي ﷺ في سفر إذ مررنا ببعير يسني عليه فلما رآه البعير

جرجر أي صوت كثيراً فوضع جرانه ، وهو بالكسر مقدم العنق ، فوقف النبيﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء فقالﷺ له : بعنيه . فقال : بل نهبه لك يا رسول الله ، وأنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال : أما إذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسن اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف .

وروى الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه ان جملاً جاء الى رسول الله ﷺ فلما كان قريباً منه خرَّ الجمل ساجداً ، فقالﷺ : يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا . قال : فما شأنه ؟ قالوا : سنوناً عليه عشرين سنة ، فلما كبر سنه أردنا نحره . فقالﷺ : تبيعونه ؟ قالوا : هو لك يا رسول الله . فقال : أحسنوا إليه حتى يأتي أجله . فقالوا : يا رسول الله ، نحن أحق أن نسجد لك من البهائم . فقال : لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان النساء لأزواجهنّ . وفي رواية : أنه قال لصاحب الجمل : ما لبعيرك يشكوك زعم أنك شنأنه حين كبر تريد أن تنحره ؟ فقال : صدقت ، والذي بعثك بالحق لا أفعل .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما إن رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطاً فسد عليهما الباب ، ثم جاء رسول اللهﷺ فأراد أن يدعو له والنبي ﷺ قاعد معه نفر من الأنصار فقال : يا رسول الله ، إني جئت في حاجة وإنه كان لي فحلان فاغتلما وإني أدخلتهما حائطاً وسددت عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله عز وجل . فقالﷺ لأصحابه : قوموا معنا ، فذهب حتى أتى الباب فقال : إفتح ، فشفق الرجل على رسول اللهﷺ فقال : افتح ففتح ، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب ، فلما رأى رسول اللهﷺسجد له ، فقالﷺ : ائتني بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه ، فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجداً فقال: ائتني بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه ، فجاء بخطام فشدّ به رأسه وامكنه منه . وقال : اذهب فانهما لا يعصيانك .

وروى الإمام أحمد وابو داود ابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : أردفني رسول اللهﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس . قال : وكان أحب ما استتر به النبيﷺ أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شيء مرتفع على الأرض ، أو حائش نخل أي وهو النخل المجتمع ، فدخل حائط رجل من

الأنصار أي لحاجته فإذا جمل ، فلما رأى الجمل النبيﷺ حنّ فذرفت عيناه ، فأتاه النبيﷺ فمسح ذفراه أي وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي يا رسول الله ، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل .

وفي رواية : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل ، فلما دخل النبيﷺ دعاه فوضع شفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه ، أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه . وقالﷺ : ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجنّ والأنس .

ومن معجزاتهﷺ : سجود الغنم وطاعتها لهﷺ . روى الإمام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل رسول اللهﷺ حائطاً أي بستاناً لأنصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ورجل من الأنصار . وفي الحائط غنيم فسجدت له أي تعظيماً له لما شاهدت نور نبوته ، وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك من الغنم ، فقال رسول اللهﷺ : لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد .

وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . أن رجلاً أتى النبيﷺ وآمن وهو على بعض حصون خيبر ض، وكان الرجل في غنم يرعاها لأهل خيبر . فقال : يا رسول الله ، كيف لي بالغنم ؟ قال : أحصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل ، فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة لهﷺ ، فهذا من طاعات الحيوانات له .

ومن معجزاتهﷺ : كلام الذئب وإقراره برسالتهﷺ . روى الإمام أحمد بإسناد جيد ، والترمذي والحاكم بإسناد صحيح ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي ، فقال الراعي : يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ، محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . وفي رواية رسول الله في النخلات بين الحرتين : يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك . وفي لفظ : يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه . قال ابو سعيد : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، ثم أتى رسول

الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للأعرابي : أخبرهم أي بما شاهدته يسروا ، ويزداد إيمانهم فأخبرهم .

وفي رواية : وكان الرجل يهودياً فجاء وأسلم وأخبر النبي ﷺ وصدقه ، ثم قال ﷺ : إنها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج ، فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده . وفي رواية أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال الذئب للراعي : أنت أعجب مني واقف على غنمك وقد تركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه قدراً عنده ، وقد فتحت له أبواب الجنة وأشراف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب ، فتصير في جنود الله ؟ قال الراعي : من لي بغنمي ؟ قال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع ، فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته وإسلامه ، ووجوده النبي ﷺ يقاتل ، فقال له النبي ﷺ : عد الى غنمك تجدها بوفرها أي لم ينقص منها شيء ، فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها .

وروى قصة كلام الذئب أيضاً الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه ، وروى سعيد بن منصور عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي ﷺ ، وجعل يبصبص بذنبه أي يحركه ، فقال ﷺ : هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً . قالوا : والله لا نفعل ، وأخذ رجل من القوم حجراً ورماه به فأدبر الذئب وله عواء . فقال ﷺ : الذئب وما الذئب ؟ وهذا الاستفهام مفخم أمره .

قال القاضي عياض في الشفاء : وقد روى ابن وهب أن الذئب كلم أبا سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية قبل إسلامهما ، وذلك أنهما وجدا ذئباً يريد أخذ ظبي فجرى الذئب خلف الظبي من الحل ، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه فعجباً من ذلك ، فقال الذئب لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار . فقال ابو سفيان لصفوان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أي لأهلها ليتركنها خلوفاً ـ بضم الخاء المعجمة ـ اي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها بإسلامهم وهجرتهم الى المدينة ، وسمى ذلك فساداً باعتبار زعمهم الذي كانوا يعتقدونه قبل إسلامهم .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الحمار ، أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضي الله

عنه قال : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حماراً أسود فكلم رسول الله ﷺ الحمار فكلمه الحمار ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كل منهم لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لانه لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك ، وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمداً وكان يجيع بطني ويضرب ظهري ، فقال له النبي ﷺ : فأنت يعفور ، وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته ، فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه ، فإذا أخرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء الى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهاب فتردى فيها جزعاً على رسول الله .

وقال الواقدي : مات يعفور منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع ، وبه جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي ﷺ . وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه إبن حبان وغيره وأنكره بعضهم . وقال : إنه موضوع . وقال بعضهم : انه ضعيف وقد تعددت طرقه .

قال العلامة الزرقاني : وليس فيه ما ينكر شرعاً فلا يدع في وقوعه له ﷺ فنهايته الضعف لا الوضع .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الضب ـ بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بريّ يشبه الورل . قال ابن خالويه : لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعداً ، يقال انه يبول كل أربعين يوماً ما قطرة ، ولا يسقط له سن ، ويقال : إن أسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الألسنة ، وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابي من بني سليم ، قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة أي الصحابة قال : من هذا ؟ قالوا : نبي الله .

وفي رواية الدارقطني : فقال علي : من هؤلاء الجماعة ؟ فقيل له : على هذا الذي يزعم انه نبي فأتاه فقال : يا محمد ، ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك فلولا أن تسميني العرب عجولاً لقتلتك ولسررت الناس أجمعين فتلك ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أقتله . فقال ﷺ : أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبياً . ثم أقبل الاعرابي على رسول الله ﷺ فأخرج الضب من كمه وقال : واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن

هذا الضب ، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : يا ضب ، فأجابه بلسان بين . وفي رواية : فكلمه الضب بلسان فصيح عربي مبين يسمعه . وفي رواية : يفهمه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . قال : من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابي .

زاد الدار قطني وابن عدي فقال : الاعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقاً ، ولقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلي منك ووالله لأنت الساعة أحبّ إليّ من نفسي وولدي ، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال ﷺ : الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ولا يقبله الله إلا بصلاة ، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن . قال : فعلمني فعلمه ﷺ الفاتحة والإخلاص ، فقال : يا رسول الله ، ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا . فقال ﷺ : هذا كلام رب العالمين وليس بشعر ، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن ، وإن قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن ، وان قرأتها ثلاثاً فكأنما قرأت القرآن كله ، فقال الاعرابي : نعم الإله إلهنا ، يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال ﷺ : ألك مال ؟ فقال : ما في سليم قاطبة أفقر مني . فقال ﷺ لأصحابه : أعطوه فأعطوه حتى أثروه .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إني أعطيه يا رسو ل الله ناقة عشراء أهديت إليّ يوم تبوك تلحق ولا نلحق ، اتقرب بها الى الله دون البختي وفوق الغربي . فقال ﷺ : لقد وصفت ما نعطي فأصف لك ما يعطيك الله ؟ قال : نعم ، قال ، لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمرّ بك على الصراط كالبرق الخاطف ، فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فتلقاه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة بألف رمح وألف سيف ، فقال لهم : اين تريدون ؟ فقالوا : هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبي . فقال الأعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالوا : صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ثم أتوا النبي ﷺ فتلقاهم بلا رداء ، فنزلوا عن

ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقالوا : يا رسول الله مرنا بأمرك . فقال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد . قال ابن عمر رضي الله عنهما : فلم يؤمن في أيامه ﷺ من العرب ولا من غيرهم الف غيرهم ، وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود ، كيف ؟ وقد رواه الأئمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذه البيهقي : وهو لا يروي موضوعاً . والدارقطني وناهيك به ولحديث ابن عمر طرق .

ورواه ابو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومن حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما غاية الأمر ، أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوي بعضها بعضاً والله أعلم .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الغزالة اي كلامها له ، روى حديثهما البيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوي بعضها بعضاً فيعلم أن له أصلاً فيكون حسناً لغيره ، وذكر القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض ، فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له . ورواه ابو نعيم في الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضاً رضي الله عنهما قالت : بينما رسول الله ﷺ في صحراء من الأرض إذ هاتف يهتف : يا رسول الله ثلاث مرات ، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي مجندل في شمله نائم في الشمس ، فقال لها : ما حاجتك ؟ قالت : صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل ، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وارجع قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أرجع فأطلقها فذهبت فارضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها النبي ﷺ كما كانت فانتبه الأعرابي من نومه فقال : يا رسول الله ، ألك حاجة ؟ قال : نطلق هذه الظبية فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

وفي رواية لزيد بن أرقم رضي الله عنه قال فيها : فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وراه الطبراني بنحو هذا ، وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة ، وأنكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال : لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض ،

أوردها شيخنا شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر الكبير في الأصول لابن الحاجب . وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب ، وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وإن لم يكونا اليوم متواترين لعلّهما تواتراً إذ ذاك .

وقال الحافظ ابن حجر : والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن معجزاتهﷺ : تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها وشهادتها عندهﷺ ، والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة . وقد روى ذلك الإمام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الأندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول اللهﷺ قرّ أي سكن وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب ، وإذا خرج رسول اللهﷺجاء وذهب أي مشى في البيت وتردّد فيه ، لأنه ليس ثمة من يهابه ، وقيل : معناه لم يقر لعدم رؤيتهﷺ شوقاً له ، وكلاهما أي ألف الحيوان الذي لا يعقل لهﷺ ومهابته عنده آية ظاهرة .

وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضاً وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال : قرب إلى رسول اللهﷺ بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بأيتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليهﷺ رغبة في أن يذبحها وانقياداً له بإلهام من الله تعالى ، رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم .

وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : غزونا مع رسول اللهﷺ حتى إذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا بأعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على النبيﷺ فقال : السلام عليك يا نبي الله ، فرد عليه السلام ، فجاء رجل وقال : إن هذا الأعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهوﷺ منصت له ثم قال للرجل : انصرف فان البعير يشهد بأنك كاذب وعبارة الشفاء : ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبيﷺ لصاحبها أنه ما سرقها وإنها ملكه .

وفي الشفا أيضاً ومن هذا القبيل ما روي أنهﷺ قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره ، والفرس غير مربوط : لا تبرح بارك الله فيك ، حتى نفرغ من صلاتنا ،

وجعله في قبلته فما حرك عضواً حتىﷺ ففيه معجزة له ، حيث فهم الحيوان كلامه ، ومما يندرج في تسخير الحيوانات لهﷺ ما رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي في سننه ، من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول اللهﷺ إذ وجهه الى معاذ باليمن ، فلقي الأسد فقال له : أنا سفينة مولى رسول اللهﷺ ومعي كتابه ، فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق ، وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك . وفي رواية للبزار والبيهقي صححهما السيوطي : ان سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به ، فخرج الى جزيرة فإذا الأسد قال فقلت له : أنا مولى رسول اللهﷺ ، فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق ، وأخذﷺ مرة بأذن شاة أي أمسكها بأصبعيه ثم خلاها ، فصار ذلك مبسماً فيها ، وفي نسلها .

ويلتحق بهذا المبحث ما روى الواقدي ان النبيﷺ لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم ، والواقدي إمام جليل من أئمة السير وثقة بعضهم وتكلم فيه بعضهم . قال الشهاب الخفاجي : وكفى برواية الشافعي عنه دليلاً على صحة ما رواه ، وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفاء : والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاتهﷺ : نبع الماء الطهو من بين أصابعهﷺ ، قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعهﷺ قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض : هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة ، متصلة بالصحابة . وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ، ولم يرد عن أحد منهم ، إنكار على الراوي ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاتهﷺ .

وحديث نبع الماء جاء من روايه أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر عندهم من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الإمام أحمد والطبراني من طريقين ، فقول ابن بطال لم يرد إلا من طريق أنس مردود ، وهذه المعجزة لم يسمع أنها وقعت لغير نبيناﷺ وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام ، حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة

عينا لأن خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة ، بخلاف نبع الماء بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم :

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب : وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم : أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنه ، فأما حديث أنس ففي الصحيحن قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، زاد في رواية وهو بالزوراء ، موضع بسوق المدينة ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فرفع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه ، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم ، وكانوا سبعين أو ثمانين . وفي رواية : فقلنا لأنس كم كنتم : قال : كنا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة ، وأنهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعاً أنس رضي الله عنه . وقوله : حتى توضؤوا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كان الآخر هو الذي ابتدىء به ، إشارة الى أن الآخر أسبغ الوضوء من غير نقص مثل إسباغ الأول ، بل كأنه هو الأول ، وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فقال المسلمون : يا رسول الله ، عطشت دوابنا وإبلنا ، فقال : هل من فضله ماء ؟ فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشيء من ماء . فقال : هاتوا صحفة ، فصب ، الماء ثم وضع راحته في الماء : قال أنس رضي الله عنه فرأيتها اي الصحفة تخلل عيوناً أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا إبلنا ودوابنا وتزوّدنا ، أي حملنا الماء معنا . فقال ﷺ : أكفيتم ؟ قلنا : نعم ، يا رسول الله . فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء .

وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ الى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح ، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه ، ثم قال للقوم : هلموا الى الشراب . قال أنس رضي الله عنه : بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه ، فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعاً . وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ

منها فجهش الناس حوله أي أسرعوا فقال : مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه إلا ما بين يديك . فوضع ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قال سالم : قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وروى هذه القصة البخاري أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وقال : كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة ، فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ، ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري : كنا ألفاً وأربعمائة أو أكثر ، واعتمد النووي هذا الجمع . قال لصحة الروايات كلها . عن جابر رضي الله عنه : انه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع ولفظه ، قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله : ناد ألا وضوء ، فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء ، قال : ثم قلت : يا رسول الله ، ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ وأصحاب له ما في أشجاب على حمارة من جريد ، قال : فقال لي انطلق الى فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء ؟ فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم أجد إلا شيئاً يسيراً لو أني أفرغه لشربه يابس الإناء ، فرجعت فأخبرته . قال أذهب فأت به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه فقال : يا جابر ، ناد بجفنة ، فقلت : يا جفنة الركب ، فأتى بها تحمل فوضعها بين يديه فقال ﷺ بيده هكذا ، فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر ، فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ﷺ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت . فقال : يا جابر ، ناد من كانت له حاجة بماء . قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه . وقوله في أشجاب جمع شجب وهي القربة البالية . وروى حديث جابر رضي الله عنه الإمام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ العطش ، فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيئاً من الماء ، ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال : استقوا فاستقى الناس ، فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه ﷺ . وفي

لفظ : عن جابر أيضاً قال : فوضع رسول الله ﷺ كفه في الإناء ثم قال : باسم الله . ثم قال : اسبغوا الوضوء . قال جابر : فوالذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لأنه عمي آخر عمره رضي الله عنه ، لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه ﷺ ، فما رفعها أي يده حتى توضؤوا أجمعون : ورواه أيضاً عن جابر البيهقي في الدلائل . قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر أي وهو الحديبية ، فأصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا الى رسول الله . قال جابر : فوضع رسول الله ﷺ يده في تور من ماء . وهو ـ بفتح المثناة الفوقية ـ إناء من حجارة أو صفر بشرب فيه قيل : إنه يشبه الطست ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون . قال : خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا ، قلت لجابر : كم كنتم ؟ قال : كنا ألفا وخمسمائة ، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ أي في سفر ، قيل هو الحديبية ، وجزم أبو نعيم بان ذلك كان في غزوة خيبر . ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا : أطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء .

وفي رواية : فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ . قال ابن مسعود رضي الله عنه : فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله في جوفي أي لطلب البركة .

وفي رواية : قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك والبركة ، من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبي ﷺ يطلب ماء قليلاً ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ، ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى ، اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصل ، ولئلا يظنّ بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء ، وللإشارة إلى أن الله تعالى أجرى العادة في الدنيا غالباً بالتسبب ، وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضاً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . قال : دعا النبي ﷺ بلالاً لطلب الماء ، فقال بلال : لا والله ما وجدت الماء ، فقال : هل من شن ، فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين ، فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه

الدارمي وأبو نعيم ، ورواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى ، ورواه أبو نعيم أيضاً من طريق القاسم بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه أبي رافع مولى النبي ﷺ والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته ﷺ وبمسه لمحله وبدعوته ، فمن ذلك ما تقدم ذكره في غزوة تبوك أنه ﷺ مع أصحابه جاؤوا عين تبوك فوجدوها تبضّ بشيء من ماء مثل شراك النعل . قال معاذ بن جبل ، الراوي لهذه القصة : فعرفنا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء ، ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير .

وفي رواية : فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام : يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جناناً أي بساتين وعمراناً ، فكان كما أخبر ﷺ .

وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنهما ومروان بن الحكم : ان النبي ﷺ وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ، فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، والثمد ـ بفتحتين ـ حفرة فيها ماء قليل .

وفي رواية للبخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : انه ﷺ توضأ فتمضمض ودعا ومج في بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك . وفي مغازي أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدي المدني يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضي الله عنه : أنه ﷺ توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج في الدلو وأمر أن يصب في البئر ، ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ، ودعا الله تعالى ففارت إلى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس عل شفيرها ، فجمع في هذه الرواية بين التوضؤ والمج والقاء سهم من كنانته .

ففي رواية البخاري اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه ﷺ ، وهذه القصة غيرالقصة السابقة قريبا في ذكر نبع الماء من بين اصابعه ﷺ ، مما رواه البخاري ومسلم في المغازي من حديث جابر رضي الله عنه ، لأنه قال في حديثه فجعل الماء

يفور من بين أصابعه . وفي حديث البراء : انه صب ماء وضوئه في البئر فالقصة متعددة فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ما هو اعم من ذلك كشرب وسقي دواب ، ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها .

قال في فتح الباري : وفي حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين ، وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما مما رواه البخاري ومسلم في قصة الحديبية ، وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله ﷺ على شفيرها . قال البراء وأتى ﷺ بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ، ثم قال : دعوها ساعة . قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا . وفي رواية : فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعنا بهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر قيل هو الحديبية ،وقيل تبوك ، وقيل غيرهما ، فاشتكى الناس اليه ﷺ العطش ، فنزل ﷺ ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال : اذهبا فابتغيا الماء ، فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين ، فجاآبها الى النبي ﷺ فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين وأوكاء افواههما ، ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في الناس اسقوا واستقوا ، ففعلوا والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ، ثم قال ﷺ لاصحابه : اجمعوا لها اي للمرأة اي تطيبا لخاطرها ، في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن السير الى قومها ، وما نالها من خوف اخذ مائها .

قال بعضهم : انما اخذوها واستجازوا اخذ مائها لانها كانت حربية ، وعلى فرض ان يكون له عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض ، على ان نفس الشارع ﷺ تفدى بكل نفس ، فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيراً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها ، وقال لها ﷺ : تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي سقانا فأتت اهلها وقد احتبست عنهم فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ فقالت : العجب ، اي حبسني العجب ، لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابىء ، ففعل كذا وكذا ، وحكت له ما

فعل ثم قالت : فوالله انه لأسحر الناس كلهم ، او انه لرسول الله حقاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوماً لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم عمداً فهل لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام ، وتقدمت هذه القصة في غزوة تبوك ، وتقدم فيها ايضاً انه ﷺ توضأ من ميضأة لأبي قتادة رضي الله عنه ، وبقي فيها شيء من ماء ثم قال ﷺ لأبي قتادة : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ . ثم اصابهم عطش شديد فشكوا عليه ﷺ ذلك ، فدعا بالميضأة فجعل ﷺ يصب في قدحه وأسقيهم راد الامام احمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركائبهم وملؤوا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ ثم صب الماء فقال لي : اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ، قال : ان ساقي القوم آخرهم شرباً قال : فشربت وشرب رسول الله ﷺ .

وتقدم في الوفود عند ذكر وفد بني فزارة انهم شكوا اليه القحط فدعا لهم ﷺ ، فأمطرت السماء عليهم سبعاً حتى قالوا : يا رسول الله ، تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادي قناة شهراً ، وقناة يمنع الصرف بدل من الوادي وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية احد به مزارع ،ولم يجيء احد من ناحية الاحدث بالجودة بفتح الجيم اي المطر الكثير وتقدم في غزوة تبوك انهم عطشوا عطشاً شديداً فقال ابو بكر رضي الله عنه : يأ رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيراً فأدع الله لنا ان يسقينا قال : اتحبون ذلك ؟ قال نعم ، فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء اي غيمت وظهر فيها سحاب فانكبت ، فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر .

وروى ابن اسحق في مغازيه عن عمر وبن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن ابيه عن جدّه عبد الله ان ابا طالب قال : كنت بذي المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة ، كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية فأدركني العطش ، فشكوت الى ابن اخي يعني النبي ﷺ فقلت : يا ابن اخي عطشت وقلت له ذلك وانا لا أرى عنده شيئاً فثنى وركه ثم نزل عن الدابة ، وكان ﷺ رديفاً لأبي طالب ، وقال : يا عم عطشت فقلت نعم ، فأهوى بعقبه الى الأرض اي ضرب الأرض بقدمه فاذا بالماء فقال : اشرب يا عم ، فشربت ورواه أيضاً ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في قصة حفر الخندق قال : رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً وهو ضمور البطن من الجوع ، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغراً ، وهي الصغيرة من أولاد المعز . وفي رواية عناق داجن اي لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفي رواية : فأمرت امرأتي فطحنت لنا الشعير .

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه : انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤوا الى النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقال : انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، و ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقاً ، فاخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كنيبا اهيل او اهيم فقلت : يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافي كادت ان تنضج فقالت امرأته : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه فجئته فسار رنه فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير فتعال انت ونفر معك يعني دون العشرة .

وفي رواية : فقلت طعيم لنا صنعته فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان وكنت اريد ان ينصرف وحده قال : كم هو؟ فذكرت له فقال : كثير طيب، قل لها الا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فصاح النبي ﷺ يا اهل الخندق ان جابراً صنع سوراً فحيهلا بكم اي هلموا مسرعين والسور الطعام الذي يدعى اليه وفي رواية : فقال قوموا ، فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم : قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم وفي رواية قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله تعالى ، وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق ، فدخلت على امرأتي اقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند اجمعين : فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ فقلت : نعم: فقالت : الله ورسوله اعلم ، نحن اخبرناه بما عندنا .

وفي رواية : انها خاصمته في اول الامر وقالت : بك وبك ، فلما اعلمها بانه اعلم به النبي ﷺ سكن ما عندها وقالت : الله ورسوله اعلم لعلمها بامكان خرق العادة ، ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية

فقال النبيﷺ : لا تنزلن برمتكم ولا تخبرن عجينكم حتى اجيء ثم جاء وفي رواية فجئت وجاء النبيﷺ يقدم الناس ، فأخرجت المرأة له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك ، اي دعا بالبركة ثم قال لجابر ادع خابزة فلتخبز مع زوجتك . ثم قال لها : واقدحي اي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهي اي القوم الذين جاؤوا معه الف واقعدهم عشرة عشرة يأكلون فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا اي مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط اي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبزكما هو .

وفي رواية : فقالﷺ لأصحابه : ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال : كلي هذا وأهدي فان الناس أصابتهم مجاعة وفي رواية : فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا فقال : كلي واهدي فلم نزل ونأكل ونهدي يومنا اجمع وفي رواية : فاكلنا واهدينا لجيراننا فلما خرجﷺ ذهب ذلك وصريح هذا ان الذي باشر الغرف النبيﷺ فيخالف ظاهر قوله : واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على ان مباشر ذلك المرأة ، ويمكن الجمع بينهما فإنها كانت تساعده في الغرق .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال ابو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه وهو زوج ام انس لام سليم رضي الله عنها ، وهي ام أنس رضي الله عنهما : لقد سمعت صوت رسول اللهﷺ ضعيفاً اعرف فيه الجوع . وفي رواية لمسلم ، قال ابو طلحة : جئت رسول اللهﷺ وقد عصب بطنه بعصابة ، فسألت قالوا : من الجوع وفي رواية للامام احمد : ان ابا طلحة رأى النبيﷺ طاوياً فدخل على ام سليم فقال : هل عندك من شيء يأكله النبيﷺ ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم اخرجت خماراً فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ، اي تحت ابطي ولاثتني اي ببعض الخمار اي ادارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ، ثم ارسلتني الى رسول اللهﷺ فذهبت به فوجدت رسول اللهﷺ في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه .

وفي رواية فقمت عليهم فقال لي رسول اللهﷺ : أأرسلك ابو طلحة ؟ قلت : نعم ، قال الطعام اي لأجله ؟ قلت : نعم فقال رسول اللهﷺ لمن معه من اصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون او ثمانون رجلاً ، وانطلقت بين ايديهم ولأبي نعيم اخذﷺ

بيدي فشدها ثم اقبل باصحابه ، حتى إذا دنوا أرسل يدي فدخلت وانا حزين لكثرة من جاء معه ، حتى جئت ابا طلحة فأخبرته بمجيئهم قال : يا انس ، فضحتنا . وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة ثم قال ابو طلحة ، يا ام سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم اي قدر ما يكفيهم . فقالت : الله ورسوله اعلم ، كأنها عرفت انه فعل ذلك عمداً ليظهر المعجزة في تكثير الطعام ، ودل ذلك على فضل ام سليم رضي الله عنها ورجحان عقلها ، فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وقال : انما أرسلت أنساً يدعوك وجدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى ؟ فقال : ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك ؟ فأتت بذلك الخبز الذي كانت ارسلته مع انس رضي الله عنه ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت اي كسر وعصرت ام سليم عكة .

وفي رواية ، فقال : هل من سمن ؟ فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى خرج ، ثم مسح ﷺ به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال : باسم الله ، فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته في الجفنة يتسع فآدمته اي صيرت ما خرج من العكة اداماً له ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء ان يقول . وفي رواية للامام احمد فقال : باسم الله وفي مسلم فمسحها أو دعا فيها بالبركة وفي رواية للامام احمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : باسم الله اللهم اعظم البركة فيها ، ثم قال : ائذن لعشرة اي بالدخول لانه ارفق ، ثم العشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون او ثمانون ، ثم اكل النبي ﷺ وأهل البيت ، وتركوا سوراً اي بقية وفي مسلم : وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا ولأبي نعيم : حتى اهدت ام سليم لجيرانها . وهذه القصة قبل انها جرت ايام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة ، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي ﷺ للصلاة فيه حين حاصره الأحزاب بالمدينة في غزوة الخندق . ووقع في هذه القصة اختلاف في الألفاظ في روايات كثيرة وفي بعضها انهم صنعوا له ﷺ عصيدة وهو محمول على تعدد القصة ، وتكرر ذلك وتقدم في غزوة الحديبية وفي غزوة تبوك ايضاً ان الصحابة اصابتهم مجاعة فاستأذنوه ﷺ في نحر بعض ظهورهم ، فأذن فقال عمر رضي الله عنه : يا نبي الله ، لو امرتهم ان يجمعوا فضل ازوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة . فقال ﷺ : نعم ؟ فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملؤه . فقال ﷺ اشهد ان لا اله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير

شاك فيحجز عن الجنة .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها ، فقالت لي امي ام سليم : لو اهدينا الى رسول الله ﷺ هدية ، فقلت لها : افعلي فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت حيساً فجعلته في تور ، وهو اناء من صفر او حجارة .

وفي رواية للبخاري : في برمة فقالت : يا انس اذهب بهذا الى رسول الله ﷺ فقل : بعثت بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام. فقال ﷺ : ضعه اي التور ،ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالاً سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاصّ بأهله قيل لأنس : كم كان عددكم ؟ قال : زهاء ثلثمائة فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحبسة وتكلم بما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه ويقول لهم : اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه ، قال : فأكلوا كلهم حتى شبعوا ، ثم قال لي يا أنس : اوقع فرفعت فما أدري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : ان ام مالك الأنصارية كانت تهدي الى النبي ﷺ في مكة لها سمناً فيأتيها بنوها ، فيسألون الأدم وليس عندهم شيء ، فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمناً فما زال يقيم لها أدم بنيهاحتى عصرنه فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال : اعصرتيها ؟ فقالت : نعم : قال : لو تركتيها ما زال قائماً .

وروى ابن ابي عاصم وابن ابي خيثمة عن ام مالك الأنصارية انها جاءت بعكة سمن الى النبي ﷺ فأمر بلالاً بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة فجاءت فقالت : انزل في شيء . قال : وما ذاك ؟ قالت : رددت عليّ هديتي فدعا بلالاً فسأله فقال : والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت ، فقال : هنيئاً ، لك هذه بركة يا ام مالك هذه بركة ، عجل الله لك ثوابها ثم عملها ان تقول دبر كل صلاة : سبحان الله عشراً والحمدلله عشراً ، والله اكبر عشراً .

واخرج الطبراني عن انس بن مالك رضي الله عنه عن امه رضي الله عنها قالت :

كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الى النبي ﷺ فقال : افرغوا لها عكتها ، ففرغت وجاءت بهافجاءت ام سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمناً فقالت : يا زينب الست امرتك ان تبلغي هذه العكة لرسول الله ﷺ يأتدم بها ؟ قالت : قد فعلت فان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الى النبي ﷺ فأخبرته فقال : جاءت بها فقلت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمناً تقطر . فقال : اتعجبين يا ام سليم ان الله اطعمك .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : ان رجلاً من أهل البادية اتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه اي أعطاه مشطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال له : لو لم تكله لاكلتم منه اي دائما ولقام بكم اي مده حياتكم من غير نقص ، وهذا الرجل . قال بعضهم : هو جد سعيد بن الحرث استعان بالنبي ﷺ في إنكاحه فأنكحه امرأة ، فالتمس ﷺ ما سأله فلم يجد ، فبعث ابا رافع وأبا ايوب بدرعه فرهنها عند يهودي في شطر وسق من شعير ، فدفعه ﷺ إليه قال : فأطعمنا منه واكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال له : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ، والحكمة في ذهاب السمن حين عصرت ام مالك العكة واعدام الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله .

قاله النووي في شرح مسلم ، وقيل : انما كان ذلك لافشائه سراً من أسرار الله ينبغي كتمه ولا يعارض هذا قوله ﷺ كيلو طعامكم يبارك لكم فيه لأنه فيمن يخشى الخيانة او كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه ، لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل شرط بقاء الباقي مجهولاً أو كيلوا عند الشراء او ادخاله المنزل .

وروى الترمذي وشيخه الدارمي عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة ، قلنا فما كانت تمد اي ايّ شيء كانت تزاد به ؟ قال : من أي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا ؟ وأشار بيده الى السماء ، والمراد من احسان الله معجزة له ﷺ .

وفي رواية عن سمرة ايضاً رواه الترمذي والدارمي وابن ابي شيبة والحاكم والبيهقي وابو نعيم قال : اتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقبوها . اي قعد عليها عشرة بعد عشرة ، من غدوة حتى الليل ، يقوم قوم ويقعد آخرون ، فقال رجل لسمرة هل كانت تمد ؟ فقال : ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء .

وروى الامام احمد والترمذي والنسائي عن سمرة أيضاً رضي الله عنه نحو ذلك .

وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ : هل مع احد منكم طعام ؟ فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مشعانّ اي ثائر الرأس شعثه طويل جداً بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ ابيعاً ام عطية ، او قال : ام هبة ؟ قال : لا بل بيع ، فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن ان يشوى ، وايم الله ما في الثلاثين ومائة إلا وقد حز له النبي ﷺ جزة من سواد بطنها ، ان كان شاهداً اعطاه اياه وان كان غائباً خبأ له ، فجعل منها قصعتين فأكلوا اجمعون وشبعنا ، ففاضت القمعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهر وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل .

وروى الامام احمد والبيهقي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال : لما نزل قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب اي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا اربعين رجلاً منهم جماعة الواحد منه يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، وهو اناء يسع اثني عشر صاعاً ، وذلك ستة عشر رطلاً فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن الغس قدح من خشب يروي الثلاثة والأربعة ، فشربوا منه حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه ، فلما أراد ﷺ ان يتكلم قال ابو لهب : سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم ، فلما كان الغد اعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فأعاد ذلك ثالثاً ثم دعاهم الى الله وحذرهم عنا به فقال ابو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ الى آخر السورة .

وروى ابن ابي شيبة والطبراني وابو نعيم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : امرني رسول الله ﷺ ان ادعوا أهل الصفة لطغام يأكلونه عنده ،فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت

بين ايدينا صحفة فيها طعام فأكلنا ما شئنا ، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت اي لم تنقص شيئاً ، الا ان فيها اثر الأصابع .

قال ابو نعيم في الحلية : كان اهل الصفة نيفاً ومائة . وفي عوارف المعارف : انهم كانوا نحو الأربعمائة .

وروى الطبراني والبيهقي عن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنه : انه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما ، اي طعاماً يكفي رجلين فقط . فقال له النبي ﷺ : ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام ، ثم قال : ادع ستين فكان مثل ذلك ، ثم قال : ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج احد منهم حتى اسلم ، وبايع رسول الله ﷺ على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم .

قال ابو ايوب : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين ، والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي ﷺ أشراف الأنصار ليتألفهم وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه ، وقد كان ذلك وسماهم أنصاراً لعلمه ﷺ بأنهم سينصرونه وتفاؤلاً بذلك .

وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين العابدين رضي الله عنهم : ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدراً لغدائهما ووجهت علياً رضي الله عنه الى النبي ﷺ ليتغدى معهما ، فأمرها ﷺ فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ، ثم رفعت القدر وأنها تفيض اي لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته ﷺ ، فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ما شاء الله .

وروى ابو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان النبي ﷺ أمره ان يزوّد اربعمائة راكب من احمس من تمركان في علية ، فقال : يا رسول الله ، ما هي الأصوع اي ليس ذلك التمر يكفي هؤلاء القوم لقلته قال : اذهب وافعل ما آمرك به اي ولا تبال بقلة التمر ، فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل اي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شيء .

ورواه البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا انه قال : اربعمائة

راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة ، او انـه كان بعضهـم من احمس وبعضهـم من مزينة .

وروى البخاري : حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة قضاء دين ابيه لما استشهد يوم احد وعليه دين أراد اداءه لغرمائه ، وكان قد بذل الغرماء ابيه اصل ما له اي ببستاناً له ونخلاً كان يتقوت منه ، فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم ، فكلم رسول الله ﷺ في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهوداً فلم يرضوا فجاء النبي ﷺ بعد ان امره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها اي جعلها كوماً كوماً في أصول النخل ، فمشى ﷺ في ارضها ودعا الله تعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت، فأوفى منها جابر الغرماء وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك ، وقال النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه: ائت ابا بكر وعمر فأخبرهما اي ليسرّ بذلك ويزدادا ايماناً .

وروى البيهقي والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : أصاب الناس مخمصة اي جوع زاد في رواية : في بعض غزواته ﷺ وفي اخرى ، انها غزوة تبوك فقال لي رسول الله ﷺ : هل من شيء : قلت : نعم شيء من التمر في المزود قال : فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية انها بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال : ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال : ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ، وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي : خذ ما جئت به وأدخـل يدك واقبض منـه ولا تكبـه ، فقبضت على اكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت اهلي ومن اردت اطعامه حياة رسول الله ﷺ وابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، الى ان قتـل عثمان رضي الله عنـه فانتهـب منـي فذهب ، وانما قال له : خذ ما جئت به لانه بقي بعد أكلهم ما جاء به كحاله ، فأمره برده الى محله وان يأخذ منه كل ما أراد .

وفي رواية الترمذي : فقد حملت من ذلك التمركذا وكذا من وسق في سبيل الله اي جعلته محمولاً معي في اسفاري وانا غاز في سبيل الله .

وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه: ان ابا هريرة رضي الله عنه اصابه الجوع مرة فاستتبعه النبي ﷺ اي طلب منه ان يتبعه فتبعه فوجد ﷺ في بيته لبناً في قدح قد اهدى اليه ﷺ ، فأمر ابا هريرة رضي الله عنه ان يدعوا اهل الصفة قال : فقلت ما موقع

هذا اللبـن منهم اي ما مقداره القليل كاف منهم كنت احق به . منهم لشدة جوعتي ، ولا بد من امتثال امر النبي ﷺ فدعوتهم اليه ﷺ : فأمرني ان اسقيهم فجعلت اعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروي ، ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم ، قال ابو هريرة رضي الله عنه : فاخذ النبي ﷺ القدح وقال : بقيت انا وانت اقعد فاشرب ، فشربت ثم قال : اشرب ، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكاً ، فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة .

وروى البيهقي من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى ابن قصي اسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات في الطريق ، وهو ابن اخي خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها ، واخو حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فمر به النبي ﷺ مرة فأعطى النبي ﷺ شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له ، وكان عيال خالد كثيراً ما يذبح الشاة لأجلهم فلا تكفيهم عظماً عظماً لكثرتهم ، فأكل النبي ﷺ من تلك الشاة وجعل فضلتها في دلو لخالد ، ودعا له بالبركة .

وفي رواية انه قال : اللهم بارك لأبي خناش فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ببركته ﷺ وبركة دعائه قال القاضي عياض في الشفاء : واكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح اي من الأحاديث ، وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم اضعافهم من التابعين ، ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ، ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن ان يسكت من حضرها على ما انكره . ويلتحق بهذا ما ذكره في الشفاء مما اخرجه البيهقي وابن سعد وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، انهم كانوا في غزوة مع النبي ﷺ وكانوا زهاء ثلثمائة ، فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبي ﷺ اي امر بحلبها فأروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ، ثم قال ﷺ الرافع مولاه ، املكها وما اراك مالكا لها ، فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت اي انحل وثاقها وغابت وفي رواية قال رافع : ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فأخبرت النبي ﷺ فقال : يا رافع ، ذهب بها الذي جاء بها .

ومن معجزاته ﷺ : احياء الموتى وكلامهم له ﷺ . روى البيهقي في الدلائل انه ﷺ دعا رجلاً الى الاسلام فقال : لا اؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي ﷺ : ارني قبرها

فأراه اياه ، فقال ﷺ : يا فلانة ، فقالت : لبيك وسعديك ، فقال ﷺ : اتحبين ان ترجعي ؟ فقالت : لا والله يا رسول الله ، اني وجدت الله خيراً لي من ابوي ، ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا . وهذه القصة اوردها القاضي عياض في الشفاء بلفظ . وعن الحسن اي البصري أتى رجل النبي ﷺ فذكر انه طرح بنية له في واد كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة ، احيي باذن الله ، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك . فقال لها : انّ ابويك قد اسلما فان أحببت ان اردّك عليهما : قالت : لا حاجة لي فيهما ، وجدت الله خيراً الي منهما .

وروى ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم عن انس رضي الله عنه قال : كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته عجوز عمياء مهاجرة ، ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان اصابه وباء المدينة فمرض اياماً ثم قبض فغمضه النبي ﷺ وأمره اي انساً بجهازه ، فلما اردنا ان نغسله قال ÷ يا أنس ، ائت امه فأعلمها قال : فاعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : مات ابني فقلنا : نعم فقالت : اللهم انك تعلم اني اسلمت اليك طوعاً وخلعت الأوثان ، زهداً ، وخرجت اليك رغبة ، اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ، ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله ، فوالله ما انقضي كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي ﷺ وهلكت امه ، وهذا وان كان كرامة لأمة فانما اعطيتها ببركته ﷺ لدخولها في دينه ، وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه .

وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها : انه ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً ، فأقام بها ما شاء الله ثم رجع مسروراً قال : سألت ربي عزوجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردّها الى الموتى ، وكذا روى من حديث عائشة رضي الله عنها إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أوّل السيرة مستوفى ، فارجع اليه ان شئت .

ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : كان خارجة بن زيد من سراة الأنصار أي أشرافهم ، فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر إذ خرّ فتوفي ، فأعلمت به الأنصار فأتوه فاحتملوه إلى بيته وسجوه بكساء وبردين ، وفي البيت نساء من نساء الأنصار يبكين

عليه ، ورجال من رجالهم . فمكث على حاله مسجى لأنهم شكوا في موته لكونـه مات فجأة ، فأخروا تجهيزه ودفنه حتى إذا كان بين المغرب والعشـاء إذ سمعـوا صوت قائـلا يقول : أنصتوا أنصتوا فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسوا عن وجهه الغطاء فإذا هو قائل : محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الأوّل . ثم قال : صدق . صدق . ثم قال : هذا رسول الله ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة بركاته ، ثم عاد ميتاً كما كان . وكأنه رأى روحه ﷺ حاضرة عنده ، لأن ما ذكره بعد وفاته .

وفي رواية : وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي اثني عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ، ولم يذكر علياً رضي الله عنه لأن ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وإنما ألحق هذا بما نحن فيه ، وإن كان بعد وفاته ﷺ ، لأن هذا الكلام بعد الموت كرامة ، وكرامات أمته ﷺ من معجزاته . أو يقال : انه إذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه ﷺ ؟

ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الأنصار ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة ، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم ، فنظرنا اليه فإذا هو ميت .

وتقدم في غزوة خيبر حديث الشاة المسمومة ، وذلك أن يهودية أهدت له ﷺ شاة مشوية قد سمتها ، فأكل ﷺ منها وأكل القوم فقال : ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني انهـا مسمومة .

وفي المواهب عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من الأنصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال : محمد رسول الله ، أخرجه ابو بكر بن الضحاك ، وأخرج ابو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذبح شاة وطبخها ، وتردَّ في جفنه وأتى به رسول الله ﷺ ، فأكل القوم وكان ﷺ يقول لهم : كلوا ولا تكسروا عظماً ثم إنه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام ، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال : خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها ، فأخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذ أنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة : ما هذا يا جابر ؟ قلت : والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ﷺ ، دعا الله فأحياها فقالت : أشهد أنه رسول الله . ورواه أيضاً الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب .

ومن معجزاته ﷺ كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوّته ﷺ ، وإبراء ذوي العاهات ببركته ﷺ . روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادي عن معرض - بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة - معيقيب اليماني قال : حججت مع النبي ﷺ في حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيته ﷺ فيها ووجهه مثل دائرة البدر .

وفي رواية لابن قانع : كأن وجهه القمر ، ورأيت منه عجباً ، جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله ﷺ : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال : صدقت ، بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى ﷺ : بارك الله فيك .

قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى : قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن ، وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يريه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي ﷺ فتقدم في أوّل السيرة ، أنه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى ، وكان يناغي القمر ويكلمه ، وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير ، فلا حاجة الى الإطالة به .

وروى البيهقي : مرسلاً أن النبي ﷺ أتى بصبي قد شب أي كبر وصار شاباً وهو لم يتكلم أي لأنه خلق أخرس ، فقال له النبي ﷺ : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، فأنطقه الله معجزة بعدما كان أبكم فهو بمنزله الميت والجماد ، لعدم القدرة على النطق .

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابني به جنون وانه

ليأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فمسح رسول الله ﷺ صدره بيده الشريفة فثع ثعة - بفتح المثلثة وشد العين - يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجر والأسود يسعى ، وشفاه الله .

وروى ابن ابي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها ٠ انه ﷺ أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسحه به ، فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس . وتقدم في غزوة أحد أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذه بيده ، فجاء بها الى النبي ﷺ فقال له : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها . فقال : يا رسول الله ، إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ، ولكن تردّها وتسأل الله لي الجنة ، فأخذها ﷺ بيده وردّها الى موضعها وقال : اللهم اكسه جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الاخرى .

روى البيهقي : انه ﷺ بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحرث بن ربعي الأنصاري السلمي رضي الله عنه ، قال رضي الله عنه : فما ضرب علي ولا قاح أي ما أوجعني ولا سال منه قيح .

وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً أعمى قال : يا رسول الله أدع لي أن يكشف عن بصري يعني يزيل عني العمى ، فقال له رسول الله ﷺ : انطلق فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري ، اللهم شفّعه فيّ ، فما قام القوم من مجالسهم ، إلا ورجع الرجل وقد أبصر ، وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى ، وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة . قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء : فلم يبق فيه شبهة فاحفظه .

وروى أبو نعيم : ان ملاعب الأسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبي ﷺ قاصداً يلتمس منه ، الدعاء وأن يشفيه الله ببركته فأخذ ﷺ بيده الشريفة حشوة من الأرض فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجباً يظن أن قد هزىء به ، فأتاه بها وهو على شفا أي قريب من الموت ، فشربها اي بعد أن وضعها في ماء فشفاه الله ببركته ﷺ .

وروى ابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني : أن فديك بن عمرو السلاماني جيء به الى النبيﷺ وعيناه مبيضتان ، وهو عبارة عن العمى ، فسأله عما أصابه فقال : كنت أقود جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصبت في بصري فلا أبصر شيئاً ، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر ، فكان يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة .

وتقدم في غزوة خيبر أنهﷺ قال : لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، ثم بعث الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان به رمد فجيء به الى النبيﷺ فوضع رأسه في حجرهﷺ ثم بصق في عينيه . وفي رواية : فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع .

وروى البخاري في صحيح عن المكي بن ابراهيم قال : حدثني يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة . وهذا من ثلاثيات البخاري .

وفي الشفاء ورمي كلثوم بن الحصين رضي الله عنه يوم أحد في نحره ، فبصق رسول الله ﷺ فيه أي في نحره ومحل جراحته فبرأ .

وروى الطبراني : انه ﷺ تفل على شجة عبد الله أبن أنيس ، فلم تمد أي لم يبق فيها مدّة وقيح .

وروى أبو القاسم البغوي باسناده عن معاوية بن الحكم قال : كنا مع النبي ﷺ يعني في غزوة الخندق كما قال السيوطي ، فأنزى أخي علي بن الحكم فرساً له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق ، فدقها فأتى النبيﷺ وما نزل عن فرسه فمسحها له وقال : باسم الله فما آذاه شيء ، وقد عدّ أبو حاتم البغوي في الثقبات .

وروى ابن اسحق وغيره : ان معاذ بن عفراء رضي الله عنه قطعت يده يوم بدر ، فجاء بها الى النبيﷺ فبصق عليها وألصقها ، فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف لذي تفله عليها .

وروى ابن اسحق وغيره أيضاً : ان خبيب بن اساف رضي الله عنه أصيب يوم بدر

بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه ، فرده رسول الله ﷺ ونفث عليه حتى صح .

وروى البيهقي والنسائي والطيالسي باسناد صحيح : ان قدراً انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحي وهو طفل ، فمسح عليه ﷺ ودعا له وتفل عليه فبرىء لحينه .

وروى الطبراني والبيهقي : أن شرحبيل الجعفي رضي الله عنه كانت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف ، وعنان الدابة فشكاها للنبي ﷺ فجعل يطحنها أي يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر ، ففي قوله يطحنها استعارة لطيفة .

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه : انه ﷺ سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذي بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت : إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ، ولم يكن ﷺ يسأله أحد شيئاً فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها الحياء ، فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ :

ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره ، وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة ، وانقلاب الأعيان له ﷺ ببركته وبآثاره ﷺ .

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة كان به بطء في السير ، فلما رجع ﷺ قال لأبي طلحة : وجدنا فرسك بحراً أي كالبحر في شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجاري .

وروى البخاري ومسلم : أنه ﷺ نخس جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه . قال جابر رضي الله عنه : أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة أي وهي غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ، ومر به ﷺ فقال له : ما شأنك ؟ فقال له : أبطأ بي جملي وأعيا فتخلفت ، فنزل ونخسه بمحجن وقال له : أركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله ﷺ ثم اشتراه ﷺ منه ، ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ، ثم وهب له البعير مع الثمن .

وروى البيهقي : أنه ﷺ صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الأشجعي رضي الله

عنه قال : كنت في بعض غزواته ﷺ على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس ، فقال لي رسول الله ﷺ : ما شأنك ؟ قلت : إنها عجفاء ضعيفة ، فضربها بجحفة كانت في يده وقال : بارك الله فيها ، فلقد رأيتني أوّل الناس ما أملك رأسها وبعث من بطنها عدة كثيرة .

وفي رواية : فخفقها بمخفقة كانت معه قيل : انها الدرة وقيل : العصا والخفق الضرب .

وفي رواية : انه باع من بطنها باثني عشر ألفاً يعني من أولادها وأولاد أولادها .

وروى ابن اسحق وابن سعد عن عبد الله بن أبي طلحة أنه ﷺ ركب حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة الأنصاري فرده هملاجاً أي سريع السير لا يساير .

وروى البيهقي : ان خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت في قلنسوته شعرات من شعره ﷺ ، فكان لا يشهد قتالاً إلا رزق النصر .

وروى مسلم وأبو داود النسائي وابن ماجة عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : أنها أخرجت جبة طيالسة أي ذات أعلام خضر وقالت : كان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها نستشفي بها .

وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : انه ﷺ سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه . وفي رواية : انه تفل فيها .

وروى أبو نعيم : أنه ﷺ بزق في بئر كانت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ، ؛ ومر على ماء في بعض أسفاره فسأل عن اسمه فقيل له : اسمه بيسان وماؤه ملح ، فقال : بل هو نعمان وماؤه طيب ، فطاب ببركته ﷺ .

وروى ابن ماجة والبيهقي : انه ﷺ أتى بدلو من ماء زمزم فمجّ فيه أي ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك .

وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه : انه ﷺ أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشاً فسكتا .

وروى البيهقي أنه ﷺ كان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى

الليل . وفي رواية : أنه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء .

وتقدم في باب ما جاء في شأنه ﷺ عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه انه ﷺ أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب . وقال أدّها لغرمائك عما عليك ، وكان عليه أربعون أوقية . فقال سلمان : وأين تقع هذه مما علي ؟ فأخذها ﷺ فقلبها على لسانه وقال : خذها فان الله سيؤدي بها عنك : قال سلمان : فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقي عندي مثل ما أعطيتهم .

وروى الإمام قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل ، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : سقاني رسول الله ﷺ شربة من سويق شرب ﷺ أولها وشربت آخرها يعني انه ﷺ شرب منها أولاً لتحصل البركة فيها ثم ناوله الإناء فشرب بقيته . قال : فما برحت أجد شبعها إذا جعت ، وريها إذا عطشت .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ أعطى قتادة بن النعمان رضي الله عنه ، وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً ، وقال لقتادة أنطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشراً ، ومن خلفك عشراً ، فإذا ادخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ، ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته ، كما أخبر به ﷺ .

وروى البيهقي :انه ﷺ دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جدل حطب وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال : اضرب به فعاد في يده سيفاً صارماً طويل القامة ؛ أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلباً ، فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يقال له العون .

وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه ﷺ دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد ، وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفاً . وقصة شاة أم معبد مشهورة ، رواها أصحاب السنن السير وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي ﷺ مرّ على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها ، وطلب منها زاداً فقالت : ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها ، فمسح ﷺ ضرعها فدرّت ، فحلب ما كفاه ومن معه

وبقي في الإناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ، ثم قدمت عليهﷺ المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضي الله عنها ، وتقدم عند ذكر رضاع حليمة لهﷺ ، أن حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها لشارفها وهي الناقة المسنة ، فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم ، وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة : إنها نسمة مباركة فقالت : إني والله أرجو بركته الى آخر القصة .

وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وملخصها : انه كان وهو صغير يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول اللهﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، فقال لهﷺ: هل عندك لبن ؟ قال : نعم ، لكني مؤتمن فقال : ائتني بشاة لم ينزل عليها الفحل ، فأتيته بجذعة فاعتقلتها ومسح ضرعها ودعا الله ، وأتاه ابو بكر رضي الله عنه بصحفة فحلب فيها وقال لأبي بكر رضي الله عنه ، اشرب ، ثم قال للضرع ، أقلص ، فعاد كما كان ، وكان هذا هو سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه ، قال : كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع ، فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول اللهﷺ فلم يقبلنا أحد ، فأتينا النبيﷺ فانطلق بنا الى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال : احتلبوا منها لبناً بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبيﷺ نصيبه ، فيجيء من الليل ويشربه ، فوقع في نفسي ذات ليلة أنهﷺ يأتيه الأنصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ، ثم ندمت خشية أنه إذا لم يجدها يدعو عليّ فأهلك فلم أنم ونام صاحباي ، فجاءﷺ كعادته فكشف الإناء فلم يجد شيئاً فرفع بصره الى السماء فقلت : يدعو علي ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لأذبح ما سمن منها ، فإذا هنّ حفل كلهن فحلبت في إناء حتى علت الرغوة ، وجئت اليهﷺ به فشرب ثم ناولني ، فلما علمت أنه روي وأصبت دعوته ، ضحكت حتى استلقيت ، فقالﷺ : إحدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي ؟ فقلت : يا رسول الله ، كان مني كذا وكذا . فقال : ما هذه إلا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها . فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبت فضلك ، من أخطأها من الناس .

وروى ابن سعد ، أنهﷺ أعطى بعض أصحابه وقد أرادوا السفر سقاء فيه ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه بالبركة ، فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فإذا هو لبن حليب

وزبـدة في فمـه .

وفي الشفا : إنه ﷺ مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة في عمـره وصحبته ، فمات وهو ابن ثمانـين فما شاب أي ببـركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم .

وروى ابن حبان أنه ﷺ مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فمكان ما مسته يده أسود وسائر رأسه أبيض ، يعني أنه لم يشب موضع المس .

وروى الطبراني والبيهقي : انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه أي أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه ، حتى قالت زوجته أم عاصم : كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحاً من صاحبتها ، وعتبة لا يمس طيباً فكان أطيب منا ريحاً فقلت له في ذلك فقال : أصابتني الضرى على عهد النبي ﷺ .

وفي رواية قال : أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالأخرى ، ثم أمرَّهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون ، والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالباً وتشتد ليلاً .

وروى الطبراني : انه ﷺ سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لماجرح يوم حنين ، أي مسح ﷺ وجهه بيده متكئاً عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من أثـر يده الشريفة ﷺ .

وروى ابن الكلبي ، انه ﷺ مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض إلا موضع كف النبي ﷺ ومـا مرت عليه ، فانه أسود أي لم يشب ببركته ﷺ وكان يدعى الأغر لما في وجهه من النور .

وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ، ولا مانع من التعدد . وجاء أنه ﷺ مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء ، وروى انه مسح أيضاً بناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة وما زال على وجهه نور من آثار أنواره ﷺ ، ومسح ﷺ وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه ، فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ، أي يقابل الناظر اليه وجهه

بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة ، لشدة صفاء بشرته .

وروى البيهقي انه ﷺ وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو ـ بالحاء المهملة والذال المعجمة ـ بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتي بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها ، فيضع الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه كف النبي ﷺ فيذهب الورم الذي كان أصابه .

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه ﷺ نفح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله ﷺ وهو يغتسل ، فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت ، وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له ، وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم .

وفي الشفا : أنه ﷺ مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرأوا .

وفي الشفا أيضاً : وأتاه رجل ذو أدرة وهي انتفاخ في الخصيتين ، فأرمه أن يتضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ .

وروى الطبري : أن المهلب بن يزيد الطائي وفد على رسول الله ﷺ وبه قرع ، فمسح برأسه فنبت شعره .

وروى عن طاوس بن كيسان اليماني : لم يؤت النبي ﷺ باحد به مسٌ أي جنون فصك في صدره إلا ذهب المس .

وروى الإمام أحمد عن وائل ابن حجر : انه ﷺ مج في دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك ، وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ودعا له ، وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ، ومسح ﷺ على رأس عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دميماً أي حقيراً ودعا له بالبركة في خلقته وسائر أموره ، ففرع الناس طولاً وتماماً أي زاد عليهم في الطول وتمام سائر الأعضاء وكمل الله خلقته بدعائه ﷺ .

وفي الصحيحن : أن أبا هريرة رضي الله عنه شكا اليه ﷺ النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه أي فعل فعلاً يشبه من يغرف من شيء ما يضعه في آخر ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئاً . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فما كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله ﷺ إلا عبد الله بن عمر ولتقدم إسلامه ، ولأنه كان يكتب وأنا لا أكتب .

ومن معجزاته ﷺ : اجابة دعائه لأناس دعا لهم أو عليهم ، وهذا باب واسع جداً . قال القاضي عياض في الشفا : إجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة .

وقد جاء في حديث رواه الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا دعا لرجل أدركت ولده وولد ولده أي وصل أثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده .

وروى البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قالت أمي لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله تعالى له ، فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس : فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة أي يزيدون عليها .

وفي رواية : وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطاً ولا ولد ولد ، فقد أجاب الله دعوته ﷺ وجاء انه مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولداً . وفي رواية انه ﷺ قال في دعائه له : وأطل حياته وان أنساً قال : فأكثر الله مالي حتى أن لي كرماً يحمل في السنة مرتين . وولد لصلبي مائة وستة .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : دخل رسول الله ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي : يا رسول الله ، خويدمك أنس ، ادع الله له ، فدعا لي بكل خير ، وكان في آخر ما دعا لي : اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيه . وفي رواية : وأطل عمره واجعله رفيقي في الجنة ، فكان أنس رضي الله عنه يقول بعد أن طال عمره وكثر ماله وولده : وأنا أرجو هذه يعني كونه رفيقه ﷺ في الجنة . ومن دعائه ﷺ كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة أي بأن يبارك الله له فيما رزقه .

قال عبد الرحمن رضي الله عنه : فلو رفعت حجراً من مكانه بيدي لرجوت ببركة دعائه ﷺ أن أصيب تحته ذهباً ، وفتح الله له أبواب الخيرات ، وكان حين قدم المدينة فقيراً لا يملك شيئاً فآخى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فأراد سعد بن الربيع أن يطلق إحدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله . فقال : لا حاجة لي في ذلك بارك الله لك في زوجتيك ومالك ، ثم قال : دلوني على السوق فصار يتعاطى التجارة ، ففي أقرب زمن رزقه الله مالاً كثيراً ببركة دعائه ﷺ ، حتى أنه لما توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفوس ، حتى جرحت الأيدي من كثرة العمل ، وأخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين الفاً وقيل : إن نصيب كل واحدة من الأرفع مائة الف ، وقيل : بل وصلحت إحداهن على نيف وثمانين الفاً من الدنانير ، وأوصى رضي الله عنه بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله ، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن بيعت بأربعمائة ألف ، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار ، وكانوا مائة فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ ، وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته ،وعوارفه العظيمة ، فقد أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق مرة بعير وهي الجمال التي تحمل الميرة ، وكانت تلك العير فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان أرسلها للتجار ، فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها . وجاء أنه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم بأربعين ألف دينار ، ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم بخمسمائة راحلة . وروى انه رضي الله عنه لما حث رسول الله ﷺ على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال : يا رسول الله ، كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة آلاف وأمسكت لعيالي أربعة ، فقال : ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، فبارك الله له في ماله . ومن دعائه ﷺ دعاؤه لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافة . وجاء أنه ﷺ قال : لن يغلب معاوية ، وقد بلغ علياً رضي الله عنه هذه الرواية فقال : لو علمت لما حاربته . ذكره ملا علي في شرح الشفا .

وروى ابن سعد : انه ﷺ قال لمعاوية رضي الله عنه : اللهم علمه الكتاب ، ومكّن له في البلاد ، وقه العذاب ، ودعا له مرة وقال : اللهم اجعله هادياً مهدياً . وورد في فضائله أحاديث أخر ، فكان أوّل التمكين له أن استعمله أميراً أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم فكان أميراً على الشام عشرين سنة ، وانعقد الأمر على استخلافه حين

نزل له الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة ، فبايعه الناس ، وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغي الكف منه لأنه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران ، وللمخطىء أجر واحد ، وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من اصحاب النبيﷺ أو تنقص أحداً منهم . وقد قال تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين يتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بأنه رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فلا ينبغي لمؤمن أن يتعرض لأحد منهم ، بل يفوّض ما وقع بينهم الى الله ، ويترك الخوض فيه ويعتقد انهم مجتهدون مأجورون . وقال تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم في الجنة رضي الله عنهم . وقالﷺ : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أي لا فرضاً ولا نفلاً . والأحاديث في ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبتهم ، وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة ، وان يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين .

وعن المقداد رضي الله عنه أنّ سعداً رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يستجيب دعائي . فقال : يا سعد ، إنّ الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته . فقال : ادع الله أن يطيب طعمتي فاني لا أقوى إلا بدعائك . فقال : اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته . وقد خرج أهل الصحيح كثيراً من دعوات سعد رضي الله عنه المستجابة ، وهي مشهورة مأثورة ، فمنها أنّ رجلاً نال من علي رضي الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال : اللهم ان كان كاذبا فأرني فيه آية ، فجاء جمل فتخبطه حتى قتله .

ومنها ما رواه البخاري أن سعد رضي الله عنه دعا على أبي سعدة بقوله : اللهم اطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن .

قال الراوي : فلقد رأيته شيخاً كبيراً سقط حاجباه على عينيه ، يتعرض للجواري

بغمزهن فيقال له : فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد .

وروى الترمذي : أنهﷺ دعا بعزّ الإسلام أي بأن الله يعز الإسلام أي يقوّيه وينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه ، فكانوا قبل إسلام عمر رضي الله عنه ، لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفاً من المشركين ، فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روى من طرق ، أنهﷺ خصّ عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، اللهم أيد الإسلام بعمر ، وجمع بين الروايتين بانه اولاً دعا بأن الله يعز الإسلام بأحدهما ، ثم لما تبين له بإعلام من الله وإلهام منه أن اللائق بذلك عمر ، خصه بدعائه ثانياً وكرّره حتى استجيب له .

وتقدمت قصة إسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ، ودعاﷺ لأبي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله : افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره ، فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوّته لم يتغير بدنه ، ولم يشب شعره ودعا ﷺ للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبيﷺ بها فلما وصل قوله فيها :

فلا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال لهﷺ : لا يفضض الله فاك ، فما سقطت له سنّ .

وفي رواية : فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سنّ نبتت له أخرى ،وعاش عشرين ومائة ، وقيل مائة وأربعين ، وقيل مائتين وثمانين .

وروى البخاري ومسلم : أنهﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله : اللهم فقه في الدين ، وعلمه التأويل ، فسمى بعد دعائهﷺ الحبر وترجمان القرآن ، وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ، ببركة دعائهﷺ .

وروى البيهقي : أنهﷺ دعا لعبد الله بن جعفر بن طالب رضي الله عنهما

بالبركة في صفقة يمينه ، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

وروى أبو نعيم : أنه ﷺ دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال . قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد : خرج المقداد يوماً لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ، ولم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى بلغ سبعة عشر ، فجاء بها المقداد للنبي ﷺ وأخبره بخبره فقال له : أدخلت يدك في الحجر ؟ قال : لا ، والذي بعثك بالحق . فقال : صدقة تصدّق الله بها عليك ، بارك الله لك فيها . قالت ضباعة : فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه ﷺ .

وروى البخاري والإمام أحمد أنه ﷺ دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد . قال عروة : فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة اي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً .

وقال البخاري في حديث عروة : فكان لو اشترى التراب ربح فيه .

وروى مسلم : أنه ﷺ دعا لأمّ ابي هريرة رضي الله عنهما بأن يهديها الله للإسلام فأسلمت ، وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها ، وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصاً على إسلامها فدعاها للإسلام فأبت وأسمعته ما يكره في حق النبي ﷺ ، فأتاه وهو يبكي وقال : إني كنت أدعوها للإسلام فتأبى ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهديها . فقال : اللهم اهد أم ابي هريرة ، فخرج مستبشراً بدعائه . فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت : مكانك يا أبا هريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب ، فلما دخل قالت : يا أبا هريرة ، إني أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، فرجع أبو هريرة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فرحاً ، وقال : ابشر يا رسول الله ، فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمي للإسلام ، فحمد الله تعالى فقال : يا رسول الله ادع ، الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم الينا . فقال : اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك وحببهم لهما ، فكان لا يسمع به أحد ولا يراه إلا أحبه . ورواه البيهقي ايضاً في الدلائل .

وروى البيهقي عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ، وقال : كنت مع النبي ﷺ وأقبلت فاطمة ووقعت بين يديه فنظر اليها وقد اصفرّ وجهها من الجوع ، فوضع

يده على صدرها وقال : اللهم شبع الجماعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد . قال عمران : فرأيت وجهها وقد احمرّ وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت : ما جعت يا عمران بعد أي بعد دعائه ﷺ لها . قال البيهقي : وكان هذا قبل نزول آية الحجاب .

وروى ابن إسحق والبيهقي وابن جرير : أنه ﷺ دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال : اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال : يا رب إني أخاف أن يقولوا مثله ، فتحوّل الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة ، فسمي الطفيل ذا النور . وتقدّمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم : أنه ﷺ دعا على مُضرَ حين تأخر إسلامهم فقال : اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فاقحطوا حتى اكلوا الجلود والدم والعظام . فقال له ابو سفيان : انك تأمر بصلة الرحم وأن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال : اللهم اسقنا غيثاً مريعاً طبقاً غدقاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار ، فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه ﷺ دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه ، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا .

وروى ابو داود البيهقي : أنه ﷺ دعا على صبي قطع عليه صلاته اي مر بينه وبين سترته ان يقطع الله أثره فأقعد . قال ابن مهران : رأيت مقعداً بتبوك يسمى يزيد بن بهرام فسألته أي عن سبب إقعاده فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وهو يصلي فقال : اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد .

وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : أنه ﷺ قال لرجل رآه يأكل بشماله : كل بيمينك ، فقال : لا أستطيع . فقال له ﷺ : لا استطعت ، فلم يرفعها إلى فيه .

وروى الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة : أنّه ﷺ دعا على عتيبة بالتصغير بن أبي لهب وقال : اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك ، فاكله الاسد ، وقيل إنّ المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير ، لكن الصحيح الأول لأن عتبة المكبر ومعتباً أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضي الله عنهما ، وعقير الأسد إنما هو عتيبة المصغر ، وتقدمت

قصته في باب بمراتب الوحي عند تعداد ما وقع له ﷺ من الأذية ومن دعائه ﷺ دعاؤه المشهور على أبي جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من عتاة قريش ، حين وضعوا السلى على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم ، فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر . وتقدم الكلام على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ما وقع له ﷺ من الأذية .

وروى البيهقي بإسناد صحيح : أنه ﷺ دعا على الحكم بن ابي العاص بن أمية وهو أبو مروان ، وكان يختلج بوجهه أي يحرّك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبي ﷺ ، فقال ﷺ : كن كذلك فلم يزل يختلج إلى أن مات . وتقدم الكلام عليه مبسوطاً في الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم .

وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه ﷺ دعا على محلم بن جثامة الكتاني الليثي ، فمات بعد سبع ليال من دعائه ، ولما دفنوه لفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات ، فألقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه ﷺ بعثه في سرية أمر عليها عامر بن الأضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامراً غدراً لأمر كان بينهما ، فلما بلغه ﷺ دعا عليه ، ولما أخبروه ﷺ بأنّ الأرض لفظته قال : إنّ الأرض لتقبل من هو شرّ منه ولكنّ الله أراد أن يجعله لكم عبرة . وهذا الباب واسع جدّاً لأن أدعيته ﷺ المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر ، وما ذكر قطرة من بحر وفيه كفاية ، والله سبحانه أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

إخباره بكثير من المغيبات . قال في الشفاء : وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أي ماؤه الكثير ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ، ولا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى . فمن ذلك ما تقدّم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً أي خطب فما ترك شيئاً مما يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثنا به : حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، ورواه البخاري أيضاً لكن رواية أبي داود أبسط ، وفيها أنه ليكون منه الشيء أي يوجد الشيء مما حدثنا به قد نسيته ، فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه . ثم قال حذيفة : ما أدري أنسي أصحابي أن تناسوه أي

اظهروا نسيانه خوف الفتن ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلا قد سماه باسمه وإسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة .

وروى الإمام أحمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرّك طائر جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً أي يذكرنا من طيرانه علماً يتعلق به فكيف بغيره .

وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب السنن ما أعلم به.اصحابه ﷺ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه لغلبتهم ، وفل شوكتهم كفتح مكة ، فانه أخبرهم به قبل وقوعه . ولما فتحت قال لهم : هذا الذي قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس ، وأخبر تميماً الداري رضي الله عنه حين إسلامه بانّ الله سيفتح بيت المقدس ، وأقطعه أرضاً بها ، فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه أعطى تميماً إعطاءه تحقيقاً لوعد النبي ﷺ ، وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشام واليمن والعراق وظهور الأمن في الممالك الاسلامية ، حتى تظعن المرأة اي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف إلا الله ، والحيرة مدينة بقرب الكوفة ، وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بانّ المدينة ستغزى ، فكان ذلك في وقعة الحرّة وأعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه ، فكان ذلك كما تقدّم واخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ، ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر ، فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء ، وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والأختلاف وبأنّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأنّ الناجية منها واحدة وأنّ الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي ، فكان ذلك كما أخبر ، وأخبر بأنّ أمته ستتبع سنن من قبلها شبراً بشبره ذراعاً بذراع ، قال حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم قيل : يا رسول الله ، اليهود والنصارى قال : فمن إذن .

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه : انه ﷺ قال : سيكون لأمته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط ، يعني أنّ أمته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق ، بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق العيشة ، وأنهم يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ، وتوضع بين يدي أحدهم صحفة وترفع أخرى ،

وأنهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة . ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي : وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أي لأنّ الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن ، كما يشاهده من ابتلى به .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنهﷺ : إنّ أمته إذا مشوا المطيطا أي مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم ردّ الله بأسهم بينهم . والمراد به : وقوع العداوة والقتال بينهم ، وسلط الله شرارهم على خيارهم . وأخبر أنّ الروم ذات قرون أي جماعات وملك قائم بديارهم الى آخر الدهر ، بخلاف فارس فانّ الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوتهﷺ ، وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل أي الأشرف فالأشرف من الناس ، وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر ، لا يباليهم الله اي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كالضرمة بالنار ، وهي حشيش يحترق بسرعة . والمراد ارتفاع البركة من الأعوام والأيام ، وأخبر بقبض العلم وظهور الفتن .

وروى الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها : أنهﷺ قال : ويل للعرب من شرّ قد اقترب . وأخبر بأنه زويت له الأرض أي جمعت وضم بعضها الى بعض ، فأري مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك أمته ما زوى له منها ، فكان كذلك . فامتدت مملكتهم في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة وهي بلدة بساحل بحر المغرب .

وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : أنهﷺ قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية رضي الله عنه ، ووصاه إذا تملك بالعدل والرفق وقال له : إذا ملكت فأسجح اي ارفق . قال معاوية رضي الله عنه : فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول اللهﷺ .

وفي رواية : انه قال له : يا معاوية إذا ملكت فأحسن .

وروى الترمذي والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه : أنهﷺ قال : إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً

اي يتداولونه واحداً بعد واحد . والمراد أنهم يستأثرون بالمال ويمنعون الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين ، فكان كذلك .

وروى البيهقي والإمام أحمد أنه ﷺ أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار .

وفي رواية : تخرج الرايات السود من خراسان لا يردّها شيء حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس . وأخبر العباس بأنّ الخلافة قد تكون في ولده فلكانوا يتوقعون ذلك .

وروى الحاكم : أنه ﷺ قال : إنّ اهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً . وأخبر بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما رواه الإمام أحمد والطبراني . وان أشقى هذه الامة الذي يخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه من هذه يعني رأسه ، يشير إلى أنه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته .

وروى الشيخان : أنه ﷺ أخبر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف فكان كذلك .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه ﷺ ذكر فتنة فقال : يقتل فيها هذا مظلوماً يعني عثمان رضي الله عنه ، وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً وأنهم يريدون خلعه ، وانه قال لعثمان رضي الله عنه فلا تخلعه .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : انه سيقطر من دمه على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ وتكلم في هذا الحديث بعضهم . لكن قال المحب الطبري إن أكثرهم يروى إن قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ .

ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال : أوّل الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره ، أخرجه الحافظ السلفي .

وأخبر ﷺ : ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه حياً ، ولقي عمر رضي الله عنه يوماً أبا ذر رضي الله عنه فأخذ بيده وعصرها فقال : دع يدي يا

قفل الفتنة . فقال له : ما هذا يا أبا ذر ؟ قال : جئت يوماً ونحن عند رسول الله ﷺ فكرهت أن تتخطى الناس فجلست في أدبارهم . فقال ﷺ : لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم .

وروى الشيخان : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً : أيكم يحفظ ما قال رسول الله ﷺ في الفتنة التي تموج كموج البحر ؟ فقال حذيفة رضي الله عنه : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال : أيفتح أم يكسر ؟ قال : يكسر . قال : إذن لا يغلق أبداً . فقيل لحذيفة : من الباب ؟ قال : هو عمر . قيل له : أكان عمر يعلمه ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة . إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام ، فقال له رجل : اصبر أيها الأمير فان الفتن قد ظهرت ، فقال : أما وابن الخطاب حيّ فلا إنما ذاك بعده .

وروى البيهقي : انه ﷺ أخبر بمحاربة الزبير لعلي ، وهو أي الزبير ظالم وكان ﷺ رآهما يوماً وكل منهما يضحك . فقال لعلي رضي الله عنه : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني ؟ فقال للزبير : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني ؟ فقال : أما انك ستقاتله وأنت له ظالم ، فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال له : ناشدتك الله أسمعت من رسول الله ﷺ قوله : إنك ستقاتلني وأنت لي ظالم ؟ قال : نعم ، ولكن نسيته منذ سمعته منه ﷺ ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع يشق الصفوف راكباً فعرض له ابنه عبد الله فقال : مالك ؟ قال : ذكرني عليّ حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : لتقاتلنه وأنت ظالم له . فقال له ابنه : إنما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته . فقال : قد حلفت أن لا أقاتله . قال : أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل ، فلما اختلف الأمر ذهب . فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن قاتل الزبير في النار .

وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا علياً لما بايعه الناس ولم يرض بمبايعتهم ، لكنه خشي الفتننة لكثرتهم ولغلبهم ، وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم إياه ، وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان ، وأرادت عائشة رضي الله عنها أن تساوي الأمر بين علي ومعاوية رضي الله

عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضي الله عنه ، فسارت في هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير رضي الله عنهما ، حتى التقوا مع عليّ رضي الله عنه ، وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية ، فلم يتم الأمر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد ، وكانوا كلهم مجتهدين رضي الله عنهم ثم تبين لعائشة رضي الله عنها ان الحق مع عليّ رضي الله عنه في عدم تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم ، فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم ، فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة في عز وإكرام .

وكان النبيﷺ أشار الى هذا القتال وأخبر به ، وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت مع نساء النبيﷺ يوماً ، والنبيﷺ جالس وهن يتحدثن فقال : أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ـ بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة ـ اسم ماء أو موضع في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة .

وفي حديث آخر : أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت ، فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضي الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه ، فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب ، فهمّت بالرجوع فحلوا لها انه ليس الحوأب ، ثم تبين لها الأمر فعادت بعد الصلح كما تقدم .

وروى الحاكم والبيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ذكر رسول اللهﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها أي تعجباً من خروج المرأة على الخليفة فقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ، ثم التفت الى علي رضي الله عنه فقال : ان وليت من أمرها شيئاً فارفق بها ، وقد امتثل الأمر رضي الله عنه فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد ، وشيعها علي رضي الله عنه بنفسه أميالاً وسرح بنيه معها يوماً .
ومما أخبر بهﷺ من المغيبات أن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية أصحاب معاوية ، وكان هو مع عليّ بصفين وكان كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مجتهداً ، لكن علياً رضي الله عنه هو المصيب في تأخير أمر قتله عثمان ، ومعاوية رضي الله عنه هو المخطىء في طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم ، لكن حيث كان ذلك ناشئاً عن اجتهاد فلا لوم عليه للحديث المشهور أن المجتهد إذا أصاب له أجران وإذا أخطأ له أجر

واحد ، فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، وما عداه زيغ وضلال ، نسأل الله الحفظ منه .

ومن إخباره ﷺ بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ويل للناس منك وويل لك من الناس ، وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك . وسبب قوله ذلك أنه ﷺ احتجم وأعطى دمه لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه ، وكان صغيراً فتوارى وشربه فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال له : أما أنك لن تمسك النار ، وقال له أيضاً : ويل للناس منك وويل لك من الناس ، حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان إلى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله ، وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يكرّ على الصفوف فيهزمها ، وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم .

ومن إخباره ﷺ بالغيب قوله في حق قزمان أنه من أهل النار . وذلك أن قزمان قاتل في بعض الغزوات أي غزوة خيبر وقيل : حنين قتالاً شديداً حتى أعجب الصحابة رضي الله عنهم ، وكان شجاعاً وهو مولى لبعض الأنصار ، فلما رأى الصحابة إقدامه وشجاعته أخبروا النبي ﷺ بخبره فقال : إنه من أهل النار ، ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة ، فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات ، وقيل أنه أخرج من كنانته سهماً فنحر به نفسه . فأخبر النبي ﷺ به فقال : إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وأمر منادياً أن ينادي في الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن . وقوله ﷺ فيه : إنه من أهل النار ، إما لكونه منافقاً ، وأنه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة ، أو أنه استحل قتل نفسه فلا ينافي أن قتل الشخص نفسه لا يقتضي كفره .

وروى الطبراني والبيهقي : انه ﷺ قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب : آخركم موتاً في النار ، فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتاً ، كبر سنه فأصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه ، فأوقدت له نار ليصطلي بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة ، فعلم صحة ما أخبر به ﷺ وأبهم لهم النار حيث لم يبين لهم أنها نار الدنيا ، ليجدوا في أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة ، أو أنه لم يؤذن له في ذلك ، وذلك من الحكم الخفية .

قال ابن حكيم الضبي : كنت إذا لقيت أبا هريرة رضي الله عنه سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك فقال : كنا عشرة في بيت فقال ﷺ : آخركم موتاً في النار ، فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره . وكان إذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله . وفي رواية للبيهقي كان إذا أراد أحد أن يغيظ أبا هريرة قال : مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة رضي الله عنهما .

وروى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة : انه ﷺ قال في حنظلة بن ابي عامر الإنصاري الغسيل الذي استشهد يوم أحد ، إني رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه ، فسألوها فقالت : انه خرج جنباً أعجله الحال عن الغسل وكان عروساً ابتنى بجميلة بنت عبد الله بن أبي سلول المنافق ، وكانت امرأة صالحة .

قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه : ووجدنا رأسه تقطر ماء اي وذلك من أثر تغسيل الملائكة .

ومن إخباره ﷺ بالغيب ما رواه الإمام أحمد والترمذي بل وأصحاب الكتب الستة من قوله ﷺ : الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً ، فكانت كذلك بمدة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ، وقال : الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما أقاموا الدين ، أي فاذا غيروا غيرهم الله ، وقد وقع كما قاله ﷺ .

وروى مسلم والبيهقي أنه ﷺ قال : يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل . قال العلماء : إن المراد بهما الحجاج والمختار بن أبي عبيد قال النووي : أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج : والكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم انه يوحي اليه ، وكان له كرسي يضاهي به تابوث بني إسرائيل ، فهو ضال مضل . وكان في أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم انه يأخذ بثأر الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقاً كثيراً ، واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير . وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن مسيلمة الكذاب يعقره الله . وفي رواية : يقتله . وكان ادّعى النبوّة في آخر حياة النبي ﷺ ، فجهز اليه الصديق رضي الله عنه جيشاً وأمّر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا

مسيلمة وقومه حتى قتله الله ، وكان قتله على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ، وشاركه فيه ناس . ففي التعبير عن قتله بالعقر إشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية .

ومما أخبر به ﷺ من ا لمغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنته ﷺ أوّل أهله لحوقاً به أي أول أهل بيته لحوقاً به ، فماتت بعده بستة أشهر .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات : أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم ، فوقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فارتد بعد انتقاله ﷺ كثير من العرب ، إلا أهل الحرمين وأهل البحرين ، فكفى الله أمر المرتدّ بن بأبي بكر رضي الله عنه بعد أن قاسى منهم أموراً شديدة ، فما توفي رضي الله عنه حتى رجعت العرب الى الإسلام .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات ما رواه البزار عن أبي عبيد رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قوله ﷺ : ان هذا الأمر أي دين الإسلام بدأ نبوّة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ، ثم يكون عتواً وجبرية من الجبر ، وهو الإكراه والقهر وفساداً في الأمة ، فكان الامر كما أخبر .

ومما أخبر به من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرني رضي اي الله عنه ، وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبي ﷺ ، وإلا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبي ﷺ ، وعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن ، كان به بياض أي برص فبرأ منه إلا موضع درهم أي لانه دعا الله تعالى أن يزيله إلا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه ، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ، ووصفه ﷺ لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الأدمة ضارب بذقنه الى صدره ، رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ، ذو طمرين لا يؤبه به ، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء . لو أقسم على الله لأبره ، تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء إلا وأنه إذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة ، وقيل لأويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر ، يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما ، فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه ، فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه قام علي أبي قبيس فنادى : يا أهل

اليمن ، هل فيكم أويس ؟ فقام شيخ وقال : لا ندري ما أويس ولكن انه أخ لي أخمل ذكراً وأهون من أن نرفعه اليك وهو في إبلنا يرعاها فعمي عليه عمر رضي الله عنه كأنه لا يريده ثم قال : أي هو ؟ فقال : بأراك عرفات . فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي ، فسلما عليه وقالا : من الرجل ؟ قال : راعي إبل أجير . فقالا : لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ فقال : عبد الله . فقالا : كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : ما تريدان مني ؟ فأخبراه بما قاله رسول الله ﷺ لهما . وسألاه أن يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الأيسر لتتحقق العلامة ، فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف ، كما أخبرﷺ ، وسألاه الدعاء كما أمرهما ﷺ ، ثم سألهما من هما ؟ فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما : جزاكما الله خيراً عن أمة محمدﷺ ، واستغفر لهما كما أمرهما رسول اللهﷺ . فقال له عمر رضي الله عنه : مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي ، وكسوة من ثيابي ، فقال : لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم ، وما أصنع بالنفقة والكسوة ؟ ثم أقبل على العبادة .

وجاء في حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرني : وقال الامام احمد : ان سعيد ابن المسيب افضل التابعين : قال القرافي : لعل الإمام احمد لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وقال النووي : أفضلية أويس شدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه ، فلا منافاة وقيل : أفضلهم الحسن البصري وقيل : حفصة بنت سيرين : قال بعضهم : ولا شك ان الأفضلية على الاطلاق لأويس ، وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله اعلم .

ومما أخبر بهﷺ من المغيبات ما رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه من اخباره بانه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت : فما تأمرني ؟ قال: صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل معهم ، فانها لك نافلة ، وقد وقع ذلك كما اخبرﷺ .

ومما اخبر عنهﷺ من المغيبات ما رواه البزار والطبراني بسند صحيح : انهﷺ قال : يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون افياءكم ويضربون رقابكم ، وقد وقع ذلك كما اخبر ﷺ .

وروى الشيخان انهﷺ قال : خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ،

ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ،وينـذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثـرة اكلهـم وشربهم وترفههم ، وعـدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الأمور .

وروى الشيخان : انه ﷺ قال : هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش . قال أبو هريرة رضي الله عنه : راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان ، وأراد يزيد وبعض بني مروان ولم يسمعهم خوف الفتنة . وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول : اعوذ بالله من رأس الستين وأمارة الصبيان . فتوفي قبل ذلك ، وكانـت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي أراده أبو هريرة رضي الله عنه . وكان ذلك ياعلام من النبي ﷺ .

واخبر ﷺ بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم ، واخبر انهم مجوس هذه الأمة ، وكذا أخبر بظهور الرافضة في احاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله ﷺ : يكون في امتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون .

وأخبر ﷺ في حديث رواه البغوي وغيره: بأنها لا تذهب هذه الأمة حتـى يلعـن آخرها اولها ، وقد وقع ذلك من كثير من اهل البدع يتناولون كثيراً . من الصحابة وأهل البيت ، وكثـير من السفهـاء يتعاطـون سب كثـير من الأولياء كسيدي محيي الـدين بن العربي ، وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما ، فنعوذ بالله من امثال ذلك ، فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله ان ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم . وقال ﷺ : ان الأنصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئاً يضرّ فيه قوماً وينفـع آخرين فيقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم : انكم ستلقون اثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، فكان ذلك كله كما اخبر ﷺ وأخبر بشأن الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه .

وجاء ذلك في احاديث رواها الشيخان وغيرهما اخبر بان آيتهم رجل اسـود احدى ثدييه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم عليّ رضي الله عنه خطب الناس وذكروا الحديث وقال ، اطلبوا ذا الثدية ، فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤوا ، به فقال : شقوا قميصه ، فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكراً لله ، اذ

صدق نبيهﷺ ، وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل اي زاده ذلك يقيناً ، واخبر ان سيماهم التحليق ، اي حلق رؤوسهم ولم يكن في الصدر الأول حلق الرؤوس الا في نسك .

واخبرﷺ ان من اشراط الساعة ان ترى رعاء الشاة رؤوس الناس ، والعراة الحفاة يتطاولون في البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها ، وعلوه على غيره حتى يصير رئيساً بعد فقره وذله .

ومما اخبر عنه من المغيبات ما رواه الشيخان : ان قريشاً لا يغزونه بعد غزوة الأحزاب ، وانه هو الذي يغزوهم فكان كذلك .

وروى الشيخان انهﷺ اخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس . والموتان على زنة البطلان ، والمراد منه الموت الكثير ، فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح بين المقدس ، ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس ، نزل بها عسكر المسلمين ، وهو اوّل طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : اتيت النبيﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من ادم فقال : اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ، ثم استفاضة المال وفتنه وهدنة بينكم وبين بني الأصفر .

وروى ابو داود عن انس رضي الله عنه انهﷺ قال له : يا انس ، ان الناس يمصرون امصاراً وان مصراً منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها ، فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها ، وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ ، وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها . ففي هذا الحديث من اعلام نبوته .

ومن الأخبار بالغيب ما لا يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة ، بناها عتبه بن غزوان رضي الله عنه ، وسكنت سنة ثماني عشرة ، وكان أنس رضي الله عنه ممن سكنها ، ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم .

ومن أخباره ﷺ بالغيب ما رواه الشيخان ، ان امته يغزون في البحر كالملوك على

وروى ابن عدي والبيهقي : انهﷺ قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه : يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد .

وروى مسلم انهﷺ قال في الذين كانوا معه على حرا حين تحرّك بهم وهم : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير اثبت فما عليك الا نبي أو صديق او شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم • وعد بعضهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ، وقد مات بالطاعون ، وهو نوع من انواع الشهادة .

وروى البيهقي : انهﷺ قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ وتقدمت قصة تعرضه للنبيﷺ وانه اخذا أماناً ، ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، فلما سلب الله كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه اتى بسواريه لعمر رضي الله عنه فألبسهما سراقة رضي الله عنه ، تحقيقاً لما اخبر بهﷺ وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ، وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرّم لأنه انما فعل ذلك تحقيقاً وتصديقاً لقول رسول اللهﷺ من غير ان يقرهما بعد ذلك ، ومثل ذلك لا يعد استعمالاً محرماً .

وروى ابو نعيم في الدلائل والخطيب البغدادي في تاريخه : انهﷺ قال : تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهو نهر بالعراق مشهور ـ تجبى اليها خزائن الأرض يخف بها يعني بتلك المدينة وهي بغداد ، وقد وقع ما أخبر بهﷺ من بنائها في الدولة العباسية ، وجباية الأموال اليها ، وبقي امر الخسف وسيظهر كما اخبر بهﷺ .

وروى الامام احمد والبيهقي : انهﷺ قال : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شرّ لأمتي من فرعون لقومه .

قال الأوزاعي فكانوا يرون إنه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار ، الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الأمة ، وكان سفيهاً مدمناً للخمر ، تفاءل يوماً في المصحف فخرج له ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول :

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد ... اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الأسود : فقال ابو سفيان : لا أقول شيئاً ولو تكلمت لأخبرته هذه الحصباء ، فخرج عليهم النبيﷺ وقال : علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم : فقال الحرث وعتاب : نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك .

ومن اخباره بالغيب في الصحيحين . من اعلامهﷺ بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم اليهودي ، وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه في بئر ذروان ، والمشاطة ما يسقط من الشعر ، والجف وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشاء فكان كما قالﷺ ، ووجد على تلك الصفة فأرسلﷺ بعض اصحابه فاستخرجوه وصارماء البئر كنقاعة الحناء .

وروى البيهقي وغيره : انهﷺ اعلم عمه ابا طالب بأكل الأرضة ما في صحيفة قريش التي تظاهروا بها على بني هاشم حين امتنعوا من تسليم النبيﷺ لقريش يقتلونه ، وان الأرضة ابقت فيها اسم الله تعالى : فوجدوها كما قالﷺ : وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ما اخبر به من الحوادث التي تكون بعده فجاء كثير منها كما اخبر ، وبقي بعض سيظهر كما اخبرﷺ فمما اخبر به مما يكون بعده ما رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان رسول اللهﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء اعناق الابل ببصرى اي وهي مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفي كامل ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبيﷺ : لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من اودية الحجاز بالنار تضيء له اعناق الابل ببصرى .

قال الحافظ بن حجر في شرحه على البخاري ، وكذلك العلامة القسطلاني . وهذا ينطبق على النار التي ظهرت بالمدينة في المائة السبعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادي الاخرة من سنة اربع وخمسين وستمائة ، وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر المذكور ، وجمع بإن الأول نظر لابتدائها الخفي على بعض الناس ، والثاني نظر الى ظهورها للخاص والعام ، واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الأرض بمن عليها ، وعجت الأصوات لباريها تتوسل ان ينظر اليها ، ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن اهل المدينة بالهلكة ، وزلزلوا زلزالا شديداً ، فلما كان يوم الجمعة في نصف النهار ثار في الجوّ

الأسرة ، ولم يكن ذلك في حياتهﷺ فكان ذلك كما اخبر ، والحديث مروى في الصحيحن عن انس بن مالك رضي الله عنه . عن خالته ام حرام بنت ملحان ، وكان رسول الله ﷺ نام عندها يوماً ،ثم استيقظﷺ وهويتبسم فقالت له : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : اناس من امتي عرضوا علي يركبون ثبج البحر اي وسطه كالملوك على اسرة قالت : ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام ، فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال اولاً فقالت : ادع الله ان يجعلني منهم فقال لها : انت من قوله قيل : والصواب انه لا اصل لهذا القيل كما يعلم بالوقوف على عبارة القاموس الأولين ، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنهما ، فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا الهادابة لتركبها . فوقعت وماتت شهيدة رضي الله عنها ، وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر ، فلما سمع هذا الحديث اذن للناس في ركوبه وام حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس ، وقبرها معروف يزار .

وأخبرﷺ ان الدين لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس ، وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي والامام آبي حنيفة والبخاري وأمثالهم رضي الله عنهم ، وظهر فيهم من الأولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعدو ولا يحصى .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : هاجت ريح والنبيﷺ في بعض غزواته اي وهي غزوة تبوك ، وقيل غزوة بني المصطلق ، فقال : انها هاجت لموت منافق يعني رقاعة بن زيد بن التابوت ، وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين ، وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما اخبرﷺ ، ووجدوا هلاكه وقت اخبارهﷺ .

وروى الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه انه ﷺ قال يوماً لقوم من جلساته : ضرس احدكم في النار مثل احد . قال ابو هريرة رضي الله عنه ذهب القوم كلهم اي ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتداً يوم اليمامة ، ولم يعينه لكراهته او طلباً للستر .

وروى ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : انه ﷺ اخبر بالذي غل خرزاً من خرز يهود خيبر ، وكان قد توفي فأخبرﷺ به ليصلي عليه فقال : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه الناس فقال : ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا متاعه وما معه فوجدت تلك الخرزات التي غلها في رحله .

وروى البيهقي : ان ناقته ﷺ ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين : كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي ؟ فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال ﷺ : ما أزعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي ، فهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا ، فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف ، فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد ابن اللصيب .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما اعلم به اصحابه حين تجهز عام الفتح ، وقد اراد اخفاء امره من ان حاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه كتب الى اهل مكة يعلمهم بمسيره ﷺ اليهم ، واخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها : اخفيه ما استطعت، وقال ﷺ لعلي والزبير والمقداد رضي الله عنهم : انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به ، فانطلقوا وجاؤوا بالكتاب فسأل ﷺ حاطباً فاعتذر وحلف انه ما فعل ذلك نفاقاً ولا ارتداداً ، فقبل ﷺ عذره كما تقدم ذلك مبسوطاً في غزوة الفتح .

ومما اخبر به ﷺ من المغيبات ، ما اظهره ﷺ من شأن عمير بن وهب بن خلف لما قدم المدينة ، وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الأسرار وقد توافق مع صفوان بن أمية في الحجر على ان صفوان يتحمل ديناً كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي ﷺ ، فلما قدم المدينة سأله ﷺ ما جاء بك ؟ قال : جئت لهذا الأسير فأحسنوا فيه فقال ﷺ : بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله ، فتحمل دينك وعيالك ، وجئت لتقتلني فقال : اشهد انك رسول الله ، وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان ، فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمدلله الذي هداني للاسلام اشهد ان لا اله إلا الله وأنك رسول الله : فقال ﷺ : فقهوا أخاكم ، وتقدم ذلك في غزوة بدر عند تعداد الاسراء .

ومن اخباره بالغيب قوله ﷺ لأبي بن خلف : انا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبيّ : عندي فرس اعلفها كل يوم فرقاً اقتلك عليها ، وقد حقق الله قول نبي ﷺ : فانه قتل أبياً يوم احدكما تقدم في غزوة احد .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما رواه مسلم : انه ﷺ قام ببدر قبل قتالهم ، وقال : هذا مصرع فلان ووضع يده على الأرض ، ثم قال : هذا مصرع فلان ووضع يده عليها

وذكرهم واحد وأحداً مشيراً ، الى مصارعهم فصرعوا كذلك ، ما تجاوز احد منهم موضعه الذي اشار اليه .

ومن اخباره ﷺ بالغيب : ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فكان كذلك وذلك انه لما قتل عليّ كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت ، وكان الذين بايعوه اكثر من اربعين الفاً ، وكانوا اطوع له وأحب من ابيه فبقي نحو سبعه اشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه ، فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن رضي الله عنه انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين ، وعلم معاوية رضي الله عنه مثل ذلك ، فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقا ابيض وقال : اكتب فيه ما شئت وأنا التزمه فاصطلحا ، على انّ الحسن يفوّض الأمر له بشرط ان لا يطلب احداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في أيام أبيه ، فأجابه معاوية رضي الله عنه الى ذلك ، واشترط ان يكون الأمر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين ، وحقق الله قول نبيه ﷺ : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية : ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما رواه الشيخان من قوله ﷺ لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون ، وذلك ان سعداً رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالأرض التي هاجر منها ، واشتد مرضه حتى أشفى اي اشرف على الموت ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال : يا رسول الله أوصي بمالي كله قال : لا إلى ان قال الثلث والثلث كثير ، وهو حديث مشهور ثم قال له ﷺ : لعلك تخلف اي تعيش حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون ، فشفاه الله من ذلك المرض ، وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناساً أسلموا على يديه ، وغنموا معه وأضر الله به ناساً من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة .

قال النووي : فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما اخبر به فيه .

ومن اخباره ﷺ بالغيب : ما رواه البخاري عن انس رضي الله عنه من اخباره ﷺ

بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر او ازيد ، وذلك انه بعث جيشاً جهة الشأم وقال : اميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب ، فان اصيب فعبد الله بن رواحة ، فان اصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم .

وجاء في رواية : انهﷺ قال : ان الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال : اخذ الراية زيد فأصيب ، ثم اخذها جعفر فأصيب ، ثم اخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناهﷺ تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم ، فلما أتاه بعلي بن امية رضي الله عنه وكان رسولاً من الجيش قال له رسول اللهﷺ : ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال : اخبرني فأخبره ووصفهم له فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً

وروى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انهﷺ اخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني ارض الحبش وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات .

وروى البيهقي : انهﷺ اخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات : فلما تحقق ذلك اسلم .

وروى الماوردي في اعلام النبوّة ان النبيﷺ اخبر أصحابه بان فيروز الديلمي قتل الأسود العنسي الذي ادّعى النبوّة بصنعاء فكان كذلك .

وروى الامام احمد انهﷺ اخبرأبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وانه يعيش وحده ويموت وحده ، فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها .

وروى مسلم انهﷺ اخبر ان اسرع زوجاته لحوقا به اطولهنّ يداً اي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام ، وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها اكثرهن صدقة ، فكانت اوّل الزوجات موتاً .

وروى البيهقي ، انهﷺ اخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف ، وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلاء ، وأخرجﷺ بيده تربة وقال : فيها مضجعه : وفي رواية : انّ جبريل عليه السلام جاء بها .

وفي هذا الحديث معنى لطيف وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب ، فشاركه في التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ، ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى .

وروى الشيخان انهﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وكانت دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا .

وروى البيهقي والحاكم : انهﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه : عسى ان يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك . فان سهيلاً رضي الله عنه قام في أهل مكة يوم بلغهم موت النبيﷺ وخطبهم وثبتهم بنحو قيام ابي بكر رضي الله عنه في اهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم ، كما تقدم بيان قيام سهيل لأهل مكة عن ذكره في جملة أسرى بدر .

وروى ابن اسحق والبيهقي : انهﷺ قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله لأكيدر دومة : انك تجده يصيد البقر : فخرج خالد بن الوليد ومعه اربعمائة وعشرون فارساً فأتو ، في ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان ، فشدوا عليهما فقتلوا اخاه حسان وأسروا اكيدر فقدموا به على النبيﷺ فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ، ومات على نصرانيته ، وقيل أسلم وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة والله اعلم .

ومن اخباره

ووكلواﷺ بالغيب ما كان يخبر به اصحابه عن المنافقين مما اسرّوه واخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ، ومن أقوالهم فيهﷺ وفي المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه ﷺ امر بلالاً رضي الله عنه ان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل ان يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله اسيداً اذ لم ير هذا اليوم : وقال الحرث : اما

دخان متراكم أمره متفاقم ، ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشي الأبصار .

ونقل العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكرته : انه كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادي الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ، وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة ، فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرّة ترى في صورة البلد العظيم ، عليها سور محيط ، بها عليه شراريف كشراريف الحصون وابراج ومآذن ، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الادكته واذابته ، ويخرج من مجموع ذلك نهر احمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد ، ياخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي ، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، وانتهت النار الى قرب المدينة ، وكان يأتي المدينة ببركة النبيﷺ نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، وانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها .

قال القرطبي : وقال لي بعض اصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة ، وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى : وقال ابو شامة : وردت كتب من المدينة في بعضها انه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتى حاذى جبل احد . وفي آخر سال منها وادٍ مقداره اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال ، يجري على وجه الأرض يخرج منها مهاد وجبال صغار .

قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة : ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل وفنيت من نزول الاجل وعج المجاورون بالجؤار بالاستغفار . وعموا على الاقلاع عن الاصرار وعلى التوبة عما اجترحوا من الأوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال ونالهم من الخوف والفزع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبيناﷺ في امته ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته .

وفي المواهب : ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوماً ، وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج .

وفي شرح البخاري للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة ، كما فهمه القرطبي وغيره ، وكذلك قال النووي في شرح مسلم : وكان ظهورها في ايامه وقد تضمن الحديث ثلاثة امور خروجها من الحجاز

وسيلان وادٍ منه بالنار وقد وجدا ، وأمّا الثالث وهو اضاءة اعناق الابل ببصرى .

قال العلامة القسطلاني : فقد جاء من اخبربه فاذا ثبت هذا فقد صحت الأمارات وتمت العلامات ، ثم ذكر انه جاء من اخبر انه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة ، فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد ، وأما النار التي تسوق الناس الى ارض المحشر ، فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن .

ومن اخباره ﷺ عما سيقع ما رواه ابو داود في سننه من قوله ﷺ عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية .

ومن ذلك اخباره باشراط الساعة وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى علبه السلام ، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة . وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار ، والجنة والنار ، وعرصات القيامة وغير ذلك ، وحسبك هذا الفصل ان يكون مؤلفاً مفرداً يشتمل على اجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم .

ومن معجزاته ﷺ .

ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوّته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه ، وكل ما اكرمه الله به وميزه به على غيره من الأخلاق الزكية والأوصاف المرضية ، ومعرفة ذلك كله من تمام الأيمان ، فان من الايمان التصديق بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبل ولا بعده خلق آدمي مثله ، فكل ما يشاهد من بدنه ﷺ آيات ومعجزات لمن شاهده ، وهي تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن ، وذلك الباطن دليل على ما أورد في قلبه من العلوم والمعارف ، ولله درّ البوصيري حيث يقول :

فهوالـذي تم معنـاه وصورته ثم اصطفـاه حبيبـاً باريء النسم
منـزه عن شريك في محاسنه فجوهـر الحسـن فيه غـير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره ، والمراد انه ﷺ اعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره

في الانصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركاً ،وتميز المصطفى ﷺ بالزيادة التي لم يؤتها غيره . واما قوله ﷺ : اعطى يوسف شطر الحسن ، فالمراد منه ان اوتى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ، وفي الاثر ، ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي : صف لنا محمداً ، فقال : اما اني أفضل فلا : اي لأن صفاته لا يمكن الاحاطة ، بها فقال : الرجل اجمل فقال خالد رضي الله عنه : الرسول على قدر المرسل اي على حالة تليق به ، وهو رسول الله بعثه لتبليغ احكامه ، فمن لازمه انه بالغ الغاية فكل ما تصوّر فيه من كمال دون ما ثبت له ، فان الملك اذا بعث رسولاً لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرّف تام ، ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل ، لأن عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما اعطي ﷺ .

وفي المواهب نقلاً عن القرطبي عن بعضهم انه قال : لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته ﷺ لعجزنا عن ذلك . ولقد احسن البوصيري رحمه الله حيث قال :

اعيا الــورى فهــم معنــاه فليس يرى	في القــرب والبعــد منــه غــير منفحم
كالشــمس تظهــر للعينــين من بعد	صغــيرة وتــكلّ الطــرف من امم

وهذا مثل قوله في الهمزية :

انمــا مثلــوا صفاتــك للنا س كما مثــل النجــوم الماء

يعني ان واصفيه لم يبلغوا حقيقته ﷺ لأنهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك الا مجرّد صورها لا غير .

ولنشرع في ذكر جملة من اوصاف ذاته الشريفة فنقول اما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ احسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً .

وروى الترمذي والامام احمد والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : ما رأيت

شيئاً احسن من رسول الله ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، ومعناه ان جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه اي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ، ولا تختص ببعض منه دون باقيه ، فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل :

لم لا يضيء بك الوجود وليله فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري : سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ فقال : لا بل مثل القمر ، فكأن السائل اراد مثل السيف في الطول فردّ عليه البراء رداً بليغاً . فقال : بل مثل القمر اي في التدوير ، او ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال : بل فوق ذلك ، وعدل الى التشبيه ، بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو ردّ لتوهم السائل ان لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان، لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم : يحتمل أنّ التشبيه ممن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لأنّ السائل شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف ، ولو شبه بالقمر لكان أولى فلذلك ردّ عليه البراء فقال : بل مثل القمر ، وأبدع في تشبيهه ، لأنّ القمر يملأ الأرض بنوره يؤنس كل من يشاهده ، ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما : ان رجلاً قال له : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ فقال : لا بل مثل الشمس والقمر ، والمراد انه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور ، فقد كان مستديراً لا طويلاً ، والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان ﷺ أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه : كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ، ولم يكن كثير السمن ولا نحيفاً والمراد انه ما كان في غاية التدوير ، بل كان فيه سهولة وهي احل عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم ، وطبع قويم ، فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن .

وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو في عيني احسن من القمر وفي رواية : بعد قوله حمراء فجعلت اماثل بينه وبين القمر فهو عندي احسن من القمر .

وروى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ اذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها ، دخل على النبي ﷺ يوماً مسروراً تبرق أسارير وجهه ، وهي جمع أسرار جمع سر بكسر السين . وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ، ولذلك قال كعب : كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين ، وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء لمشبه بضياء الشمس ونور القمر .

وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : التفت الينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات ، أو أنه كان متلثماً فلا ينافي ان وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة ، وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها . كأنه دارة قمر .

وروى ابو نعيم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر .

وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي ﷺ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن ، عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه ، اذا مر بالحجر استمله بالمحجن ، ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال ابو اسحق البيهقي الراوي عنها فقلت : لها شبيهي. فقالت : كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله .

روى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوّذ رضي الله عنهما : صفي لنا رسول الله ﷺ قالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

وروى مسلم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي رضي الله عنه ، وهو آخر الصحابة موتاً ولد عام الهجرة وتوفي عام مائة ، حدث يوماً في آخر عمره فقال : رأيت رسول الله ﷺ وما بقي على وجه الأرض احد رآه غيري ، فقيل له صف لنا رسول

الله ﷺ فقال : كان أبيض مليح الوجه .

وروى الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : سألت خالي هند بن أبي هالة وهو اخو السيدة فاطمة رضي الله عنها من امها خديجة رضي الله عنها ، وابوه ابو هالة واسمه النباش ، وقيل مالك ، وقيل زرارة ، وكانت خديجة متزوجة به قبل النبي ﷺ ثم مات عنها ، واما هند ابنه فصحابي رضي الله عنه اسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل ، وهو مع علي رضي الله عنه.، وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما . قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : كان خالي هند بن أبي هالة وصافاً لحلية النبي ﷺ : وكنت أشتهى ان يصف لي منها شيئاً اتعلق به . فقال لي يوماً . كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً اي عظيماً في نفس الأمر ، معظماً في صدور الصدور ، وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، وقالت ام معبد حين وصفته لزوجها : مبلج الوجه تعني مشرقة مضيئة ومنه تبلج الصبح اذا اسفر .

قال في المواهب : وما احسن قول السيد علي وفي رضي الله عنه حيث قال :

ألا يا صاحب الوجه المليح ... سألتك لا تغيب فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني ... رجعت فلا ترى الا ضريحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي ... وداوى لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم في الحب أمسي ... وأصبح في الهوى دنفاً طريح
محب ضاق بالأشواق ذرعاً ... وآوى منك للكرم الفسيح

وفي المواهب نقلاً عن النهاية لابن الاثير ، انه ﷺ كان اذا سرَّ فكان وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه ، والملاحكة شدة الموافقة ، والمراد انه يرى شخص الجدر في وجهه ﷺ لشدة ضيائه ، وقول ابن ابي هالة رضي الله عنه في حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر ، وهو أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر لأن البدر هو القمر وقت كما له ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما رأى النبي ﷺ يتمثل بهذا البيت :

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنوّر ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه ﷺ معناه الحقيقي أيضاً فمن اسمائه ﷺ البدر ، فقد روى ان الله قال لموسى ﷺ ان محمداً هو البدر الباهر ، والنجم الزاهر ، والبحر الزاخر ، ولهذا أنشد نساء الأنصار لما قدم ﷺ المدينة في الهجرة ومن غزوة تبوك :

طلـع البـدر علينـا من ثنيات الوداع	وجـب الشـكر علينـا ما دعـا لله داعى

ومن احسن قول ابن الحلاوى في صفته ﷺ :

يقولـون يحكي البـدر في الحسـن وجهه	وبـدر الدجـى عن ذلك الحسـن ينحط
كما شبهـوا غصـن النقـا بقوامه	لقـد بالغـوا في المدح للغصـن واشتطوا

اي فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته ﷺ انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در سيدي محمد وفى رضي الله عنه حيث قال :

كم فيه للابصـار حسـن مدهش	كم فيه للأرواح راح مسكر
سبحـان من أنشـأه من سبحاته	بشرا بأسرار الغيوب ببشر
قاسـوه جهـلاً بالغـزال تغزلاً	هيهـات يشبهـه الغـزال الأحور
هذا وحقـك مالـه من مشبه	وأرى المشبـه بالغزالـة يكفر
يأتـى عظيم الذنـب في تشبيهه	لولا لرب جمالـه يستغفر
طلـب الملاح بحسنـه وجماله	وبحسنـه كل المحاسـن تفخر
فجمالـه مجلى لكل جميلة	ولـه منـار كل وجـه نير
جنـات عدن في جنـى وجناته	ودليلـه ان المراشف كوثر
هيهـات ألهـو عن هواه بغيره	والغـير في حشر الأجانـب يحشر
كتـب الغـرام علي في أسفاره	كتبـاً تؤوّل بالهـوى وتفسر
فدع الدعـيّ ومـا ادعـاه في الهوى	فدعيه بالهجـر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجر الأذى والهلاك ، ويقـال :

تهجر سار وقت الهاجرة اي شدة الحر فكأنه قال مدعي المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر في شدة الحر فأتعب نفسه وآذاها بلام عليه عاجلاً وآجلا .

وأما بصره الشريف ﷺ .

فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ اي ما مال بصره عما رآه ليلة الاسراء وما تجاوزه بل اثبته اثباتاً صحيحاً وما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها ، وقد قال تعالى في علة الاسراء ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ فقوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ يفيد انه ﷺ اعطى قوة البصر بحيث انه لا يحصل له تخيل في شيء رآه حتى يكون على خلاف الواقع ، بل متى تعلق بمبصر أدركه على ما هو به في الواقع ، وان كان في غاية الخفاء .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ، والمعنى ان رؤيته في النهار الصافي والليل المظلم متساوية ، لأن الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك في مدركات العيون .

وروى البيهقي وابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء ، وصح انه ﷺ كان يرى المحسوس من رواء ظهره كما يراه من أمامه .

فقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه : انه ﷺ قال : هل ترون قبلتي ههنا ؟ فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفي رواية ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم ، اني لأراكم من وراء ظهري . وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه : انه ﷺ قال : ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ، فاني أراكم من أمامي ومن خلفي .

وعن مجاهد انه ﷺ كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه ، وهذه الرؤية ادراك وإبصار حقيقية خاصة به ﷺ ، انخرقت له فيها العادة فهي من المعجزات والرؤية عند اهل السنة لا تتوقف عقلاً على مقابلة ، ولا على انفصال أشعة من الرائي متصلة بالمرئي ، نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه ﷺ كما يخرقها

للمؤمنين يوم القيامة ، فيرون وبهم من غير شرط من تلك الشروط .

ومما يدل على قوة بصره ﷺ ، وان الله اعطاه قوة خارقة للعادة انه كان يرى في الثريا اثني عشر نجماً لم يتحقق للناس منها غير ستة أو سبعة ، فلم ير جميعها غير النبي ﷺ لقوة جعلها الله في بصره ، ومن قوة بصره ﷺ انه كان يرى الملائكة والشياطين ، ورفع له النجاشي حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ، ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ، ورأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح .

وجاء في حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه انه ﷺ كان اذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة فقوله : اذا التفت التفت جميعاً اراد انه لا يسارق النظر ، ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطائش الخفيف ، ولكنه ﷺ كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً ، وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الي شيء خفض بصره ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب ، بل لم يزل مطرقاً متوجهاً الى عالم الغيب مشغولاً بحاله متفكراً في أمور الآخرة ، لأن هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه ، وقيل هو كناية عن شدّة حيائه ولين جانبه ، او عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله : نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء أي حال السكوت وعدم التحدث ، لأنه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن واعماله جنانه فيما بعث لأجله او لكثرة حيائه وأدبه مع ربه اولانه بعث لتربية اهل الأرض لا اهل السماء ، والأوّل أحسن : وقوله جل نظره الملاحظة معناه انه يلحظ الشيء بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافي في قوله : واذا التفت التفت جميعاً ، وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد ان نظره الى الاشياء لم يكن كنظر اهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملاً بقوله تعالى ﴿ ولا تمدّن عينيك ﴾ . الآية .

وفي حديث الشمايل في وصف علي رضي الله عنه للنبي ﷺ قال : كان ﷺ ادعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر ، والمراد انه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهي عروق حمر رقاق .

وفي رواية لجابر بن سمرة رضي الله عنهما : انه ﷺ أشكل العينين ، والشكلة هي الحمرة تكون في بياض العين وذلك محبوب محمود ، قال الحافظ العراقي : وهي احدى

علامات نبوته ﷺ ، ولما سافر مع ميسرة الى الشأم سأل عنه الراهب فقال : افي عينيه حمرة ؟ فقال : ما تفارقه فقال الراهب : هو هو .

وفي رواية عن علي رضي الله عنه : انه ﷺ كان ادعج العينين اهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفي رواية : ازج الحواجب سوابغ من غير قرن يعني ان طرفي حاجبيه قد سبغا اي طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا ، وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافي بين الروايتين : وفي رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق بدره الغضب اي يحركه ، ويظهره اي يظهر ويرتفع عند الغضب .

وفي المواهب عن علي رضي الله عنه قال : بعثني النبي ﷺ الى اليمن فقمت لأخطب يوماً اي أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن ، فخطبت وحبر من احبار اليهود واقف بيده سفر اي كتاب كبير ينظر فيه ، فلما رآني قال لي : صف لي ابا القاسم . فقلت : ليس بالطويل البائن : ولا بالقصير الحديث يعني المذكور ، فيه جملة من أوصافه ﷺ قال علي رضي الله عنه : ثم سكت فقال الحبر : وماذا فقلت : هذا ما يحضرني الآن اي من صفته قال الحبر ، في عينيه حمرة حسن اللحية ، فقال علي : قده والله صفته . قال الحبرقاني اجد هذه الصفة التي وصفتها يا علي والتي ذكرتها لك في سفر آبائي ، وان اشهد انه رسول الله الى الناس كافة .

وأما سمعه الشريف ﷺ .

فحسبك انه قال : اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع ، الا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى ، رواه الترمذي والامام احمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية ابي ذر رضي الله عنه . وقوله : اطت بفتح الهمزة وشد الطاء ، اي صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها .

وروى ابو نعيم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه اذ قال لهم : تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما تسمع من شيء قال : اني لأسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم .

وأما جبينه ﷺ فقد جاء في وصفه : انه كان واضح الجبين ، والمراد جنس الجبين لان

لكل انسان جبينين وهما مكتنفان الجبهة يميناً وشمالاً . وفي رواية صلت الجبين اي واسع الجبينين : والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم ، وذكر ابن ابي خيثمة انه ﷺ كان أجلى الجبين اذ طلع جبينه اي اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ ، وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضي الله عنه :

متى يبد في الليل البهيم جبينه بلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أومن قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكاد لملحد

وروى البيهقي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم : ولا ضرر في ابهامه لأن الصحابة كلهم عدول . قال : رأيت رسول الله ﷺ فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدي محمد وفي رضي الله عنه حيث يقول في وصفه ﷺ :

جبينه مشرف من فوق طرته يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته من فوق نوناتها سينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فإياي فاعبدوا وعليّ فتوكل ،فسر لأهل سور آن اني انا الله الحي القيوم لا أزول ، فصدّقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ، والنعلين والهراوة الجعد الرأس ، الصلت الجبين المقرون الحاجبين الأهدب الاشفار ، الأدعج العينين الاقنى الانفق الواضح الخدّين ، اي سهل الخدّين ليس فيهما نتو ولا ارتفاع ، الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه ، كأن عنقه ابريق فضة .

وفي حديث عن ابي هريرة رضي الله عنه في وصفه ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة .

وفي حديث آخر من رواية هند بن أبي هالة رضي الله عنه : كأن علقه جيد دمية في صفاء الفضة ، والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج في الاشراق والاعتدال وظرف الشكل

وحسن الهيئة والكمال ، ، لأن صورة العاج يتأنق الناس في صنعتها وبالفضة في اللـون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق افتى الأنف القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه ، وهو معنى قول ابن الأثير وهو السائل الأنف المرتفع وسطه ، ووصف ﷺ بأنه دقيق العرنين اي اعلى الانف حيث يكون الشمم ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين .

وقال ابن ابي هالة رضي الله عنه : اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم اي وليس هو بأشم ، والأشم الطويل قصبة الأنف مع استواء أعلاه .

وأما رأسه الشريف ﷺ

فقد دل على وصفه قول غير واحد انه ﷺ كان عظيم الهامة اي الرأس .

وفي رواية البيهقي عن عليّ رضي الله عنه ضخم الرأس اي عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لأنه اعون على الادراكات ونيل الكمالات ، اما مع الافراط في العظم فهو آية البلادة .

وأما فمه الشريف ﷺ :

ففي مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه ﷺ كان ضليع الفم اي عظيمه أو واسعة من غير افراط ، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفـم لدلالـة السعـة على الفصاحة والصغر على ضدها ، والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم او لمعنى لا يلتفت اليه او ان ذلك بالنسبة للنساء .

وزاد في حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه : كان يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه أي جوانب فمه .

وفي حديث عن البزار والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ واسع الفم أشنب مفلج الأسنان والشنب رونـق الاسنـان وماؤهـا وتحديدهـا ، ومفلـج الاسنان متفرقها : وقال علي رضي الله عنه : مبلج الثنايا بالموحدة اي براقها .

وجاء في رواية : براق الثنايا أي مضيئها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان ﷺ أفلج الثنيتين اي بعيد ما بين الثانيا والرباعيات اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين

ثناياه ، وكانﷺ قوي الأسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان ، فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ، ولا يتوهم في سياق المدح غير هذا ، او كان عليه الصلاة والسلام احسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكانﷺ ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام ، وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى .

وفي رواية جليل المشاش والكتد ، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين اي عظيمها وفي الصحاح : المشاش رؤوس الاصابع اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين .

وفي المواهب عن ابي قرصافة اي وهو جندرة بن خيشنة الكناني الليثي الصحابي رضي الله عنه قال : بايعنا رسول اللهﷺ أنا وأمي وخالتي ، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي : يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل اي خلقاً وخُلُقاً لا أحسن وجهاً ، ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً ورأينا كالنور يخرج من فيه .

وأما ريقهﷺ .

فحسبك ما تقدم في قصة فتح خيبر لما بصق في عيني عليّ رضي الله عنه وهو أرمد جيء به يقاد فشفي حتى كأن لم يكن به وجع .

وروى الطبراني : انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الأنصارية هي وأخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديداً اي لحماً مقدداً فمضغ لهن قديدة فأخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها ، فلقين الله اي متن وما وجد لأفواههن خلوف اي تغير رائحة ، وتقدم في معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقهﷺ .

وروى ابن عساكر : انهﷺ اعطى الحسن بن عليّ رضي اللهعنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى .

وروى الطبراني : ان امرأة بذية اللسان جاءتهﷺ وهو يأكل قديداً فقالت : الا تطعمني ؟ فناولها من بين يديه فقالت : لا إلا الذي فيك . فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شيء مما كانت عليه من البذاءة .

وأما فصاحة لسانهﷺ وجوامع كلمة وبديع بيانه وحكمه فكانﷺ أفصح خلق الله كلاماً واعظمهم نظاماً وأسرعهم أداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ، ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ، ومنزلة لا يداني منتهاها ، وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانة سيفاً من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ، ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره ؟ فهو أفصح خلق الله اذا لفظ ، وأنصحهم اذا وعظ ، لا يقول هجراً ، ولا ينطق هذراً اي لا يخلط في كلامه ، ولا ينطق بمالا ينبغي لأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، كلامه كله يثمر علماً وشرعاً وحكماً لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته ولا أجزل منه في عذوبته ، وخلق بمن عبر عن مراد الله بلسانه ، وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه ، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ، ان يكون احكم الخلق جناناً ، وأفصحهم لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذر ، مسرع لا يحفظ .

وروى مسلم والبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث سرداً وفي رواية : انما كان حديث رسول اللهﷺ فهماً ، تفهمه القلوب ، كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه ، والمراد المبالغة في الترتيل والتفهيم .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : انهﷺ كان يعيد الكلمة ثلاثاً حتى تعقل عنه .

وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له : يا رسول الله ، ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها .

وروى العسكري ان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما قدم بنو نهد على النبي ﷺ وذكر الحديث المتقدم في المكاتبات ، وفيه ذكر خطبتهم وما أجابتهم به النبيﷺ وكلمهم بما هو معروف من لغتهم ، قال علي : فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد ، وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف اكثر قال : ان الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، وتقدم في المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباتهﷺ لقبائل العرب ، وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب .

قال في المواهب : وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند ، وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين .

وفي كتاب الشفا للقاضي عياض : من ذلك ما يشفي العليل . ثم ذكر في المواهب جملة من ذلك كقوله ﷺ : المرء مع من احب كقوله ، الذنب لا ينسى ، والبر لا يبلى ، والديان لا يموت . فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

وفي رواية : ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق : وقوله : الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه . وقوله : القناعة مال لا ينفد وكنز لا يغني وقوله ، الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودّد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم ، وحسن الخلق نصف الدين .

وقوله : لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ، ولا حسب كحسن الخلق ، وقوله لمسلم : من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله . وقوله : التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزاً وصنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال . من صدقة وقوله : أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله : ان من كنوز البر كتمان المصائب . وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ، ومن عير اخا ، بذنب لم يمت حت يعمله ، وقوله من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة . وقوله لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقوله : السعيد من وعظ بغيره ، وقوله : انما الاعمال بالنيات : وقوله نية المؤمن خيره من عمله ، ونية الفاجر شر من عمله ، وأمثال هذه الأحاديث الجوامع مما أطال العلماء في شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعاني والأحكام .

روى الترمذي عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً ، فان اليد العليا هي المنطبة والسفلى هي المنطاة ، ومال

الله مسؤول ومنطي . قال : فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا ، وقد كان من معجزاته وخصائصه ﷺ ان يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب ، وتركيب الفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي ، وما ذلك منه ﷺ الا بقوة آلهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طراً والى الناس سوداً وحمراً فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ اي لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه ﷺ بأي لغة يقع في غاية البيان ، ولا يوجد غالباً متكلم بغير لغته الا قاصراً في الترجمة نازلاً عن الأصيل في تلك اللغة الا نبينا ﷺ ، فانه زاده الله تكريماً وشرفاً اذا تكلم بأي لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والأجناس مما لا يضبطه قياس ، ولا يدخل في تحقيقه الباس ، ومن تكلمه ﷺ بلغة الحبشة ما رواه البخاري من قوله ﷺ : لام خالد وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه .

وفي رواية سنة سنه يعني حسنة يصف لها خميصة اعطاها اياها ، وام خالد رضي الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيئاً من كلامهم ، وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة ، وقوله في قصة طعام جابر رضي الله عنه ، ان جابراً قد صنع لكم سوراً ومعناه بالفارسية الطعام الذي يدعى اليه .

وروى ابن ماجه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : هجر النبي ﷺ وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت اليّ وقال : شكم درد ؟ فقلت : نعم يا رسول الله فقال : قم فصل فان في الصلاة شفاء ، وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ، ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ، ومعناه بالفارسية الوجع ، وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف . فقوله : شكم درد معناه وجع بطن ، والمعنى على الاستفهام أي أبك وجع بطن ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه : نعم ، فقال له قم فصل فان في الصلاة شفاء .

ورواه بعضهم ، دردم بزيادة ميم في آخره ، وهذه الميم في اللغة الفارسية ضمير المتكلم . قال العلامة منلا علي القاري في شرحه على الشفا انه لا يظهر لي وجه خطاب أبي هريرة رضي الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ، يعني كما اذا رأيت إنساناً يشكو شيئاً فاظهرت له ان بك مثل ما به من الشكوى ، اظهاراً

للمطايبة في المخاطبة لزيادة المحبة . وضبطه بعضهم اشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن الاان يقال ان الكرش قد تطلق ، ويراد بها البطن .

قال مثلا علي : وحديث العنب دودو يعني اثنين اثنين والتمر يك يك يعني واحدة واحدة فمشهور على ألسنة العامة ، ولا أصل له عند الخاصة ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

وأما صوته الشريف ﷺ

فقد روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : ما بعث الله نبياً قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم ﷺ ، فبعثه حسن الوجه حسن الصوت ، وروى نحوه عن علي رضي الله عنه .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قرأ النبي ﷺ في العشاء والتين والزيتون فلم أسمع صوتاً أحسن منه .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه . كان ﷺ حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وروى الطبراني والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : انه ﷺ كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثنايا وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره .

وروى البيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العوانق في خدورهنّ .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس : اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة في بني غنم فجلس في مكانه .

وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ابن عم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا .

وروى ابن ماجه عن ام هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت : كنا نسمع قراءة النبيﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي اي سريري .

قال العلامة الزرقاني : فسماعها له وهي على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته .

وأما ضحكه ﷺ

ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً اي ضحكاً تاماً بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته ، انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلى الحنجرة من أقصى الفم . .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه اي اضراسه فهذا كان منه نادراً ولم تره عائشة رضي الله عنها ، ورآه ابو هريرة رضي الله عنه فرواه .

وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام أي بيدي أسنانه ضاحكاً وحب الغمام هوالبرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة .

قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث انهﷺ كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم ، وربما زاد على ذلك فضحك اي ولم يقهقه ، والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار ، فالذي ينبغي ان يقتدى بهﷺ من أفعاله ما واظب عليه من ذلك ، وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز .

وقد روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ : لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه : واذا ضحكﷺ يتلألأ اي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقاً كاشراق الشمس عليها ، وكانﷺ اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاماً له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه ، او إعتباراً وتفكرا بما اتاه به ، وكانﷺ اذا

خطب او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما .

وأمّا بكاؤه ﷺ .

فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ، ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ، ويسمع لصدره ازيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته ، وشفقة من خشية الله ، وعند سماع القرآن وأحياناً في الصلاة ، وقد حفظه الله من التثاؤب ، ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم ابن اخت ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : ما تثاءب النبي ﷺ قط . وفي رواية : ما تثاءب نبي قط .

وفي البخاري مرفوعاً ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب .

وأما يده الشريفة ﷺ :

فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين اي غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة ، وذلك جمال في الرجال وذم في النساء ، وبأنه عبل الذراعين اي قويهما ضخمهما رحب الكفين اي وأسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم ، وقد مسح ﷺ بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيساً وشفقة . قال جابر فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما اخرجها من جونة عطار ، والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب .

قال ابن الاثير : كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم : ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لا سيما في الزمن الحار ، ولا بعد في انه خاص به ﷺ مع كمال حرارته الغريزية .

وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حنجر رضي الله عنه ، لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ او يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف اثره بعد مفارقته لي وأنه لأطيب رائحة من المسك .

وقال يزيد بن الأسود رضي الله عنه ناولني رسول الله ﷺ يده فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك ، رواه البيهقي .

وروى الطبراني عن المستوردين شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال : اتيت النبي ﷺ فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير ، أبرد من الثلج .

وروى الامام احمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه ﷺ دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع ، قال سعد ، فوضع يده ﷺ على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل اليّ اني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة .

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : في صفة النبي ﷺ قال : ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ : ولا شممت ريحاً قط او عرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما اي الكفين في خشونة اي في العظام اي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته ، فكانت كفه ﷺ ممتلئة لحماً غير انها مع ضخامتها كانت لينة ، كما في حديث أنس رضي الله عنه .

وروى الطبراني والبزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أردفني النبي ﷺ خلفه في سفر فما مست شيئاً ، قط ألين من جلده ﷺ ، وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي ﷺ الدم اي أزاله بيده عن وجهه وصدره ، ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس ، رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما .

وتقدمت جملة من بركات يده ﷺ في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه .

وأما بياض ابطه ﷺ

فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة . قال الحافظ ابن حجر ، واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل : كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر ، وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة

ابطيه ولا تنافي بينهما لأن الأعفر ما بياضه ليس بناصع ، وهذا شأن المغابن يكون لهافي البياض دون بقية الجسد .

وقال الطبري من خصائصه ﷺ ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام . .

قال الولي العراقي : الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ، ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده ، فان الشعر اذا نتف بقى المكان أبيض ، وان بقى فيه آثار الشعر .

وقال عبد الله بن أرقم الخزاعي رضي الله عنه : كنت أنظر الى عفرة ابطيه ، والعفرة بياض ليس بالناصع ، فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذي جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خالياً عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذي نعتقده انه لم يكن لإبطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولي الدين العراقي .

قال العلامة الزرقاني : وقد يمنع دلالته على ما قال بما تقدم عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضاً من باقي الجسد .

وروى البزار عن رجل من بني حريش وهم بطن من الأنصار قال : ضمني رسول الله ﷺ فسال علي من عرق ابطيه مثل ريح المسك .

وأما بطنه وظهره ﷺ

فقد جاء انه ﷺ كان مفاض البطن اي مستوى البطن مع الصدر ، عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤوس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره ﷺ بقوله : اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة .

وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : انه ﷺ كان بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر ، فقد روى ابن سعد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه ﷺ رحب الصدر أي واسعه .

وأما قلبه الشريف ﷺ

فقد ثبت له من الكمال ما لم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر

والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده ، فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمدﷺ لأنه أوّل مخلوق ، وصورتهﷺ آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء ، فهو أوّلهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الأنبياء كلها وآخرهم ظهوراً في هذا العالم ، إذ لا نبي بعده ،وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القولب اعلاماً على أسرار القلوب ، فمن تحقق قلبه بسرّ الله اتسعت اخلاقه ، لجميع خلق الله ، فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال ، فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق ، حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ فإذا لم يفد في كفهم عن المعاصي الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ، ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم ، وذلك من سعة الخلق لأنه نفع لهم ، بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبيناﷺ جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظم خلقه ، وتكون أحواله وأخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر، ولما كان قلبهﷺ أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الأولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى : ما وسعني أرضي ولا سما اي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي ، والا فمن قال : ان الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصار الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده .

وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبيﷺ : ان لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها ، وكانﷺ قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به ، كما قال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ فلما أسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره ، وقد صحح ان جبريل عليه السلام شق قلبهﷺ واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك اي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ، ثم غسله في طست وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لأنهامن جملة الاجزاء الانسانية التي اقتضت الحكمة وجودها في الانسان ، فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ، ونزعها امر رباني طرأ بعد خلقها ، فخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها ، وأيضا لو خلق سلياً منها لم يكن للآدميين إطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال

باطنه ، كما برز لهم مكمل الظاهر ، وهذا الشق وقع لهﷺ أربع مرات : الأولى : في بني سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضي الله عنها : والثانية : وهو ابن عشر والثالثة : عند البعثة والرابعة : عند المعراج . وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالأولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة ، والثالثة ليتقوى لتحمل اعباء الوحي والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الأرض والسماء ، والشق بأقسامه هو المراد بقوله تعالى ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ فانه لو لم يشرح لكان ضيقاً ، والقلب إذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة ، واذ طرد العدو في الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الضدر واتسع ، وتيسر له القيام بأداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة .

وههنا نكتة دقيقة لطيفة هي انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ وقال لنبينا محمدﷺ ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ فاعطي بلا سؤال .

قال الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه : كان موسى عليه السلام مزيداً اذ قال رب اشرح لي صدري ، ونبيناﷺ مراداً اذ قال الله له : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ وفرق بين المريد والمراد .

وأما جماعهﷺ

فقد كان يدور على نسائه اي يجامعهن في الساعة الواحدة من النهار أو الليل وهنّ احدى عشرة ، قال قتادة بن دعامة لأنس بن مالك رضي الله عنه : او كان يطيقه اي الدوران عليهنّ ؟ فقال أنس : كنا نتحدث انه أعطي قوة ثلاثين وفي رواية أربعين رجلاً زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة .

وروى ابو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ اعطيت قوة اربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة .

وروى الامام احمد والحاكم عن زيد بن أرقم انهﷺ قال : ان الرجل من اهل الجنة ليعطي مائة قوة في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف ، وبهذا يندفع ما استشكل من كونهﷺ أعطي قوة أربعين فقط . وسليمان عليه السلام أعطي قوة مائة رجل او الف رجل فان مثار الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس

كذلك ، بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد ، وذلك بأربعة آلاف ، فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير ، وزال الاشكال .

وذكر ابن العربي : انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق ، وكان له في الأكل القناعة فأكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتيادية . كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية ، وهما ما شارك امته فيه من التكاليف ، وما خص به منها ومن كل ما يقرّبه الى الله تعالى ، مما لم يطلع عليه احدا من الخلق حتى يكون حاله كاملاً في الدارين . .

وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه انه ﷺ طاف على نسائه التسع في ليلة وروى مرسلاً انه ﷺ قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً من رجال الجنة ، ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولم يعين فيه ما في القدر.

وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله ﷺ الى جبريل قلة الجماع ، فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل عليه السلام فقال له : اين انت من أكل الهريسة ؟ فان فيها قوة أربعين رجلاً وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوى شهوته لاستكثار الوقاع كالأدوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام ، وكالادوية المثيرة للشهوة .

وأورده الغزالي بانه ﷺ انما فعله لأنه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهنّ أو مات عنهنّ ، فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شيء فلا تقاس الملائكة بالحدادين . قال : وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلي بسباع ضاربة وبهائم عادية فتنام عنه أحياناً فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها ، فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها .

وروى الدار قطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ . أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها .

وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضي الله عنهم وكلها أحاديث واهية ، اوردها ابن الجوزي في الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين ايضاً بأنها موضوعات في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبيﷺ من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما احتلم نبي قط أي لأنه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم .

وأمّا صفة قدمه الشريفﷺ

فقد وصفه غير واحد كعلي وهند وأنس رضي الله عنهم بأنه كان شأن القدمين اي غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذي وغيره وفي رواية ضخم القدمين .

وجاء من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انهﷺ منهوس القدمين اي قليل لحم العقب فيهما ، وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضي الله عنها قالت : رأيت رسول اللهﷺ فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه ، رواه الامام احمد والطبراني ، وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبيﷺ كانت اطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس انّ ذلك في يديه .

قال الحافظ ابن حجر : لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في أصابع رجليه ، وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال : كانﷺ أحسن البشر قدماً رواه ابن سعد .

وامّا طولهﷺ

فقال علي رضي الله عنه انهﷺ لا قصير ولا طويل ، وهو الى الطول أقرب ، رواه البيهقي ورواه الترمذي بلفظ : لم يكن بالطويل ولا بالقصير .

وروى عبد الله ابن الامام أحمد عن علي رضي الله عنه : كان رسول اللهﷺ ليس بالذاهب اي المفرط طولاً وفوق الربعة ، اذا جاء مع القوم غمرهم اي زاد عليهم في الطول فكان فوق كل من معه .

وروى البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه : كان رسول اللهﷺ ربعة وهو الى الطول أقرب . وفي رواية عند الترمذي عن علي رضي الله عنه : لم يكن بالطويل الممغط اي المتناهي في الطول ولا بالقصير المترذذ ، وكان ربعة من القوم ، وفي رواية : عن عائشة

رضي الله عنها : ولم يكن بماشية احد من الناس ينسب الى الطول إلاّ طاله او زاد عليه ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما اي يزيد عليهما طولاً إكراماً من الله حتى لا يزيد عليه احد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي ، واختلف في زيادة طوله ﷺ هل هو باحداث الله له طولاً حقيقة حينئذ ولا مانع منه ، او ان ذلك يرى في اعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته ؟ على حدّ قوله تعالى ﴿ واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم .

قال الزرقاني : وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولي وذلك كيلا يتطاول عليه احد صورة وكما لا يتطاول معنى ، فمثل ارتفاعه المعنوي في عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته ﷺ .

وروى ابن سبع في الخصائص : انه ﷺ كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، وحكمته ان لا يزيد احد عليه صورة كما تقدم . ووصفه ابن أبي هالة بأنه ﷺ بادن متماسك اي معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضاً من غير ترجرج . وفسره بعضهم : بأنه ليس بمسترخي البدن .

وأما شعره الشريف ﷺ

فعن قتادة قال : سألت انساً رضي الله عنه عن شعر رسول الله ﷺ فقال : شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط اي مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية في الجعودة وهي تكسره الشديد ، ولا في السبوطة وهي عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطاً بينهما ، وخير الأمور اوساطها . .

قال الزمخشري : الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد احسن الله برسوله ﷺ الشمائل وجمع فيه ما تفرق في الطوائف من الفضائل ، وكان شعر رأسه ﷺ يضرب الى منكبيه وفي رواية الى أنصاف اذنيه ، وجمع بانه تارة يكون الى نصف الأذن وتارة الى المنكب . وفي رواية : كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين ، والوفرة ما نزل الى شحمة الأذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافى بين الروايات .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ كان يسدل شعره وكان المشركون

يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء تألفاً لهم ، ثم فرقﷺ رأسه .

قال القرطبي : حبه لموافقتهم كان اولاً في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به ، فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك امر بمخالفتهم في امور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ، وسدل الشعر ارساله . والمراد انه يتركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص ، وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض .

روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : انا فرقت لرسول اللهﷺ رأسه اي شعر رأسه : قال العلماء : والفرق سنة لأنه الذي رجع اليهﷺ : والصحيح جواز الفرق والسدل معاً ، لكن الفرق أفضل .

وروى الترمذي عن ام هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت : قدم علينا رسول اللهﷺ قدمه تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر اي ذوائب . وفي رواية لها : رأيت رسول اللهﷺ ذا ضفائر أربع .

قال في شرح المصابيح : لم يحلق رأسهﷺ في سني الهجرة الاعام الحديبية ، ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع ، فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الأزمنة ، وأقصرها ما كان بعد حجة الواداع ، فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر .

وأما شعر لحيتهﷺ : فقد كانﷺ أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي .

وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال : سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : هل كان رسول اللهﷺ يخضب ؟ فقال : لم يبلغ الخضاب ، كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض . وفي رواية له لم ير من الشيب ، الا قليلاً لو شئت ان أعد شمطات كنّ في رأسه فعلت ، وجاء انّ الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة او ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة . وفي رواية : ما شأنه الله ببيضاء وانما كان كذلك ، لأن النساء يكرهن الشيب غالباً ومن كره من النبيﷺ شيئاً كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولانّ فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه ، والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالاً على ضعف القوة ، ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه

الاعتبارات فلا ينافي انه وقارونور .

روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً الشيب نور من خلع الشيب ، فقد خلع نور الاسلام .

وروى الديلمي عن أنس مرفوعاً ايما رجل نتف شعرة بيضاء متعمداً صارت رمحاً يوم القيامة بطعن به .

وروى ابن سعدان حجاماً أخذ من شاربه ﷺ فرأى شيبة في لحيته فأهوى اليها ، فأمسك ﷺ بيده وقال : من شاب شيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه ﷺ ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما : انه رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة ، فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته ، وحمله بعضهم على عمومه وقال : يصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان بصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما ، والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبي ﷺ شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك ، اي فوافق أنساً على الانكار ، وتأوّل حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر .

وقال النووي : المختار انه صبغ شعره حقيقة لأن التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الأوقات فأخبر كل بما رأى وكان ﷺ اذا ادّهن لم يتبين شيبه لتفرقه ، وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء ، وقد وصفه علي بن ابي طالب رضي الله عنه بانه ذو مسربة ، وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ، ووصفه ايضاً ابن ابي هالة رضي الله عنه بانه كان ﷺ موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ، اي لم يكن عليهما شعر ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل أي تيمناً وتبركاً . وجاء انه ﷺ

لم يحلق رأسه في غير نسك فتبقيه الشعر في الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء بهﷺ سنة .

قال في المواهب : ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته . وعن محمد بن سيرين قال : قلت لعبيدة السلماني عندنا شيء من شعر النبيﷺ أصبناه من قبل انس ؟ فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحب اليّ من الدنيا وما فيها .

وأما مشيهﷺ

فعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ اذا مشى تكفأ تكفؤاً اي تمايل الى قدّام كأنما ينحطمن صبب اي كأنما تنزل في موضع منحدر ، والمراد ان مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع ، رواه الترمذي .

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه انهﷺ كان اذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ، وعند الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ما رأيت احداً أحسن من رسول الله ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت احدا اسرع في مشيه من رسول اللهﷺ كأنما الأرض تطوي له اي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه ، مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة اي بالنسبة له لا لمن يماشيه ، بدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه : وإنا لنجهد انفسنا وانه لغيره مكترث اي غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة اي فكان يمشي على هينته ، ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه .

وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال : كان رسول اللهﷺ إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

قال الزمخشري اراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وأقصد في مشيك ﴾ اي اعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين ، لا يدب دبيب المتماوتين ، ولا يثب وثب الشياطين ، وروى انه كان اذا مشى يمشي مجتمعاً اي قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي .

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان يمشي مشياً يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان ، وكان أصحابهﷺ يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول : خلوا ظهري للملائكة ، ولم يكن لهﷺ ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نوراً ، رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان .

وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن للنبي ﷺ ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوؤه ضوء السراج .

قال ابن سبع : كان ﷺ نوراً فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لأن النور لا ظل له ، ويشهد له قوله ﷺ في دعائه : واجعلني نوراً .

وأما لونه الشريف الازهر ﷺ

فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي ابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم . ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها : كان أبيض مليحاً وفي بعضها أبيض مليح الوجه . وفي رواية لأبي الطفيل : ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره ، وفي شعر ابي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وفي رواية عن علي رضي الله عنه : ابيض مشرب بحمرة ، وقال ابو هريرة رضي الله عنه : كان ﷺ ابيض كأنما صيغ من فضة اي كأنما خلق منها ، والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الأنوار والبريق الساطع فلا ينافى انه مشرب بحمرة .

وفي رواية الأنس : ازهر اللون وهو بمعنى قول على ابيض مشرب بحمرة . وفي رواية لأنس : أزهر اللون ليس بابيض امهق اي شديد البياض كلون الجص . وفي رواية ولا آدم اي شديد السمرة .

قال الحافظ ابن حجر ، مبيناً لجموع ما يؤخذ من الأحاديث المتفرقة ، انه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الأدمة وانما يخالط بياضه حمرة ، والعرب قد تطلق على من كان كذلك اسمر ، ولهذا جاء في بعض روايات انس رضي الله عنه : كان اسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل إلى السمرة اي فيه حمرة قليلة .

وفي الشفاء : من قال ان النبيﷺ كان اسود يقتل .

واما طيب ريحه وعرقه ودمه وفضلاتهﷺ

فقد كانت الرائحة الطيبة صفتهﷺ وان لم يمس طيباً . روى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ منذ أسرى به ريحه ريح عروس واطيب من ريح عروس ، والمراد انه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافى انه طيب الرائحة من حين ولد ، كما رواه ابو نعيم والخطيب ان امه آمنة لما ولدته قالت : ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول اللهﷺ .

وفي رواية للبخاري ومسلم : ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبيﷺ ، وإذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرّة ، فلا بدع في أن يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك في نفس حلقته .

وفي رواية للترمذي : ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول اللهﷺ .

وروى أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبيﷺ فقال : يا رسول الله ، إني زوّجت ابنتي وأنا أحب ان تعينني بشيء فقال : ما عندي شيء ولكن إذا كان غداً فأتني بقارورة واسعة الرأس ، وعود شجرة ، وآية ما بيني وبينك ان أجيف ناحية الباب ، فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبيﷺ يسلت العرق عن ذراعيه حتى إمتلأت القارورة فقال : خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة فتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين .

وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان في رسول اللهﷺ خصال أي خارقة للعادة منها : أنه لم يكن يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ، ولم يكن يمرّ بحجر الا سجد له ، ولله در من قال :

ولـــو أن ركبـــا يممـــوك لقادهم نســـميك حتـــى يستـــدل به الركب

وروى ابو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه أي الطريق رائحة الطيب ، وقالوا : مرّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق قال بعض العرافين : إن القلب الطاهر الحي يشم منه رائحة الطيب . كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن ، لأن نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره ، والعرق يفيض من الباطن ، فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدوا على الجسد ، والخبيثة بضدها . وما أحسن قوم من قال :

يروح على غـير الطـريق التـي غدا عليهـــا فلا ينهـــى علاه نهاته
تنفســـه في الوقـــت أنفـــاس عطره فمـــن طيبـــه طابـــت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تنسمت له سحـــراً من حبـــه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنهـا قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهتت فقال : مالك بهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول :

ومبـــرأ من كل غبـــر حيضة وفســـاد مرضعـــة وداء مغيل
وإذا نظـــرت إلى أسرة وجهه برقـــت بروق العـــارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهـب ، وزاد في شرح الشهـاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضي الله عنها : فقام النبي ﷺ وقبّل بين عيني وقال : ما سررت بشيء كسروري بهذا ، وقوله غبر حيضة ـ بضم الغين وشد الباء ـ ومعناه أن أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به ، يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة ـ بكسر الحاء ـ وقوله : وفساد مرضعـة أي ولا حملت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه ، والمغيل يوزن مكرم ـ بالكسر ـ من الغيل ـ

بفتح المعجمة وسكون التحتية ـ وهي أن ترضعه وهي حامل .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤة اي في البياض والصفاء ، وأطيب من المسك الإذفر أي طيب الرائحة .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ فقال : عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنها بقارورة ، فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها . قال القاضي عياض : كانت محرماً له من قبل الرضاع فاستيقظ ﷺ فقال : يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا . وفي رواية : لطيبنا وهو أطيب الطيب . وفي رواية : كان ﷺ يدخل بيت أم سليم وليست فيه ، فينام على فراشها اي لعلمه برضاها وفرحها به . قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك ، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عبيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ قالت : يا رسول الله ، نرجو بركته لصبياننا قال : أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعدها للطيب . وفي رواية قالت : هذا عرقك أدوف أي أخلط به طيبي .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت كفه ﷺ ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أو لم يمسها ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أي طيباً خليقاً خصه الله به معجزة وتكرمه ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها .

وروى الطبراني عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال : كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وأنه لأطيب من ريح المسك .

وفي الشفاء والمواهب : انه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوّط انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه ، وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط يعني إذا بال أو تغوط على الأرض ، فلا ينافي ذلك ما رواه الحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم عن أم أيمن

رضي الله عنها قالت : قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها ، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر أنه بول أي لطيب ريحه ، فلما أصبح النبي ﷺ قال : يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة فقلت : قد والله شربت ما فيها فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . ثم قال : أما والله لا يجعنك بطنك أبداً .

وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن عبد الله التميمي وأمها رقية بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها ، فرقية خالة السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وكانت أميمة رضي الله عنها صحابية من المبايعات قالت : كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ، وعيدان ـ بفتح المهملة واسكان التحتية ومهملة مفتوحة ـ جمع عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل ، وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما ، وكانت أم حبيبة من أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبي ﷺ : أين البول الذي كان في القدح ؟ قالت : شربته . قال صحة يا أم يوسف اي جعله الله صحة فما مرضت قط ، حتى كان مرضها الذي ماتت فيه .

وصحح ابن دحية انهما قصتان إحداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف . قال في المواهب : وقد وضح ان بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن لأن أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها ، وجاءت معها من الحبشة وأم أيمن هي مولاته ﷺ وحاضنته .

قال القاضي عياض والنووي : حديث شرب المرأة البول صحيح ، وفيه دلالة على طهارة بوله ، وكذا سائر فضلاته ﷺ ، وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياساً ، وكذا حديث الدم الذي شربه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئاً من الأذى . فقال : يا عائشة ، وما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء .

وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : صحبته ﷺ في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته قد دخل مكاناً فقضى حاجته ، فدخلت الموضع الذي خرج منه

فلم أر له أثر غائط ولا بول ، ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهنّ رائحة طيبة وعطراً أي طيباً ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه ﷺ وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره .

وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال : اذهب يا عبد الله فغيبة . وفي رواية : اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد ، فذهبت فشربته ثم أتيته ﷺ فقال : ما صنعت ؟ قلت : غيبته . قال : لعلك شربته ؟ قلت : شربته . وفي رواية قلت : جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس . قال : لعلك شربته ؟ قلت : شربته . قال : ويل لك من الناس وويل للناس منك .فقوله : ويل لك للتحسر والتألم وذلك إشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج . وويل للناس منك إشارة لما أصابهم من حروبه وحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ، وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الإثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه ، فانه بضعة من النبوّة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الإنقياد لغيره ، ممن لا يستحق امارة فضلاً عن الخلافة .

وفي رواية فقال له رسول الله ﷺ : فما حملك على ذلك ؟ قال : قد علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله ﷺ : لا تمسك النار ومسح على رأسه .

وجاء في رواية : إن ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه ﷺ تضوع فمه مسكاً وبقيت رائحته في فمه الى أن صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، وكانت خلافته بمكة تسع سنين .

قال الإمام مالك رضي الله عنه : وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان .

وروى الزبير بن بكار أنه حين ولدته أمه رآه ﷺ فقال : هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال : أرضعيه ولو بماء عينيك كيس كيس بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه ، وهذا مما أخبر به ﷺ من المغيبات ، ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين

وخراسان ، وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان ، فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً حتى لم يبق معه أحد ، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام .

وروي الشعبي قال : هاج الدم برسول الله ﷺ فجمعه أبو طيبة فقال النبي ﷺ : اشكموه فاعطوه ديناراً . وقال لابن الزبير واره يعني الدم ، فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما فشرب الدم ، فبلغ رسول الله ﷺ فعله فقال : أما أنه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار .

قال الشعبي : فقيل لابن الزبير . كيف وجدت طعم الدم ، فقال : أما الطعم فطعم العسل ، وأما الرائحة فرائحة المسك ، وهذا من باب قلب الأعيان الذي عدّ من معجزاته ﷺ .

وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حجم النبي ﷺ غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فحسا أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر ﷺ في وجهه فقال : ويحك ما صنعت ؟ فقلت : غيبته في بطني . فقال ﷺ : اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ، ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة .

وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي ﷺ في وجهه يوم أحد ، مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال : مجه . فقال : لا والله ، لا أمجه أبداً ثم ازدرده اي ابتلعه . فقال النبي ﷺ : من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا ، فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله ﷺ انه من أهل الجنة . وفي رواية : أنه قال : من سره أن ينظر إلى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك ابن سنان .

وكان ﷺ يتستر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط ، رواه ابن ماجه والترمذي . وعن علي رضي الله عنه قال : أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله غيري ، فانه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه .

وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما بال رسول الله ﷺ قائماً منذ أنزل عليه القرآن . وفي رواية قالت : من حدثكم أن رسول الله ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه ما كان يبول إلا قاعداً . وفي رواية إلا جالساً والمراد من حدثكم أن تلك عادته فلا ينافي ما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ سباطة قوم نبال قائماً ، والسباطة المزبلة وموضع القمامة والأوساخ ، فهذا كان منه ﷺ للتشريع وبيان الجواز ولكونه لم يجد في السباطة المذكورة موضعاً خالياً عن الأوساخ يجلس فيه . وأيضاً عائشة رضي الله عنها : ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة وعادته الدائمة . وقيل السبب في بوله قائماً ما روي عن الإمامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما ، أن العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائماً فلعله كان به وجع صلب .

وروى البيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنما بال ﷺ قائماً لجرح كان بمأبضه ، والمأبض ـ بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة ـ باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود ، وكان ﷺ إذا أراد ان يدخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث أي ذكر ان الشياطين وإناثهم ، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ إظهاراً للعبودية وإلا فهو معصوم من الشياطين كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويجهر بذلك للتعليم وكان إذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنوا من الأرض ، وإذا خرج من الخلاء قال : غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني منه ، وكان يقول : إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره ، وبقية الآداب شهيرة فلا حاجة الى الإطالة بها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

ما اكرمه الله به من الأخلاق الزكية والأوصاف المرضية زيادة على ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوّة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوّة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته وسكناته . فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة ، والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار ، والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التي جماعها حسن الخلق . وقد اتصف بها جميعها ﷺ ونحن إذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الأمثال ويتقرر له بذلك الوصف في

القلوب مكرمة يتفرّد بها كما تراه في اشتهار حاتم بالكرم ، وكسرى بالعدل ، وحسان بالفصاحة ، وعنتر بالشجاعة ، فيقولون . أجود من حاتم ، وأعدل من كسرى ، وأفصح من حسان ، وأشجع من عنتر ، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة إلى مالاً يأخذه عدولاً إحصاء ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة وإنما يكون بتفضل الكبير المتعال ، ومن تأمل في صفاته ﷺ وجده حائز الجميع صفات الكمال ، محيطاً بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الأخبار من ثقات الرجال ، بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه إلا مخذول مستغرق في بحار الضلال ، وناهيك بقوله تعالى له : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ ولنشرع في ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول :

اما وفور عقله وحلمه وذكائه ﷺ

فلا مرية إنه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهماً ومن تفكر في تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه ، وقد اطلعه الله على ظواهر احوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد ، داع الى الله وهذا إنما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم ، وهو يتوقف على معرفة ذلك ، فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر في أحكام أمته بالظاهر ، والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الأمر والنظر اليه ، ونبينا ﷺ أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن ، فكان ينظر الى ظواهر الخلايق وبواطنهم ، ويعامل كل إنسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه ، فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى أنه يأتيه الأعرابي الجلف فيتلطف به ويسوسه ، حتى ينطق بالحكمة في أقرب زمن ، وكانت الأعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم ، إلى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه ، وقاتلوا دونه أهلهم وأباءهم وأبناءهم ، واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم ، وكان ﷺ يخاطب كل إنسان منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله ، وهذا مع ما أفاضه ﷺ عليهم من العلم وقرّره لهم من الشرع ، وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشيء من ذلك ، ولا مطالعة للكتب . فمن تأمل ذلك كله تحقق أنه ﷺ أعقل العالمين .

قال وهب بن منبه : قرأت في أحد وسبعين كتاباً من كتب الله المنزلة فوجدت في

جميعها أنّ النبيﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

وفي رواية : فوجدت في جميعها أنّ الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا ، أي لم يعطهم جميعاً منه شيئاً نسبته إلى عقله إلا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ، ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول ، اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء ، فمن ذلك اتساع خلقه في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره ، وغير ذلك من كريم أخلاقه .

امّا صبره

فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له ، مع ما ناله منهم من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف ، فصار ينشفه ويقول : لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ، وشق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال : إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة أي لمن أراد الله إخراجه من الكفر إلى الإيمان . ثم قال : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية : اللهم اهد قومي وهو المراد من قوله اللهم اغفر لهم . فانّ المغفرة لا تكون إلا بعد الهداية ، فالدعاء بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية .

وفي الشفاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا ، فلقد وطيء ظهرك ، وأدمى وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . وههنا دقيقة وهي أنّ حلمهﷺ وعفوه إنما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة ، وأمّا إذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ، ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال : اللهم املأ بطونهم ناراً . وفي رواية : ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، فالصلاة عماد الدين فرجح حتى خلقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه ﷺ فعفا ، فالصبر على الأذى هو جهاد النفس الأكبر وقد جبل الله النفس الأكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها ، وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه ﷺ كثيراً من

الأذى فكان يصبر ويعفو اذا كان في حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين ، وأمّا إذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ .

وأمّا حلمه ﷺ

وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي انّ زيد بن سعنة ـ بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء ـ أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال : لم يبق من علامات النبوة شيء .

وفي رواية : ما بقي شيء من نعت محمد في التوراة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه إلا اثنتين ، لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أتلطف له توصلاً لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أي اشتريت منه تمراً إلى أجل .

وفي رواية لأبي نعيم : فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالاً ذهباً في تمر معلوم إلى أجل معلوم ، قال زيد بن سعنة : فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ، ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت : الا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل .

فقال عمرو في رواية أبي نعيم : فنظر اليه عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، فقال : أي عدوّ الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى ؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ﷺ ينظر الى عمر بسكون وتؤدة ، وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، وفي رواية : تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث فتكرّم ﷺ بالتعجيل ، وقال : اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روّعته أي في مقابلة ترويعك له . ففعل ذلك عمر رضي الله عنه . قال زيد : فقلت يا عمر ، كل علامات النبوّة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرتهما أي بما رأيت من فعله ﷺ ، فاشهد يا عمر اني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .

وفي رواية ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلا أني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها إلا الحلم ، فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة ، وإني أشهدك أنّ هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم إلا شيخاً غلبت عليه الشقوة .

وروى أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته ، وكان رداء خشناً فالتفت اليه ﷺ فقال له الأعرابي : احملني على بعيري هذين اي حملهما لي طعاماً من مال الله الذي عندك ، فانك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك فقال له ﷺ : لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، اي لا أحملك من مالي ولا من مال أبي .

وفي رواية : المال مال الله وأنا عبده أي أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرني باعطائه ثم قال : لا أحملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني أي تمكنني من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلت معي من جبذ ردائي . قال الأعرابي : والله لا أقيدكها . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة ، فضحك ﷺ أي تطميناً لقلبه إذا بدى بالمسرّة بمقالته وسروراً بما رآه من حسن ظنه به ، وانه لم يفعل ذلك تنقيصاً له ، وهذا يقتضي انه كان مسلماً غير منافق ، غير أنّ فيه جفاء البادية ، ثم دعا ﷺ رجلاً . وفي رواية : دعا عمر فقال : احمل له على بعيريه هذين على بعير تمراً وعلى الآخر شعيراً .

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة . قال أنس رضي الله عنه : فنظرت الى صفحة عانقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته .

وفي رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته في عنقه ثم قال : يا محمد ، مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء ، والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفاً ، ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى ، وفي هذا بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام .

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلقه ﷺ فقالت : لم

يكن فاحشاً ولا متفحشاً أي متكلفاً للفحش أي لم يقم به فحش طبعاً ، ولا تكلفاً ولا يجزىء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها : ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر صريح اسمه ، وما ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسئل مأثماً . ولا انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضباً ، وقد وصفه الله بحسن الخلق في قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾ وأمر بقوله : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ الآية .

روى أنّ اعرابياً جاء الى النبي ﷺ وكان فصيح اللسان ، قوي الجنان ، وكان قد صنع شعراً مشتملاً على حكمة وظنّ أن احداً لا يقدر أن يأتي بما فيه من الحكمة ، فقال للنبي ﷺ : اصغ اليّ اوصك ، ثم قال :

فحيّ ذوي الأضغان تسلى نفوسهم ... تحيتك الحسنى فقد ترفع الثقل
فان هتفوا بالقول فاعف تكرّما ... وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه استماعه ... كأنّ الذي قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه ﷺ : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فقال الأعاربي : ليس هذا من كلام البشر ، وكان سبب اسلامه رضي الله عنه . ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه ﷺ اتساع خلقه للمنافقين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه ﷺ إذا غاب ويتملقون إذا حضر ، وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية ، وكان ﷺ كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم باباً

من الرحمة لأنه ﷺ رحمة للعالمين ، فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ . فقال عليه الصلاة والسلام : خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم قال ﷺ : فوالله لازيدنّ على السبعين . وفي رواية : فأنا استغفر سبعين سبعين سبعين إلى أن أنزل الله عليه في سورة المنافقين : ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ فترك الاستغفار .

وروى ابن منده أنّ الحباب بن عبد الله بن أبي ابن سلول جاء يستأذن ا لنبي ﷺ في قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته في النبي ﷺ لنفاقه ، وكان ابنه صحابياً صالحاً ، فأبى ﷺ أن يأذن له في قتله وأمره ببرّه وحسن صحبته .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلمه فقال : قد فهمت ما تقول فامنن عليّ وكفني في قميصك وصل عليّ ففعل ، فكان طلب ذلك منه نفاقاً لا عن حقيقة ايمان ، ولما مات كفنه النبي ﷺ في ثوب خلعه عن بدنه ﷺ ، وصلى عليه تطبيباً لقلب ابنه وتألفاً لبقية المنافقين ، ولم قيل له ﷺ في ذلك قال : وما يغني عنه قميصي وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه . روى أنّ ألفاً من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه ، وجاء أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد النبي أن يصلي عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول : يا رسول الله ، أتصلي على رأس المنافقين ؟ فنثر ثوبه من عمر رضي الله عنه أي جذبه منه بقوّة وقال : اليك عني يا عمر وصلى عليه ، فخالف مؤمناً في حق عدوّ منافق ، كل ذلك رحمة منه لأمته لكما شفقته ﷺ على من تعلق بطرف من الدين ، وليطيب قلب ولده الصحابي الصالح ، ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لولم يجب ابنه الى ما سأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه ، فاستعمل ﷺ أحسن الأمرين في السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل : ﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ الآية . فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره . وهذه من الآيات التي جاءت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه . وقيل : إنما كفنه ﷺ في قميصه مكافأة له لأنه ألبس العباس عم النبي ﷺ قميصاً حين أسر يوم بدر ، فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة . وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه ﷺ ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله : ﴿ ليخرجنّ الأعز منها الأذل ﴾ وقوله : ﴿ لا تنفقوا على

من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ وتوليه كبر الإفك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفناً ، وصلى عليه واستغفر له .

قال مجمع بن جارية رضي الله عنه : ما رأيت رسول الله ﷺ أطال الصلاة على جنازة قطما أطال على جنازة ابن أبي ،ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه . وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه : لما صلى النبي ﷺ على ابن أبي قال : فصلينا معه . قال أبو نعيم : ففيه أنّ عمر رضي الله عنه ترك رأي نفسه وتابعه ﷺ ، ومن مكارم أخلاقه ﷺ عفوه عن لبيد بن الأعصم اليهودي حين صنع له ﷺ سحراً فأعلمه الله به ، فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال : قد شفاني الله وكرهت أن أثير شراً . وعفا عن اليهودية التي سمت له الشاة بالنسبة لنفسه ﷺ ، فلا ينافي أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصاً . وتقدمت القصة بتمامها في غزوة خبير ، ورحم الله القائل في حقه ﷺ :

وما الفضل الاخاتم انت فصه وعفوك نقش الفص فاختم به عذري

وحسبك ما نقل في كتب السنة الصحيحة نقلاً متواتراً بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة ، الى ان أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح ، وهم لا يشكون في استئصاله جماعاتهم وقطعه دابرهم ، فما زاد على ان عفاروصفح وقال : ما تقولون اني فاعل بكم قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : أقول كما قال أخي يوسف ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : هبط ثمانون رجلاً من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ بغتة ، فأمسكهم أصحاب النبي ﷺ وجاؤوا بهم اليه ﷺ فأعتقهم وأطلقهم ، وأنزل الله تعالى ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ﴾ الآية وقد لاطف ﷺ أبا سفيان فقال له : ويحك يا ابا سفيان ، ألم يأن لك ان تعلم وتشهد ان لا اله إلا الله فقال : بأبي انت وامي يا رسول الله ، ما احلمك وأوصلك فانظر الى هذه اللطافة منه ﷺ لأبي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الأحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن

رحمته ﷺ ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها : انه ﷺ كان يصغي اي يميل الى الهرة الأناء حتى ، تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال : من ابتلى بهذه القاذورات فليستتر ، وأمر أمته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال : قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه .

وأما تواضعه ﷺ وحسن عشرته مع أهله وخدمه واصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام ، فأمر لا تدرك له غاية كما يأتى وصفه قال بعضهم : ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة في قلبه ، وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها في الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فعند ذلك تذوب النفس وتفنى قواعها عن ميلها الى الشهوات ، ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح في الطاعات كل الأوقات ، وعند ذلك تصفو من غش الكبر ، وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها ، فلم يبق لها تعلق بشيء من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها ، وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الأوفر من التوضع لنبينا ﷺ ، فكلما ازداد قرباً ازداد تواضعاً وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ان خيرَّه ربه بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً ، فاختار ان يكون نبياً عبداً تواضعاً لربه ، مع انه لو كان نبياً ملكاً ماضره ولكن رأى التواضع يزيده قرباً من ربه ، فأعطاه الله بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأوّل شافع وأوّل مشفع ، فلم يأكل متكئاً بعد ان اختار العبودية حتى فارق الدنيا ، وكان يقول : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد ، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما ، لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ، والمعنى لا تتجاوزوا الحد في مدحي بان تقولوا ما لا يليق بي كما تجاوزنه النصارى ولكن قولوا الخ : فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواه .

ومن تواضعه ﷺ انه كان لا ينهر خادماً .

روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط .

وفي رواية لأبي نعيم : فما سبني قط ، وما ضربني من ضربة ولا انتهزني ولا عبس

في وجهي ، ولا أمرني بامر فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فان عاتبني احد قال : دعوه ولو قدر شيء كان .

وفي رواية البخاري ؛ ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وفي رواية ؟ ولكن يقول : قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان ، وكذلك كان ﷺ مع عبيده واماثه ما ضرب منهم احداً قط ، وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ، ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية ، وما ذاك الا لكمال معرفته ﷺ انه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله ، وان الخلق آلات ووسائط ، فالغضب على المخلوق في شيء فعله كالاشراك المنافي للتوحيد . وقيل سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه فيه ، وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل ما يفعله الحبيب محبوب .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ، ما رأيت احداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط ولا ضرب امرأة ولا خادماً الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ، الا ان ينتهك شيء من محارم الله فتنتقم لله ، نعم يستثنى من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه : ان النبي ﷺ ضرب فرسه لما رآه متخلفاً عن الناس وقال : اللهم بارك فيها قال طفيل : فلقد رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعث من بطنها باثني عشر الفاً اي وذلك من بركة قوله ﷺ : اللهم بارك فيها . ووكز جمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخراً عنهم ، وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب شيئاً قط .

وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت : كيف كان رسول الله ﷺ اذا خلا في بيته ؟ قالت : كان ألين الناس بساماً ضحاكاً لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه .

وروى ابو نعيم عن عائشة ايضاً رضي الله عنها : ما كان أحد احسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك .

وروى ابو داود والترمذي عن انس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما : ما التقم أحد أذن رسول الله ﷺ فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما اخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ .

وروى الامام احمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويرقع دلوه ، ويفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ، ويفعل ذلك إرشاداً للتواضع وترك التكبر ، ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات ، وتفلية الثوب إنما كانت للتعليم او لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه او لما علق به من نحو شوك او وسخ ، لأنه ﷺ نور ولا عفونة فيه ، وأكثر القمل من العفونة ، ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من النفلية وجرد القمل وقيل : كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذاراً له ، وقيامه بخدمة نفسه ﷺ دليل على كمال تواضعه ، وهذا لا ينافي انه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الأوقات ، فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته ، وبيان نذب الإنسان الى خدمة نفسه ، وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفاً وتارة عرياً ليس عليه شيء وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد ، وبيان ان ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة ، بل فيه غاية التواضع وكسر النفس ، وكان يردف خلفه الذكر والأنثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر ، وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزو استقبله الصبيان فيركبهم معه ، ويأمر أصحابه باركاب من بقى وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف ، وهذا نهاية التواضع وأيّ تواضع أعظم من هذا ، وقد ظهر له ﷺ من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ما هو معروف .

وروى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد ابن عبادة رضي الله عنهما قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فلما اراد الانصراف قرب له سعد حماراً ليركبه ووطأ عليه بقطيفة ، وركب رسول الله ﷺ ثم قال سعد : يا قيس ، اصحب رسول الله ﷺ اي كن معه في خدمته : قال قيس : فقال لي رسول الله ﷺ اركب فأبيت ان اركب اي تأدباً معه لا لمخالفة لأمره فقال: أما ان تركب واما ان تنصرف اي ترجع ولا تمشي معي ، فوافقه على الركوب فقال له : اركب

امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها .

وفي رواية لابن منده فأرسل ابنه معه ليرد الحمار ، فقالﷺ احمله بين يدي قال سعد سبحان الله اتحمله بين يديك ؟ قال: نعم ، هو احق بصدر حماره قال : هو لك يا رسول الله ؟ قال : أحمله اذن خلفي .

وجاء في بعض روايات هذه القصة انهﷺ جاء على حمار مردفاً اسامة خلفه ، فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبهاﷺ، بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء عليه .

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول اللهﷺ من خيبر واني لرديف أبي طلحة ، وهو يسير وبعض نساء رسول اللهﷺ رديف رسول اللهﷺ ، يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة اي وقعت ، او أوقعتها الدابة ، فقالﷺ : انها أمكم تذكيراً لهم بوجوب تعظيمها ، فشددت الرَّحْل وركب رسول اللهﷺ وركبت خلفه . وصح من معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينا انارديف النبيﷺ ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم النبيﷺ مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب ، فجعل واحداً بين يديه وآخر خلفه .

وروى البخاري ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى رسول اللهﷺ مكة وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه ، او قثم خلفه والفضل بين يديه ، شك الراوي .

وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها بأنهﷺ ركب حماراً عرياً الى قباء ، وأبو هريرة رضي الله عنه معه قال : يا أبا هريرة ، أأحملك ؟ قال : ما شئت يا رسول الله اي فافعله فقال : اركب فوثب ابو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك اي تعلق برسول اللهﷺ فوقعا جميعاً ثم ركبﷺ ثم قال : يا أبا هريرة ، أأحملك ؟ قال : ما شئت يا رسول الله فقال : اركب فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه ، فتعلق برسول اللهﷺ فوقعا جميعاً ثم ركبﷺ ثم قال : يا ابا هريرة أأحملك ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق لارميتك ثالثاً .

وذكر المحب الطبري ايضاً في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة اي تهيئتها للأكل فقال رجل : يا رسول الله ، على ذبحها ، وقال آخر : يا رسول الله ، علي سلخها ، وقال آخر: يا رسول الله ، علي طبخها فقال رسول الله ﷺ علي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال : قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزاً بين أصحابه .

وروى ابن اسحق والبيهقي عن ابي قتادة رضي الله عنه قال : وفد وفد النجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه نحن نكفيك قال : انهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وأنا أحب أن أكافئهم .

وروى ابو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ بالجعرانة وأنا غلام أذا قبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من عنده من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته رواه أبو داود .

وروى أيضاً ان رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه .

وفي الصحيحين : انه ﷺ جاءته امرأة كان في عقلها شيء فقالت : ان لي اليك حاجة فقال : اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضي حاجتك ، فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها .

وروى النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة .

وفي رواية للبخاري : كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت .

وفي رواية للامام أحمد : ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت ، والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد ، فقد اشتمل ذلك على انواع من المبالغة في التواضع للذكره والمرأة دون الرجل ، والأمة دون الحرة ، وحيث عم الأماء اي أمة كان وبقوله حيث

شاءت اي من الأمكنـة ، والتعبيـر باليد اشـارة الى غاية التصرف حتـى لو كانـت حاجتهاخارج المدينة ، والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة اعدها على ذلك بالخروج معها ، وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبرﷺ .

ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءتهﷺ منه ووصفـه ﷺ بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له .

وفي رواية : وكان لا يخرج شيئاً من اطرافه وهو بين أصحابه اي كقطع ظفره أو قلع وسخه ، او طرح بزاقه أو مخاطه ، وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعـزم عليه في الجلـوس عليهـا ان امتنع ، ويكنـى أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه ، وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فاذا افرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليهﷺ وهو يصلي : وقد سجد فركب على ظهره فأبطأﷺ في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه ، فلما فرغ قال له بعض أصحابه : يا رسول الله ، قد أطلت سجودك ، قال : ان ابني ارتحلني فكرهت ، ان أعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ودخل عليه مرة جابر بن عبـد الله رضي الله عنهما والحسـن والحسين رضي الله عنهما على ظهرهﷺ راكبين فقال لهما جابر رضي الله عنه : نعم الجمل جملكما ، فقال لهﷺ : ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ، ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع ، وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة ، فهم كائنون بائنون قريبون غريبـون عرشيون فرشيون ، بحسب الأرواح اللطيفة والأشباح الشريفة ، فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى ، كيف يشغل قلبه قطعة من لحمه ، وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقهﷺ .

ومن تواضعهﷺ انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع ، والحر والعبد ، حتى عاد مرة غلاماً يهودياً كان يخدمهﷺ فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه : اطع ابا القاسم ، فأسلم فخرجﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي انقذه من

النار ، رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه ، والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب .

ففي الترمذي مرفوعاً من عاد مريضاً ناداه منادٍ طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً ولأبي داود ، من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسباً بوعد من جهنم سبعين خريفاً وانما كان فيها تواضع لأن فيها خروج الانسان من مفتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى ما دون ذلك ، وكانﷺ يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع ،. فيتأكد التأسي بهﷺ وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير .

وروى البيهقي وابن اسحق عن أنس رضي الله عنه : انهﷺ لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعاً لله تعالى .

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رثّ وعليه قطيفة اي كساء له خمل لا يساوي اربعة دراهم ، وذلك لأنه في أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجردوا قلاع ، وخروج من المواطن وسفر الى الله ، ألا ترى الى ما فيه من الإحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبيهاً بالفارين الى الله ، وليكون تذكرة للموقف الحقيقي . وقال في تلبيتهﷺ : اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . وهذا قاله تخشعاً وتذللاً وعداً لنفسه كواحد من الآحاد ، فيكون دالاً على عظيم تواضعه لأن الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث ، وإنما يكون ممن حج على مراكب نفيسة ، وملابس فاخرة ، واغشية محبرة ، وأكوار مفضضة ، هذا مع انهﷺ أهدى في هذه الحجة مائة بدنة ، وأهدى اصحابه مالاً يسمح بمثله ، فمن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعير أعطي فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه ابو داود ، ومن تواضعهﷺ : انه كان إذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء ، يريدون التبرك بأثر يده الشريفة ﷺ ، فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه ، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ، ولا يمتنع لأجل البرد ، وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعهﷺ ، رواه مسلم والترمذي وغيرهما وفي ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ، ليصل كل ذي حق لحقه ، وليعلم الجاهل ويقتدى بأفعاله ،وهكذا ينبغي للأئمة بعده .

وروى ابو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه : كانﷺ أشدّ الناس لطفاً والله

ما كان يمتنع في غداة باردة من عبدو لا امة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه ، وما كلمه احد قط إلا أصغى اليه ، فلا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه ، وما تناول أحد يده قط إلا ناوله اياها ، فلا ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها ومن تواضعهﷺ : انه كان حسن العشرة مع ازواجه ، فكان ينام معهن في فراش واحد ولو كانت حائضاً مع مواظبته على قيام الليل ، فينام مع احداهنّ فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها ، فيجمع بين وظيفته من قيام الليل واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا أن اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل من نوم كل في فراش ، اذ القصد الأنس لا الجماع ، لا سيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروهاً ، ولا يلزم من نومه معها الجماع .

ومن تواضعهﷺ ما رواه الشيخان : انهﷺ كان يسرب اي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الأنصار يلعبن معها وذلك في أوّل تزوّجه بها لأنها كانت صغيرة .

وروى مسلم : انهﷺ اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الأناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها ، وهذا من شدة تواضعهﷺ ، واذا تعرقت عرقاً بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها ، وكان يتكي في حجرها ويقبلها وهو صائم ، رواه الشيخان .

وروى اصحاب السنن الستة انهﷺ كان يقبل نساء وهو صائم ، كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن ، وهذا لا يكون الا ممن حسنت ، أخلاقه وكمل تواضعه ، وجاء انهﷺ وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهي متكئة على منكبة ، قالت : فقال لي اما شبعت ، اما شبعت ، فجعلت أقول لا لا رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وروى الامام أحمد عن عاشئة رضي الله عنها قالت : خرجت مع رسول اللهﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقالﷺ للناس : تقدموا افتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم ، وبدنت وسمنت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : تقدموا ثم قال تعالى أسابقك فسبقني ، فجعل يضحك ويقول : هذا بتلك وانما قال ذلك لها تلطفاً بها وتطبيباً لخاطرها رضي الله عنها ، وذلك من كمال تواضعهﷺ .

وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن أنس رضي الله عنه : انهم يعني الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوماً عند رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، ثم أتى رسول الله ﷺ بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها ، فوضعت بين يدي النبي ﷺ فقال : ضعوا أيديكم اي للأكل فوضع النبي ﷺ يده ، ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة رضي الله عنها نصنع طعاماً عجلته حين رأت الصحفة التي أتى بها من بيت ام سلمة رضي الله عنها ، فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها ، فقال رسول الله ﷺ : كلوا باسم الله اي من صفحة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها ام سلمة رضي الله عنها وقال : طعام مكان طعام وأناء مكان اناء .

وهذا الحديث رواه البخاري بلفظ : كان ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى امهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول : غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت ، واتفقوا على ان التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها ، واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها ، فجاء في رواية : انها ام سلمة ، وفي أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه .

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت : ثم رجعت الى نفسي وندمت فقلت : يا رسول الله ما كفارته ؟ قال : إناء كاناء ، وطعام كطعام.

وجاء في بعض الروايات : انه ﷺ حين كسرت لم يثرب عليها اي لم يلمها ولم يعبها ، فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور اصحابه لمزيد حلمه وعلمه ، بما تؤذي اليه الغيرة وقضي عليها بحكم الله في التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها ، وهكذا كانت أحواله ﷺ مع أزواجه لا يؤاخذ عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن ، وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رؤوف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن ، عزيز عليه اي شديد عليه ما يعنتهم اي ما يشق عليهم .

وفي الحديث إشارة الى أن المرأة ينبغي ان لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في

تلك الحالة يكون عقلها محجوباً لشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

وقد أخرج ابو يعلى عن عائشة رضي الله عنها عن النبيﷺ : ان الغيري اي المرأة الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه .

وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة ، فقام اليها رجل فألقى عليها ثوباً وضمها اليه فتغير وجههﷺ ، فقال بعض جلسائه احسبها اي اظنها امرأته فقالﷺ أحسبها غيري ان الله كتب اليه على النساء والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن كان له أجر شهيد .

وفي المواهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتيت النبيﷺ بخزيرة طبحتها له ، وقلت لسودة ام المؤمنين رضي الله عنها والنبيﷺ بيني وبينها كلي فأبت. فقلت لها ، كلى فأبت فقلت لها لتأكلن اولا لطخن بها وجهك ؟ فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها ، فضحك رسول الله فوضع رأسي على فخذه وقال لسودة الطخي وجهها قصاصاً فلطخت بها وجهي فضحك رسول اللهﷺ . والخزيرة لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق . وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى رواءها لمخلوق ، وان كان يشتد في حدود اللهوحقوقه ودينه ، حتى قطع يد السارق وحد الزاني الى غير ذلك . وقد كانﷺ يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يولج حبه في القول تطميناً لهم وتقوية لايمانهم وتعليماً لهم ان يباسطوا بعضهم بعضاً ، لأنهم اذا رأوا ذلك من أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ اطمأنت قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم .

وروى عبد الرزاق والترمذي عن انس رضي الله عنه : ان رجلاً من البادية يسمى زهيراً ، وفي رواية ، زاهر بن حرام الاشجعي ، وكان يهادي النبيﷺ بموجود البادية اي بما يستطرف ويستملح منها ، وكانﷺ يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة اي بما يستطرف منها ، وكانﷺ يقول : زهير باديتنا ونحن حاضرته . وكانﷺ يحبه فمشىﷺ الى السوق فوجده قائماً يبيع متاعه ، فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ قال : فجعلت أمسح ظهري في صدره وجاء حصول بركته .

وفي رواية : فاحتضنه ﷺ من خلفه وهو لا يبصره فقال : ارسلني من هذا ؟ فالتفت فعرف انه النبي ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في إلصاق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه تبركاً وتلذذاً ، فجعل رسول الله ﷺ يقول ملاطفة معه ، من يشتري العبد ؟ فقال زهير : يا رسول الله ، اذن تجدني كاسداً . فقال له ﷺ : أنت عند الله غالٍ : وفي رواية لكن عند الله لست بكاسد ، فهذا من تواضعه ﷺ وشدة تلطفه بأصحابه .

وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم ان رجلاً يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن تارة والعسل أخرى ، فاذا جاء صاحبه يتقاضاه اي يطلبه الثمن ، جاء به الى النبي ﷺ فقال : اعط هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي ﷺ على ان يتبسم ويأمر فيعطى الثمن .

وفي رواية : وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها : ثم جاء فقال : يا رسول الله ، هذا أهديته لك ، فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول : أعط هذا الثمن فيقول : الم تهده لي ؟ فيقول : ليس عندى ما أعطيه فيضحك ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه ووقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الأنصاري رضي الله عنه .

ذكر الزبير بين بكار في كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي ﷺ فيقول : هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه احضره الى النبي ﷺ فيقول ؛ اعط هذا ثمن متاعه فيقول : اولم تهده لي ؟ فيقول : والله لم يكن عندي ثمنه ولقد احببت ان تأكله ، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه ، وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه ، فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس ، لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء ، فمزح ليمزحوا . قال بعض السلف : كان للنبي ﷺ مهابة فلولا أنه كان يتبسط لأصحابه ويداعبهم لما استطاعوا مكالمته . ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال .

روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله ، إنك تداعبنا قال : إني لا أقول إلا حقاً .

وروى الترمذي وابو داود وغيرهما أن رجلاً كان به بله اي غفلة في أمور الدنيا قال :

يا رسول الله إحملني اي مر لي ببعير أركب عليه لأغزو معكم . فباسطه ﷺ فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال : يا رسول الله ، ما عسى ان يغني عني ابن الناقة ؟ فقال ﷺ : ويحك ، وهل يلد الجمل إلا الناقة ؟ اي لو تدبرت وتأملت لأدركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير . وجاءته امرأة فقالتْ : يا رسول الله ، احملني على بعير فقال : احملوها على ابن بعير . فقالت: وما أصنع به وما يحملني يا رسول الله ؟ فقال : هل يجيء بعير إلا ابن بعير ؟

وروى الترمذي وغيره انه ﷺ باسط عمته صفية بنت عبد المطلب ام الزبير بن العوّام رضي الله عنه حين قالت : يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان إنّ الجنة لا يدخلها عجوز فجزعت ، فقال لها : انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول ﴿ ان أنشناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾ وكان عليه الصلاة والسلام يمازح اصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تأنيساً لهم وجبراً لقلوبهم ، ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجرة جاءته ام قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام ، فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بما فنضحة ولم يقل شيئاً وهو ﷺ مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به . وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين ، وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه ، بل كثيراً ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير.

قال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الإفراط ولذا قيل :

فاياك إياك المزاح فانه يجرّي عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد ويورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدّي إلى حرام ولا إلى مكروه ، فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله ﷺ فهو مستحب .

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن

الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له ابو عمير ، وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبيﷺ ذات يوم حزيناً فقال : ما شأنه ؟ فقالوا : مات نغره . فقال : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ملاطفة وتأنساً له وتسلية ، وذلك من حسن الخلق وكرم الشمايل والتواضع . وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : إنّ كان النبيﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي يا أبا عمير ما فعل النغير ، والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور ، والجمع نغران كصرد وصردان ، ومع ذلك كله كانﷺ قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدراً عظيماً ، حتى إن قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة إذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقي عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وغيرها فمن رآه بديها هابه ، قال الابوصيري :

كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم

أي فجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته ، وهو مع عسكره وحشمه ، ولقد جاء اليهﷺ رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال ل : هوّن عليك فاني لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أي اللحم المقدد ، فنطق الرجل بحاجته فقامﷺ فقال : يا أيها الناس إني أوحي إليّ أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد ، وكونوا عباد الله إخواناً . وإنما قال ذلك لأنه لما رأى تواضعه كان سبباً في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم ، والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق ، حتى لا يرى له عند أحد حقاً بل يرى الحق لغيره . وقولهﷺ : فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار . وقال : أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعاً لأن القديد طعام أهل المسكنة ، فكأنه قال : أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الأكل فكيف يخاف مني .

وروى أبو داود وغيره أنّ قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالساً في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع ، فقال لها ﷺ : يا مسكينة ، عليك السكينة . فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : صحبت رسول الله ﷺ وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيماً له ، لو قيل لي صفه أي بجميع أوصافه لما قدرت ، وإذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ؟ ويبين ذلك ويوضحه ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض ، ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك إلا أنه ﷺ كان يتهجد ليلاً ويشتغل بما يقرّبه من الله ، فيظهر عليه حال حتى يظنّ أنه ليس من البشر ، فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه ، وغير ذلك من الأحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه . فكان عليه الصلاة والسلام يتحدّث مع عائشة ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم ، وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الأرض ، ثم يخرج اليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه ، وما كان يفعل ذلك إلا رفقاً بهم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً .

وقد جاء في الحديث : أنه لما أخبر على لسان إسرافيل بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، نظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل إلى الأرض يشير الى التواضع .

وفي رواية : فأشار اليّ جبريل أن تواضع فقلت : نبياً عبداً فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعاً ، فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء ، وأطلعه الله على الملكوت الأعلى .

وفي البخاري : أن محمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي ﷺ وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم يمازحه بها ، فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية ﷺ إلا تلك المجة فعد بسبب ذلك من الصحابة ، فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ، ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب ، حتى يظنّ كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع الصغير والكبير أحياناً إذا اقتضاه المقام ، ويجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه إلا واجباً أو مستحباً أو مباحاً ، فكان يباسط الخلق

ويلابسهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه ﷺ ، وكانت مجالسته ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى ، وترغيب وترهيب إمّا بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والمواعظ الحسنة ، وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ، ما كنت أظنّ أحداً من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ومن تواضعه ﷺ أنه ما عاب ذواقاً قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله وإلا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بأنه لم يكن بأرض قومه ، وهذا من حسن الأدب ، لان المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه ، أمّا اذا كان حراماً فانه يعيبه ويذمه وينهي عنه للمنع منه شرعاً لا من حيث ذاته ، فقد يكون حسن المذاق والصنعة ، فالعيب إن كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز ، وإمّا من حيث صنعة الله فالعسب لا يجوز .

قال النووي : ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله : مالح حامض ، قليل الملح ، غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك . ومن تواضعه ﷺ أنّ هذه الدنيا شاع سبها في العالمين قديماً وحديثاً فقال ﷺ : لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجوا من الشر ، فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها ، مع أنه خلاف الواقع لأن الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير ، فمدحه ﷺ لها ونهيه عن سبها فيه إظهار للمحقق من احتياج من فيها اليها . وقال ﷺ : لا تسبوا الدهر .

وفي رواية : لا تقولوا خيبة الدهر فانّ الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه ، والمعنى أنكم إذا سببتم الدهر وقع السب على الله ، لأنه الفعال لما يريد لا الدهر ، فجالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره .

وجاء في رواية : أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبر ما فيهما كيف أريد ، فهو كالتفسير لقوله : أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً فان كان إثماً كان أبعد الناس منه . ومن تواضعه ﷺ أنه لم يكن له بوّاب راتب .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : مرّ النبيﷺ بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال لها : اتقي الله واصبري . فقالت : اليك عني فانك خلو من مصيبتي .

وفي رواية : فانك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولـم تعرفـه ﷺ فجاوزهـا ومضى ، فمرّ بها رجل وهو الفضل ابن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول اللهﷺ ؟ قالت ما عرفته أي لأنهﷺ ، من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء ، وأيضاً فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء فقـال الفضـل للمرأة : أنه لرسول اللهﷺ .

زاد مسلم في رواية : فأخذها مثل الموت من شدّة الكرب الذي أصابها لما عرفت انه رسول اللهﷺ ، فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوّاباً أي فكأنها تعجبت لأنها لما قيل لها إنه رسول اللهﷺ استشعرت خوفاً وهيبـة في نفسهـا ، فتصـوّرت أنـه كالملـوك له حاجـب وبوّاب ، يمنع الناس من الوصول اليه ، فوجدت الأمر بخلاف ما تصوّرته فقالت لهﷺ معتذرة : لم أعرفك . فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى وكونه ﷺ ليس له بوّاب إنما هو باعتبار أغلب الأحوال فلا ينـافي أنـهﷺ لما جلس على بئـر أريس ، كان أبـو موسى الاشعري رضي الله عنه جالساً على باب الحائط كالبوّاب لا يدخـل أحـد عليهﷺ حتـى يستأذن له ، وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام إذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ، ويبرز لطالب الحاجة اليه . وإذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوّاباً .

وأمّا حياؤهﷺ فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه : كان رسول اللهﷺ أشدّ حياء من ا لعذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه وهو إشارة الى أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه ، بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك .

وأخرج البـزار عن ابـن عبـاس رضي الله عنهما قال : كانﷺ يغتسـل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أي وهذا من شدّة حيائه ﷺ .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه ، فدخل عليه يوماً رجل وعليه أثر صفرة ، فلما قام قال لأصحابه لو غير

او نزع هذه الصفة .

وفي رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة ، وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه في الدارين تكون فيه قوّة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب أي من فقد صفاته المقتضية للكمال ، وكلما كان القلب احيا كان الحياء أتم ، ولذا كان تمام الحياء في النبي ﷺ إذ لا قلب أحيى من قلبه . وفي الشرع : الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق . ولذا جاء في الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت ، والحياء أقسام كثيرة منها : حياء الكرم كحياته ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما تزوّجها : وطولوا المقام بعد الأكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا إلا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق ﷺ إلى أزواجه فسلم عليهنّ ثم قاموا فأخبره أنس رضي الله عنه بقيامهم ، فجاء فدخل على زينب رضي الله عنها وأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ﴾ ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل ، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ، ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون ، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه حتى كأنّ له نفسين ، يستحيي باحداهما من الأخرى ، وهذا من أكمل ما يكون من الحياء ، فانّ العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر وأحق ، والحياء لا يأتي لا بخير لأنّ من استحيا أن يراه الناس يأتي بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ ، فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي . وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله ، وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة ، والحياء غريزي ومكتسب ، فالمكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به غير انّ من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب ، حتى يكاد يكون المكتسب غريزة ، وكان ﷺ قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، حتى روى انه ﷺ كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد أي لا يديم نظره فيه ولا يتأمله .

وأمّا خوفه ﷺ من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها ، وكان أتقى الناس وأشدّهم خشية ، وكان ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية . وكان يصلي ويبكي وتسيل دموعه من غير صوت ، ويسمع لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس . وفي رواية : أنين كأنين الرحا ، وكان ﷺ يقول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وخوفه ﷺ كان خوف هيبة وتعظيم وإجلال ، وهذا لا يكون إلا مع كمال المعرفة والمحبة ، فهو تعظيم مقرون بالحب .

قال بعضهم : الخوف لعامّة المؤمنين ، والخشية للعلماء العاملين ، والهيبة للمحبين ، والاجلال للمقرّبين فهو ﷺ أكمل المحبين المقرّبين ، فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الأشياء عياناً مع الخشية القلبية ، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ﷺ ، ولذا قال : إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا .

وأمّا شجاعته ﷺ فانه قد كان أشجع خلق الله ، وقد تواترت بذلك الأحاديث والأخبار ، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم الى الصوت على فرس عري لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا .

وفي رواية : كان فزع من عدوّ وبالمدينة فاستعار النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له المندوب ، فركبه عليه الصلاة والسلام ، فلما رجع قال : ما رأينا من شيء أي يوجب الفزع وإن وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري .

قال الراوي : وكان فرساً يبطيء أي لا يسرع في مشيه . وفي رواية : أنّ أهل المدينة فزعوا مرّة أي ليلاً فركب ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء ، فلما رجع قال : وجدنا فرسكم هذا بحراً فكان بعد لا يجارى .

وفي رواية : فما سبق بعد ذلك ، ففي هذا الحديث بيان شجاعته ﷺ ، وذلك مأخوذ من شدّة عجلته في الخروج الى العدوّ قبل الناس كلهم ، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان بطيئاً .

قال القاضي عياض : وقد كان في أفراسهﷺ فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد .

وقال النووي : يحتمل انهما فرسان إتفقا في الأسم .

قال الزرقاني : وهذا أولى .

وروى الإمام احمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول اللهﷺ ، والنجدة الشجاعة والشدّة .

وفي رواية : ولا أجود ولا أرضى من رسول اللهﷺ ، وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر ، والشجاع لا يخاف الموت ، ولأنّ النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود .

وروى ابن إسحق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له . ركانة وكان شديد القوة ، يحسن الصراع ، وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم ، فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول اللهﷺ فقال له : يا ركانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ فتؤمن بالله ورسوله . فقال له ركانة : يا محمد ، هل لك من شاهد يدل على صدقك ؟ فقال : أرأيت إن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم يا محمد . فقال له : تهيأ للمصارعة . فقال : تهيأت فدنا منه رسول اللهﷺ فأخذه ثم صرعه ، فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الإقالة والعودة ، ففعل به ذلك ثانياً وثالثاً ، فوقف ركانة متعجبا وقال : وإن شأنك لعجيب .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي .

روى البلاذري : أنه قدم من سفر فأخبر خبر النبيﷺ اي دعواه النبوّة وكان أشد الناس ، فجاء الى النبيﷺ وقال : يا محمد ، إن صرعتني آمنت بك فصرعه فقال : أشهد أنك ساحر ، ثم أسلم بعد وأطعمه النبيﷺ خمسين وسقاً . وقيل لقيه في بعض جبال مكة فقال : يا ابن أخي ، بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت أنك صادق ، فصارعه فصرعه وأسلم ركانو في فتح مكة ، وقيل عقب مصارعته . ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل عاش الى سنة إحدى وأربعين .

وجاء في بعض روايات : هذا الحديث انهﷺ صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعدّدت ، فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولكل منهما صحبة رضي الله عنهما .

وروى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء يزيد بن ركانة الى النبيﷺ ومعه ثلثمائة من الغنم فقال : يا محمد ، هل لك ان تصارعني ؟ قال : وما تجعل لي إن صرعتك ؟ قال : مائة من الغنم ، فصارعه فصرعه ثم قال : هل لك في العود ؟ قال : وما تجعل لي ؟ قال : مائة أخرى ، فصرعه . وذكر الثالثة فقال : يا محمد ، ما وضع جنبي في الأرض أحد قبلك وما كان أحد أبغض إلى منك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقام عنه وردّ عليه غنمه ، فاتضح بهذا أنهﷺ صارع ركانة وابنه جميعاً ، وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمعي كما قاله السهيلي ، ورواه البيهقي . وكان شديداً بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوا من تحت قدميه فيتفرّى الجلد أي يتقطع ، ولم يتزحزح عنه . فدعا أبو الأسود رسول اللهﷺ الى المصارعة وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول اللهﷺ مراراً فلم يؤمن به ، وقد حضرﷺ المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفرّ الكماة والأبطال عنه ، وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرّة وحفظت عنه جولة إلا النبيﷺ .

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول اللهﷺ ؟ قال : لكن رسول اللهﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا .

وفي رواية : انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس ، ولقد رأيت النبيﷺ على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهوﷺ يقول :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لأنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى ، وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بشريعة ولا تصلح لكرّ ولا فرّ ولا

هرب ، وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة ، فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات ، وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه ، وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدوّ .

وروى مسلم من حديث البراء أيضاً رضي الله عنه قال : كنا إذا احمر البأس أي اشتدّ تقينا برسول الله ﷺ ، وأن الشجاع منا الذي يحاذيه ، ومعنى قوله : اتقينا به ، جعلناه قدامنا واستقبلنا العدوّ به وقمنا خلفه .

وروى الإمام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه : كنا إذا حمى البأس . وفي رواية : إذا اشتدّ البأس واحمرّت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ : فما يكون أحد أقرب الى العدوّ منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً .

وروى أبو الشيخ في الأخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال : ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب اي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم ، وبالجملة فقد كان ﷺ أشجع الناس كما يومي اليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ مع ما ورد من إعطائه قوّة أربعين رجلاً وربما يقاوم بعض الرجال ألفاً كبعض أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، بل له من القوّة الإلهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية .

وأما كرمه ﷺ فكان لا يوازي ولا يباري فيه ، وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر .

وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه : ان النبي ﷺ كان أجود الناس ، أي وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ، ومزاجه أعدل الأمزجة ، وشكله أملح الأشكال ، وخلقه أحسن الأخلاق ، لا بدّ أن يكون فعله أحسن الأفعال ، فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يداً . وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه ،

فجاءه رجل فأعطاه ﷺ غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : ، يا قوم ، أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوّته ﷺ ، وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل : هو صفوان بن أمية وقيل : غيره .

وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال : لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وأنه لأبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليَّ .

قال ابن شهاب الزهري : أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ، ثم مائة ثم مائة . وجاء أنه طاف معه ﷺ يتصفح الغنائم وكان على دين قومه ، إذ مر بشعب مملوء إبلاً وغنماً فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال ﷺ : أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب ؟ قال : نعم . قال : هو لك بما فيه . فقال صفوان : أشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نفس نبي ، ثم أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وعاش الى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ، وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين ، والحكمة في كون إعطائه لم يكن دفعة واحدة ، بل تدريجاً إن هذا العطاء دواء لدائه ، والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجاً لأنه أقرب الى الشفاء . وقد علم ﷺ أن داءه لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان ، فعالجه به حتى برىء من داء الكفر ، وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته ﷺ ورحمته ورأفته ، إذ عامله بكمال الإحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا وصف النبي ﷺ قال : كان أجود الناس كفاً ، وأصدق الناس لهجة رواه الترمذي .

وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم عن الأجود الله الاجود وأنا أجود وله آدم وأجودهم من بعدي رجل تعلم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل فهو ﷺ بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق ، كما انه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة ، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في أظهار دينه وهداية عباده ، وإيصال النفع اليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم .

قال في المواهب : ويرحم الله ابن جابر حيث قال في وصف كرمه ﷺ :

هذا الـذي لا يتقـي فقـراً إذا أعطـى ولـو كثـر الأنـام وداموا
وأدمـن الإنعـام أعطـى آملاً فتحـيرت لعطائـه الأوهام

وقال ابن جابر أيضاً في وصفه ﷺ :

يروى حديث النـدى والبشر عن يده ووجهـه بـين منهـل ومنسجم
من وجـه أحمـد لي بدر ومـن يده بحـر ومـن فمـه در لمنتظم
يم نبياً تبـارى الـريح أنمله والمزن من كل هامـي الـودق مرتكم
لو عامـت الفلك فيما فاض من يده لم تلـق أعظـم بحـراً منـه إن تعم
تحيط كفـاه بالبحـر المحيط فلذ به ودع كل طامـي الموج ملتطم
لو لم تحـط كفـه بالبحـر ما شملت كل الأنـام وروّت قلـب كل ظمي

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه .

وروى الترمذي أنه ﷺ حمل اليه تسعون ألف درهم . قال بعضهم : هي التي جاءته من البحرين ، وقيل غيرها فوضعت على حصير ، ثم قام اليها يقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها .

وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رجلاً جاء الى رسول الله ﷺ يسأله أن يعطيه فقال : ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ اي اشتروا حسب على الشراء . وفي رواية : ما عندي شيء أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك . وفي رواية : فاذا جاء ناشيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر أي ما ليس حاصلاً عندك ، فكره النبي ﷺ قول عمر رضي الله عنه لما فيه من حرمان السائل . فقال رجل من الأنصار حين رأى كراهة النبي ﷺ للمنع : يا رسول الله ، أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً ، فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه . وقال : بهذا أمرت وقيل : أن القائل لرسول الله ﷺ ما ذكر هو بلال رضي الله عنه ، ولعل القصة تعدّدت وإنما قال عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليه ﷺ ، لعلمه بكثرة

السائلين له ، وتهافتهم عليه ، والأنصاري راعي حاله ﷺ ، فلذا سره كلامه فقوله : بهذا أمرت إشارة إلى أنه أمر خاص به وبمن يمشي على قدمه .

وذكر ابن فايس انه ﷺ جاءته امرأة يوم حنين فأنشدت شعراً تذكر فيه أيام رضاعه في هوازن ، فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيراً حتى قوّم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف .

قال ابن دحية : وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود .

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه : أنه ﷺ أتى بمال من خراج البحرين فقال : انثروه يعني صبوه في المسجد ، وكان أكثر مال أتى به ﷺ أي من الدراهم أو الخراج فلا ينافي انه غنم في حنين ما هو اكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم .

قال انس رضي الله عنه : فخرج ﷺ الى المسجد ولم يلتفت اليه : فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاء العباس عمه ﷺ فقال : يا رسول الله ، أعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر ، وفاديت عقيلاً . فقال له : خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله ، مر بعضهم يرفعه عليّ . فقال : لا . قال : فارفعه أنت عليّ فقال : لا . وإنما فعل ذلك تنبيهاً له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال ، فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع . فقال : يا رسول الله ، مر بعضهم يرفعه علي . قال : لا . قال : فارفعه أنت عليّ . قال : لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله .

قال ابن كثير : كان العباس رضي الله عنه شديداً طويلاً نبيلاً ، فاحتمل شيئاً يقارب أربعين ألفاً وانطلق وهو يقول : إنما أخذت ما وعد الله فقد أنجز يشير الى قوله تعالى : ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ قال أنس رضي الله عنه : فما قام ﷺ من ذلك المجلس وثم أي هناك منها درهم ، واشترى ﷺ من جابر رضي الله عنه جملاً ثم أعطاه ثمنه ، وزاده عليه ثم قال له : اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما . وقد كان جوده ﷺ كله لله في ابتغاء مرضاته ، فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج ، وتارة ينفقه في سبيل الله ، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام باسلامهم ، وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى ما بيده للمحتاجين ، ويتحمل المشقة هو وعياله ، فيأتي

عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار ، وبما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع ، حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى ، وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه فطلبت منه خادماً فقال : لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ، وأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد ، فمنع أحب أهله شفقة على الفقراء .

وهذه القصة رواها الإمام أحمد وغيره عن علي رضي الله عنه أنه قال لفاطمة رضي الله عنها : لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي ـ بفتح الجيم وكسرها ـ اي نفطت من كثرة الطحن ، فأتت رسول الله ﷺ فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك واستحيت ان تسأله ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله فأتيا جميعاً النبي ﷺ فقال علي : يا رسول الله ، لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا فقال : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم ، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما اذا غطت رؤوسهما كشفت أقدامهما ، وإذا غطت أقدامهما كشفت رؤوسهما ، فثارا فقال : مكانكما . ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالا : بلى ، قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام : تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين . والحديث في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه .

وفي شرح الزرقاني على المواهب : ان من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لأن فاطمة رضي الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه .

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه انه ما ترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له : ولا يوم صفين ؟ قال : ولا يوم صفين .

ومن كرمه ﷺ ما رواه البخاري : ان امرأة اتته ﷺ ببردة فقالت : يا رسول الله أكسوك هذه ؟ قال : نعم ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من

الصحابة فقال : يا رسول ، الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقالﷺ : نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيئاً فيمنعه . وفي رواية لا يرد سائلاً فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبيﷺ لعلي اكفن فيها وفي رواية فقال : الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، فكانت كفنه .

وروى الطبراني : انهﷺ أمر أن صنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها ، والرجل الذي سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص كما قيل بكل ، ويحتمل تعدد القصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركاً بهم وبلباسهم ، كما إستدلوا الالباس الشيخ للمريد بحديث انهﷺ ألبس ام خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنهما خميصة سوداء ذات علم ، رواه البخاري .

قال في الشفاء : وهذه الخصال الممدوحة كانت حالهﷺ قبل ان يبعث اي لأن هذا الفضائل والشمائل طبعت في أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته ، بل قبل حصول ولادته كما ورد ، كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضي الله عنها : وكذا ورقة ابن نوفل ، وهو إبن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم .

وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال : اتيت النبيﷺ بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقاً وأجر زغب اي قثاء صغار ، فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً .

وفي مسند الامام احمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت : بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكانﷺ يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حلياً أو ذهباً .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ لا يدخر شيئاً لغد اي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه ، وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنه لعياله اي تسكيناً لقلوبهم ، وهذا وقع في بعض السنين دون بعض .

وفي الشفاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل النبيﷺ يسأله اي شيئاً من

العطاء فاستلف له نصف وسق ، فلما جاء الرجل اي رب الـدين يتقاضـاه أي يطالـب النبيﷺ بوفاء الثمن اعطاه وسقاً بكماله ، وقال : نصفه قضاء ونصفه نائل اي عطاء .

قال الشيخ ابو علي الدقاق : الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبيﷺ : فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهوﷺ يقول امتي أمتي .

وأما امانتهﷺ وعدله وعفته وصدق لهجته . فقد كانﷺ أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ، ولقد اعترف له بذلك اعداؤه ، وكان يسمى قبل النبوّة الأمين .

روى الامام أحمد والحاكم والطبراني : انه حين اختلفت اكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا ان يكون الواضع أوّل داخل عليهم فاذا بالنبي ﷺ داخل ، وذلك قبل نبوّته فقالوا : هذا محمد الامين قد رضينا به ، ففرشﷺ رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ، ثم أخذه فوضعه في موضعه ، وكانوا قبل بعثتهﷺ يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم . وقالﷺ والله اني لأمين في السماء وأمين في الارض .

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه : ان أبا جهل قال للنبيﷺ : أنا لا نكذبك اي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله ﴿ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب .

وروى البيهقي والطبراني وغيرهما ان الأخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا اخبرني عن محمد صادق ام كاذب ؟ فقال أبو جهل : والله ان محمداً الصادق وما كذب محمد قط : زاد في رواية ولكن اذا ذهب بنو قصي باللـواء والسقـاية والحجابـة والنـدوة والنبوة : فماذا يكون لسائر قريش ؟ فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه ، فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق ، والأخنس ابن شريق اختلف فيه فقيل له : اسلام وصحبة وقيل : قتل كافراً يوم بدر وقيل : الذي قتل كافراً شريق لا الاخنس .

وجاء ان هرقل لما سأل أبـا سفيان رضي الله عنـه فقـال له : هل كنتـم تتهمونـه

بالكذب ؟ قال : لا

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما : ن النضر بن الحرث العبدري قال لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم اي اكثركم افعالاً مرضية واصدقكم حديثاً وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر ، لا والله ما هو بساحر . وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد ان يرضخ رأس رسول الله ﷺ بحجر وهو يصلي تحت الكعبة ، فتمثل له جبريل في صورة فحل ففر هارباً ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحرث قال : يا معشر قريش ، والله قد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الى آخر ما تقدم .

زاد في رواية وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن ، والله ما هو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم ، وقد قلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته ، فانظروا في شأنكم ، والله قد نزل بكم امر عظيم وهذا غاية منه في الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبي ﷺ عليه وسلم وكان يقول في القرآن أساطير الأوّلين فأخذ أسيراً يوم بدر ، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة . وأما النضير بالتصغير فهو وأخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبي ﷺ يوم حنين مائة من الأبل ، فاحذر ان يتصحف ويلتبس عليك ومن امانته ﷺ ، ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما لمست يده ﷺ يد امرأة قد لا يملك رقها اي لا يملكها نكاحاً وملكا ، فان التزويج يسمى رقاً ، قال ﷺ لأسماء رضي الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقمها ، ومن عدله ﷺ قوله : ابلغوا عني حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر .

وفي رواية : ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة ، وكان ﷺ لا يخير في امرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ، وكان لا يؤاخذ أحداً بذنب احد ، ولا يصدق احداً على احد ، رواه أبو داود عن الحسن البصري مرسلاً ومن عفته ﷺ ما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممت

بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي يرعى لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفاً اي لعباً بالمعازف ، وهي الملاهي من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست انظر فضرب على أذني اي انامني الله قمت فما ايقظني الامس ، الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك اي مثل ما هممت في المرة الاولى ، فعصمني الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط ، وكان ﷺ يعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تنتهك فيه الحرم ، اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير .

وأما زهده ﷺ في الدنيا فقد تقدم من الأخبار ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وكان يقصد بذلك التشريع لأمته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى ، وكان يقول في دعائه : اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً ، وفسر القوت بما يمسك رمتى الانسان . والمراد قدر الكفاية .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة ايام تباعاً حتى مضى سبيله .

وفي رواية ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين ، ولو شاء لأعطاه ما لم يخطر ببال .

وفي رواية اخرى . ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بر حتى لقي الله .

وروى مسلم عن عائشة ايضاً رضي الله عنها : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً .

وفي رواية للبخاري عن جويرية ام المؤمنين رضي الله عنها : ما ترك ﷺ الا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : ولقد مات وما في بيت شيء يأكله ذو كبد الاشطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني فيا ليتني لم أكله، وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب أجوع يوماً فأصبر واشبع

يوماً فاشكر . فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك واثني عليك .

وفي حديث آخر : ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال : ان الله يقرئك السلام ويقول لك : اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت ؟ فأطرق ساعة ثم قال : يا جبريل ، ان الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له اي لقلة معرفته بحقيقة الدنيا ، من سرعة فنائها وكثرة عنائهاوقلة غنائها وخسة شركائها ، ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها فقال له جبريل : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .

وفي رواية للبيهقي : انه ﷺ قال يوماً لجبريل : ما أمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل فقال : ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الأرض وأمرني ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت .

وفي رواية للامام احمد والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة .

وفي رواية لابن عساكر : لو شئت لسارت معي جبال الذهب .

وفي أخرى للطبراني لو سألت الله ان يجعل لي تهامة كلها ذهباً لفعل .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء .

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير .

وروى ابن ماجه والترمذي عن عائشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم : كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء .

وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط ، والخوان ما يؤكل عليه كالكرسي على عادة المترفهين لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم ، فالصحابة انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة في الأرض والسكرجة فارسي معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء انا صغير

يؤكل فيه القليل من الأدم ، وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ، ونحوها من المهضمات والمرغبات في أطراف المأكولات ، والمرقق الرغيف الأبيض اللين الواسع ، والسميط بمعنى المسموط المشوي بجلد بعد اخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات ، فان لم تخرج كان حراماً وكذا حكم الرؤوس والدجاج ، وانما يحسن السمط في صغار الغنم .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : انما كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أدماً اي جلداً مدبوغاً .

وروى الترمذي عن حفصة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان فراش النبي ﷺ في بيتي مسحاً اي من شعر أبيض ، وقيل أسود نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال : ما فرشتم لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له فقال : ردّوه بحاله فان وطاءته اي لينته منعتني اي كمال حضوري في طاعتي او شغلتني عن القيام لصلاتي وقراءتي ، ولم يسألهم ﷺ في ابتداء ليلته لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره .

وروى الشيخان والترمذي : انه ﷺ كان ينام أحياناً على سرير مرمول اي منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة الشريط في جنبه ، لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعاً قط ، ولم يبث شكوى لأحد قط ، اي لاحد من اصحابه وزوجاته ،
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى ، وان كان ليظل جائعاً طول ليله فلا يمنعه اي جوعه صيام يومه ، وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضي الله عنها ولقد كنت أبكي له رحمة مما ارى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول : نفسي لك الفد الو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول : يا عائشة ، مالي وللدنيا اخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم ، فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم ، وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي . قالت رضي الله عنها : فما اقام اي في الدنيا بعد اي بعد قوله ذلك الا شهراً حتى توفي ﷺ .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ظل رسول الله ﷺ

صائماً ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ، وقال : يا عائشة ، ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها ، والصبر عن محبوبها ، ولم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال ﴿ اصبر كما صبر ألو العزم من الرسل ﴾ واني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله .

قال العلماء : من قال مالي صدقة على اعقل الناس يعطي للزهاد ، لانّ العاقل من طلق الدنيا كما قيل :

طلق الدنيا ثلاثا واطلبن زوجا سواها ... انها زوجة سوء لا تبالي من أتاها
انت تعطيها مناها وهي تعطيك قفاها ... فاذا نالت مناها منك ولتك وراها

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالﷺ ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غداً في الآخرة ، اي لان من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل ما يأكله من غير وجهه فيجازي بالجوع في الآخرة اما في الموقف اوفي النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها ، والجوع عذاب .

وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النبيﷺ قال : ان اكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة وذلك لأن شأن المؤمن الكامل ان يشتد خوفه ويكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله ، كما ورد في حديث لأبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبيﷺ :من كثر تفكره وقل مطعمه ، ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه اي لأنّ كثرة المطعم تورث قسوة القلب . وقال جمع من الصحابة ، منهم عمر وبن العاص رضي الله عنه البطنة : تذهب الفطنة ومن قل طعام قل شر به وخف نومه ، ومن خف منامه ظهرت بركة عمره اي لما يباشره من الطاعات في يقظته ، ومن امتلأ بطنه كثر شربه ، ومن كثر شربه ثقل نومه ، ومن كثر نومه محقت بركة عمره ، ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاماً ، فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ، ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه ، فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة .

روى ابو نعيم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعاً قط ، كان اذا تغدَّى اي أكل في غدوة النهار وبكرته لم يتعش اي لم يأكل في المساء ، واذ تعشى لم يتغد وكان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ، ان اطعموه أكل اي ان قدموه له ليأكل أكل ، وما أطعموه قبله منهم وما سقوه اي من الأشربة لبن او غيره شرب .

وروى مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها . ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضيء الى النوم والكسل والبطر والاشر ، وقد تنتهي كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة .

روى البخاري ومسلم ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير لتحمله على التأسي بالنبي ﷺ والاقتداء به في التقلل : والله يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ، ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة اهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ : نار قال : قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت : الأسودان التمر والماء .
وروى مسلم عنها رضي الله عنها : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين ، خصت الزيت لأنهم كانوا يأتدمون به كثيراً ، ومع ذلك لم يأكله في اليوم الا مرة زهداً في الدنيا .

وعن ابي حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : هل رأيتم في زمان النبي ﷺ التقى بعني الخبز الحواري ؟ قال : لا قلت : كنتم تنخلون الشعير ؟ قال : لا ولكنا كنا ننفخه ، رواه البخاري .

وفي رواية : هل أكل رسول الله ﷺ النقي ؟ قال : ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت : هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ فقال : ما رأى النبي ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثرّينا فأكلناه أي نديناه ولييناه ثم خبزناه فأكلناه .
وروى مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم في ساعة لا يخرج فيها احد ولا يلقاه فيها احد فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما : اخرجنا الجوع يا رسول الله قال : وانا والذي نفسي بيده أخرجني الذي اخرجكما ، وهذا قاله تسلية وتأنيساً لهما

فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري رضي الله عنه وكان رجلاً كثير النخل والشياه واذا هو ليس في بيته ، فلما رأت امرأته النبيﷺ قالت : مرحباً وأهلاً وفي رواية مرحباً بنبي الله وبمن معه . فقال لها رسول اللهﷺ : اين فلان ؟ يعني زوجها قالت : ذهب يستعذب لنا الماء اي يستقي لنا ماء عذباً من بئر بعيدة وكانت اكثر مياه المدينة مالحة ، فبينما هم على ذلكاذ جاء الانصاري فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبيﷺ ويفديه بأبيه وأمه .

وفي رواية فنظر الى رسول اللهﷺ وصاحبيه فقال الحمد لله اي على هذه التي لم يظفر بها غيري في هذا اليوم ما احد اليوم اكرم أضيافاً مني فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم يقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال : كلوا وأخذ المدية اي السكين ليذبح لهم فقال له النبيﷺ : اياك والحلوب اي باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها ، فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه ، وأتاهم به فلما وضع بين يديهﷺ اخذ من ذلك فجعله في رغيف وقال للأنصاري : ابلغ بهذا فاطمة رضي الله عنها ، فانها لم تصب مثله منذ ايام ، فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب ، فلما ان شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم .

وفي رواية انه قال : هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ، ثم انطلق أبو الهيثم بصنع لهم طعاماً وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة .

وفي رواية فكبرذلك على أصحابه اي كون هذا من النعيم الذي يسئلون عنه فقال : اذا أصبتم مثل هذا فصار بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمدلله الذي أشبعنا وأنعم علينا وأفضل ، فان هذا كفاف فقال عمر رضي الله عنه ، يا رسول الله انا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة قال : نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته ، او ثوب يستر به عورته ، او حجر يدخل فيه من القر والحر .

وفي هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار ابي الهيثم رضي الله عنه لا ينافي شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهم السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم ، وان يسقنوا بهم ففعلوا ذلك تشريعاً للأمة وفي قول امرأة ابي الهيثم يستعذب لنا ماء دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافي الزهد وان السبب لا ينافي التوكل اذ التوكل اعتماد

القلب على الله وان لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه بالحركة الظاهرة لا تنافيه ، وقصده ﷺ بيت الأنصاري رضي الله عنه من هذا القبيل ، ومن زهده ﷺ ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال : اخذ رسول الله ﷺ بيدي ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال : ما من أد م؟ اي هل عندكم شيء من الأدم آكل الخبز به ؟ قالوا : الا الا شيء من خل . قال : نعم الأدم الخل .

قال جابر : فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله ﷺ .

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن بجير رضي الله عنه قال : اصاب النبي ﷺ الجوع يوماً فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم .

وروى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن ابي طلحة زوج امة رضي الله عنهما قال : شكونا الى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين ، وإنما رفع لهم ليعلمهم ان ليس عنده ما يستأثر به عليهم ، وتسلية لهم لا شكاية ، ان ما بهم من الجوع اصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين .

وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق ، قام ﷺ الى الكدية وبطنه معصوب بحجر ، وما أحسن قول البوصيري رحمه الله .

وشد من سغب احشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

والكشح ما بين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع في بعض الأوقات ليحصل له تضعيف الأجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه ، حتى ان من رآه لا يظن به جوعاً وانما يعرفه بعض الخواص كأبي طلحة بالصوت ونحوه لأن جسمه ﷺ كان يرى اشد نضارة وحسناً من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم في الدنيا ، وهذا المعنى هو الذي قصده البوصيري رحمه الله بقوله : مترف الأدم اي حسن الجلد ناعمة ، وهو من باب الاحتراس والتكميل لأنه لما ذكر انه شد من سغب او جوع خاف ان يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه اثر الجوع وهو الثعف فاحترس ، ورفع ذلك الأبهام بقوله : مترف الأدم . وحصول الجوع في بعض الأوقات لا ينافي قوله ﷺ حين سألوه عن مواصلته في الصوم لست كأحدكم

ان ربي يطعمني ويسقيني لأن كلا منهما حصل له في وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغني عن الطعام والشراب في بعض الأوقات ، وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها. وفي بعض الأوقات يحصل له شيء من الجوع حتى يظهر لبعض اصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الأجر والثواب وليقتدوا به ويتصبروا اذا حصل لهم شي من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا في الدنيا ويتقللوا منها . وقيل : ان عصب الحجر على البطن ليس لأجل الجوع بل لأن عادة العرب أو اهل المدينة ان يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ، ففعل ذلك ﷺ تطبيقاً لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله ، وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم .

ومن زهده ﷺ انه اوتي مفاتيح خزائن الأرض فأعرض عنها وفتح كثير من البلاد في حياته ﷺ وجاءته اموالها فقسمها بين اصحابه وما إستأثر بشيء منها اولا أمسك ديناراً ولا درهماً . بل صرفها في مصارفها ، وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف ﷺ بأكمله وأعلاه .

وفي الشفاء عن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته اي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال : المعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي ، وذكر الله انيسي ، والثقة بالله كنزي ، والحزن رفيقي ، والعلم سلاحي ، والصبر ردائي ، والرضي غنيمتي ، والفقر فخري ، والزهد حرفتي ، واليقين قوت روحي ، والصدق شفيعي ، والطاعة حسبي ، والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة .

وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمى لأجل امتي وشوقي الى ربي .

قال ملا علي القارئ في شرحه على الشفاء والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها اي هذه الألفاظ الا عن بينة اهـ .

ومن معجزاته ﷺ

التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤية اصحابه لهم وقتالهم معه ، ومع اصحابه يوم بدر ، حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها ، وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون

الضارب ، ورأى ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالاً بيضا على خيل بلق بين السما والأرض ، وأرى النبيﷺ مرة جبريل لعمة حمزة رضي الله عنه فخر مغشياً عليه من عظمته وهيئته وحديثه ، رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ، وروى ابن سعد انها كانت تصافحه .

ومن دلائل نبوّتهﷺ

ما تتابعت به الاحبار عن الرهبان والاخبار وعن الكهان على السنة الجان وعلى غير ألسنتهم ، وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحش ، وما جاء من علماء أهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته ، كما تقدم بسطه اول الكتاب في مواضعه ، قال كعب الاخبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار ، مولده بمكة وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام ، وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء .

قال وهب بن منبه في الزبور : ياداود سيأتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقاً سيداً الا اغضب عليه ابداً وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخروا ، وأمته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء .

وروى البيهقي : انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان اسقفا للنصارى على النبيﷺ رآه وتحقق صفاته . قال : والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق ، والذي بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الانجيل ، وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين ، مد يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله .

وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود اسلموا على يد النبيﷺ بخيبر ، وأخبروا ان حبراً من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبيﷺ بسنتين ، فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤوه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى ارض البؤس . قالوا : انت اعلم قال : انما خرجت اتوقع

مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذا البلاد فاتبعوه ، فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شباناً احداثاً يا معشر يهود ، والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان : قالوا : ما هو به ؟ قالوا : بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا اموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن ، فردها عليهم رسول الله ﷺ . . .

ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات امته قال موسى : رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتي :قال : تلك امة محمد . قال : اني اجد فيها امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي : قال تلك امة محمد قال : اجد امة انا جيلهم في صدورهم يقرؤونها فاجعلهم امتي قال : تلك امة محمد .

وفي الزبور : يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمداً صدوقاً سيداً أمته مرحومة ، افترضت عليهم أن يتطهّروا والكل صلاة كما افترضت على الأنبياء ،وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها أعطيتهم ستناً لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب فعلوه عمداً إذا استغفروني منه غفرته لهم ، وما قدّموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ولهم في المدخور عندي أضعاف مضاعفةً وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم ، فان دعوني استجب لهم فإما أن يروه عاجلاً جو أصرف عنهم سواء أو أدخره لهم في الآخرة .

ومما أخبر الله به في القرآن : أنه مذكور في التوراة والإنجيل من صفاته ﷺ قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسل النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك المفلحون ﴾ ولو لم يكن هذا مكتوباً عندهم في التوراة لكان الأخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته ﷺ ، لأن الكذب والبهتان من أعظم المنفرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله ، فلما قال لهم هذا دل على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة

والإنجيل ، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته ، لكن أهل الكتاب كما قال تعالى :

﴿ يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرّفون الكلم عن مواضعه ﴾ وإلا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمداًﷺ كما عرفوا أبناءهم ، وحرفوا ما وجدوه في التوراة والإنجيل وبدلوه ﴿ ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت : أخبرني عن صفة رسول اللهﷺ : قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وحرز للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بلفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إلّه إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً .

وفي رواية لابن اسحق : ولا صخب بالأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوّال للخنى أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقولة ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة ، واعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، واسمى به بعد النكرة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وامم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وأخرج ابن سعد عما هو مذكور في بعض الكتب المنزلة : أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بإخراج هاجر حملها على البراق لكان لا يمر بأضر عذبة سهلة إلا قال : أنزل ههنا يا جبريل ؟ فيقول له : لا حتى أتى مكة فقال جبريل : إنزل يا ابراهيم ؟ قال : حيث لا ضرع ولا زرع ؟ قال : نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا .

وفي التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في أعلام النبوّة تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران فسيناء ،

هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ، وساعير هو الجبل الـذي كلـم الله فيه عيسى ، فظهرت فيه نبوّته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبيﷺ يتحنث في أحدها ، وفيه فاتحة الوحي وهو حراء . قال ابن قتيبة ولا إشكال في هذا لان تجلي الله من سيناء إنزاله التوارة على موسى عليه السلام بطور سيناء ، ويجـب أن يكون إشراقه من ساعير انزله على المسيح الإنجيل ، وإن يكون استعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمدﷺ ، وهـي جبـال مكة وليس بـين المسلمـين وأهـل الكتـاب في ذلك اختلاف ، فان قال قائل منهم : إن جبال فاران ليست بمكة ؟ قلنا له : أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران ؟ وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح ، أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد ؟ وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسـلام وفشـا في مشـارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

قال في المواهب ، وفي التوراة أيضاً مما ذكره ابن ظفر في اثناء خطاب لموسى عليه السلام ، والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته ، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني انتقم منه . وفي هذا الكلام أدلة على نبوّة سيدنا محمدﷺ لقوله نبياً من إخوتهم ، وموسى وقومه من بني إسحق واخوتهم بنو إسمعيل ، ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من أنفسهم لا من إخوتهم ، ولقوله نبياً مثلك وقد قال في التوراة : لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفي ترجمة أخرى : مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً ، فذهبت اليهود إلى أن هذاالنبي الموعود به هو يوشع بن نون ، وذلك باطل ، لأن يوشع لم يكن كفؤاً لموسى عليه السلام ، بل كان خادماً له في حياته ومؤكداً لدعوته بعد وفاته ، فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدﷺ فانه كفء موسى لأنه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرح الأحكام ، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه واضح في ان المقصود به سيدنا محمدﷺ ، لأن معناه أوحى اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ، ولا أنزل صحفاً ولا ألواحاً لأنه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب . وفي الإنجيل عن عيسى عليه السلام . إني أطلب إلى ربي فارقليط يكون معكم الى الأبد . وفيه أيضاً على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي النبوة ، يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم ما قلته وأني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون ، حتى إذا كان تؤمنوا

وفيه أيضاً : أقول لكم الآن حقاً انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم إلى ربكم لم يأتكم الفارقليط ، وان انطلقت أرسلت به اليكم ، فإذا جاء يفيد العالم يؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق ، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه .

وفيه أيضاً : مما ذكره ابن ظفر بأن في الدار المنظم عن المسيح عليه السلام : أنه قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم فارقليط آخر ، يثبت معكم الى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه ، فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه ، وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبداً ، فهل هذا إلا محمد ﷺ ؟ وقد اختلفت النصارى في تفسير الفارقليط فقيل : هو الحامد وقيل : المخلص فان وافقناهم على أنه المخلص أفضى بنا الأمر الى أن المخلص رسول يأتي بخلاص العالم ، وذلك من غرضنا لأن كل نبي مخلص لأمته من الكفر ، ويشهد له قول المسيح في الإنجيل إني جئت لخلاص العالم ، فإذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذي سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر ، ففي مقتضى اللفظ ما يدل على أنه قد تقدم فارقليط أوّل حتى يأتي فارقليط آخر ، وإن نزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا .

وفي بعض تراجم الإنجيل : ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس ، وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شيء ويذكرهم . وفي الإنجيل : الفارقليط إذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ، ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث .

وفيه أيضاً . فإذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذي أرسله ، وهذا كما قال تعالى في حقه ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي ﴾ قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ، ومن ذا الذي أنذر بالحوارث وأخبر بالغيوب إلا محمد ﷺ ، ولله رد أبي محمد الشقراطي حيث قال :

توراة موسى أنت عنه فصدقها إنجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت عما رأوا ورووا في الاعصر الأول

ويعجبني قول العارف الرباني أبي عبد الله بن النعمان :

هذا النبي محمد جاءت به توراة موسى للإمام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ذكر لأحمد معرب ومذكر

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبي امامة الباهلي ، عن هشام بن العاص الأموي قال : بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الإسلام فذكر الحديث ، وانه أرسل اليهما ليلاً قال : فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة ، فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء ، فإذا رجل ضخم العينين عظيم الأليتين ، لم ير مثل طول عنقه وإذالة ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا قال : هذا آدم عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل أحمر العيني ضخم الهامة حسن اللحية فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا نوح عليه السلام . ثم فتح باباً آخر وأخرج حريرة فإذا فيها صورة بيضاء ، فإذا فيها والله رسول الله ﷺ قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم . محمد رسول الله ونبينا . قال : والله إنه لهو . ثم قام قائماً ثم جلس وقال : إنه لهو : قلنا نعم : إنه كأنه ينظر اليك فأمسك ساعة ينظر اليها . ثم قال : أما والله إنه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم الحديث . وفيه ذكر صور الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له : من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل الله عليهم صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام .

وفي الزبور في مزبور أربعة وأربعين : فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله الى الأبد ، تقلد أيها الجبار لسيف فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة وجميع الأمم يخبرون بحبك ، فهذا المزبور ينوّه بمحمد ﷺ ، فالنعمة

التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله ، وهو الكتاب الذي أنزل عليه والسنة التي سنها .

وفي قوله : تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبي العربي إذ ليس يتقلد السيوف أمة من الأمم سوى العرب ، فكلهم يتقلدونها على عواتقهم .

وفي قوله : فان شرائعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه ، والجبار هو الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبراً .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب نوراً يملأ ما بين المشرق والمغرب ، ولأخرجن من ولد إسمعيل نبياً عربياً أمياً يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض ، كلهم يرضى بالله رباً وبه رسولاً ، يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها . قال موسى : سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته . قال الله : يا موسى ، إني أنتقم من عدّوه في الدنيا والآخرة ، وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته ، بالعدل ربيته وللقسط أخرجته ، وعزتي لاستنقذن به أمماً من النار ، فتحت الدنيا بابراهيم وأختمها بمحمد ﷺ ، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء نقله في المواهب عن ابن ظفر .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

خبر ورقة بن نوفل ابن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان ، وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بما رأته منه من أعلام النبوة ، وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب ، وانه رأى ملكين يظلانه فقال : إن كان هذا حقاً فمحمد نبي هذه الأمة ، وقد عرفت ان لها نبياً ينتظر وهذا زمانه ، ثم أنه كان يستبطىء الأمر حتى قال :

تبكر أم أنت العشية رائح ... وفي الصدر من اضمارك الحزن فادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم ... كأنك عنهم بعد يومين نازح
فاخبار صدق خبرت عن محمد ... يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فذاك الذي يعتام يا خير حرة ... بغوره بالنجدين حيث المسامع

الى سوق بصرى والـركاب التـي غدت ... وهـن من الأحمـال قعص ذوابح
يخبرنـا عن كل خـير يعمله ... وللحـق أبـواب لهـن مفاتح
بأن ابـن عبـد الله أحمـد مرسل ... إلى كل من ضمـت عليه الأباطح
وظنـي به ان سوف يبعـث صادقاً ... كما بعـث العبـدان هود وصالح
ومـوسى وابـراهيم حتـى يرى له ... بهـاء وميسـور من الـذكر واضح
وتتبعهـا حبـاً لؤى جماعة ... شبابهم والأشيبـون الحجاحج
فان أبقـى حتـى يدرك النـاس دهره ... فإنـي به مسـتبشر الـود فارح
وإلا فإنـي يا خديجـة فاعلمـي من ... أرضـك في الأرض العريضـة سائح

وهذه شواهد صدق بإيمانـه مع ما ذكره بعضهـم من انـه صحابـي ، بل هو أوّل الصحابة بناء على أنه أجتمع به بعد الرسالة ، إذ صح أنه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه ، واخباره له عن ربه بأنه رسول هذه الأمة بعد إنزال : ﴿ اقرأ باسم ربـك الـذي خلق ﴾ عليه ، وبعد قول ورقة له : أبشر فأنا أشهد أنك الذي لبشر به ابن مريم ، وإنك على ناموس عيسى ، وانك نبي مرسل . وقد ورد انهﷺ رآه في الجنة وعليه ثياب خضر .

وفي مستدرك الحاكم : انهﷺ قال : لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا على القارىء في شرح الشفاء : وأما ما نقله الذهبي عن ابن منده انه قال : الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالـة قواه جداً ، ويرده ما في صحيح البخـاري عنـه صريحاً ، وبالجملة فأخبار الأحبار والرهبان الواردة في ذكرهﷺ وشهادتهم بأنه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر ، وإنما امتنع من امتنع منهم من الدخول في الإسلام حسـداً وعنـاداً واختياراً للبقاء على الشقاء ، وقد قرع أسماعهم بأنه مذكور في كتبهم ، وأن صفته عندهم كذا ، وصفة أصحابه كذا ، كقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفـار ﴾ الى قولـه : ﴿ ذلك مثلهـم في التـوراة ﴾ ثم قال : ﴿ ومثلهـم في الإنجيل كزرع ﴾ الآية ، فقد احتج عليهمﷺ بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحـريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ، ودعاهم الى المباهلة فما منهم إلا من فرّ عن معارضته وعن إبداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس وتخريب الديار ونبذ القتال .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

ما سمع من أجواف الأصنام وما وجد من اسم النبي ﷺ والشهادة له بالرسالة، مكتوباً في الحجارة والقبور بالخط القديم ، وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أوّل هذا الكتاب وكان ذلك سبباً لإسلام كثير ممن شاهدوه .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفي أيام رضاعه عند حليمة رضي الله عنها ، وما حكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها ، وما حكاه من حضر مولده من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطاً في باب ذكر الخوارق ، التي ظهرت في رضاعه وقبله وبعده أيضاً فارجع اليه إن شئت .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نوراً وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه . قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة ، وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية ، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا بحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديواناً جامعاً يشتمل على مجلدات عديدة ، ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين : أحدهما كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا ﷺ مثلها أو ما هو أبلغ منها ، أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة ، وكل آية منه كذلك .

وقال بعضهم : جمل جملة منه معجزة ، وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف وإعجازه من طريق بلاغته وطريق لفظه وطريق نظمه ، فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه إعجاز آخر من الأخبار بعلوم الغيب ، فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد ، وإن نظرت الى بقية وجوه الإعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العدّ معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه . ثم أن الأخبار والأحاديث الواردة عنه ﷺ في أبواب خوارق العادات والأخبار بالمغيبات ، تبلغ نحو ذلك من التضعيف ما ما في معجزاته ﷺ من الشهرة والوضوح، وكانت معجزات

الرسل على حسب حال أهل زمانهم ، فلما كان زمن موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه ، فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم . وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب ، فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص دون معالجة للطب ، وهكذا سائر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم . ثم ان الله بعث سيدنا محمداًﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة : البلاغة المقروة بالفصاحة ، والشعر والأخبار بانساب العرب وأيامها ووقائعها ، والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات وإظهارها ، وإدعاء معرفة أسرارها ، فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الأربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ، ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ، ومن الأخبار عن الحوادث والأسرار والمخبآت التي كانت كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتها من أصلها برجم الشياطين بالشهب .

وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة ، والحوادث الماضية ما يعجز من تفرع لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه ، وتأمل وجوه إعجازه منضماً الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقة بظهور ما أخبر به ، على ما وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان ، وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منهاالى علم اليقين ، وإن كان كل عندها حقاً ، وجميع معجزات الرسل انترضتت بانقراضهم ، وعدمت بانتقالهم ، ومعجزة نبيناﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل .

وإلى هذا أشارﷺ بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه ا لله إليّ فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة . وقوله : ما من الأنبياء نبي إلا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، معناه ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئاً الجأ من شاهده الى الايمان به ، فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه ، وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ، ولم يلمع برهانه كقلب

العصا لموسى حية تسعى ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً معجز في أعلى طبقات البلاغة ، وأقصى غايات الفصاحة ، كريم الفائدة ، عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الأمة قرناً بعد قرن على مرور الأزمنة ، فلذا رتب عليه قوله فأرجو أي بسبب بقائه وظهور ضيائه أني أكثرهم تابعاً وقيل : المراد انه وحي وكلام لا يمكن فيه التخيل ولا التحيل فان غير معجزة نبيناﷺ قد قصد المعاندون إبطالها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء ، كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر ، او يتحيل فيه .

والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات ، كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعراً أو خطيباً بضرب من الحيل والتمويه ، ثم إن عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ، ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم ، والسبي والأذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال ، والتقريع والتوبيح والتعجيز والتهديد والوعيد ، فذلك أبين آية ، وأظهر علامة ، وأبهر دلالة للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته ، فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها ، كقلب العصا حية ونحوه ، فانه قد يسبق الى بال المناظر مبادرة قبل التأمل إن ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة في ذلك الفن ، كما توهم فرعون حيث قال : ﴿ انه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ بخلاف ما لا يعرف انه معجز إلا بالتأمل والفكر ، فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحي ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر ، إذ هو فعل الفاعل القويّ القادر والتحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ، ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعي على المعارضة أبلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ، ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الإدراك ما ليس لغيرهم ، جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة ، بوجوه الإعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبني اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب ، فإنهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم ، فاستخف قومه فأطاعوه : ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ وجوز عليهم السامري ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم ، وعبدت طائفة من بني اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للأبصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ، ومع هذا قالوا لموسى : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة ﴾ ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع ، وإنما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده ، قبل بعثة الرسولﷺ كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ، ومنهم من أدرك بعثتهﷺ فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم ، وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيماناً واكتسبوا إحساناً وايقاناً ، ورفضوا الدنيا كلها في صحبته ويمن همته وبركة متابعته ، وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته .

فجميع هذه الأشياء لم توجد في غير القرآن من بقية المعجزات ، ولم تكن لغير نبينا ﷺ ممن أوتي خوارق العادات ، وأما كونه لم يؤت أحد من الأنبياء شيئاً من المعجزات إلا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها ، فقد تصدّى العلماء لبيان ذلك فقالوا : انهﷺ أعطي ما أعطيه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واختص باشياء لم يعطها أحد غيره ، فمن ذلك أنه أوتي جوامع الكلم وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً الا في حال نبوّته أي بعد بعثته وزمان رسالته ، ولما أعطىﷺ هذه المنزلة علمنا أنه المدّ لكل إنسان كامل مبعوث ، فمنه أفاض الله على جيمع من تقدّمه من الأنبياء والمرسلين أحوالاً كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل ويرحم الله الأبوصيري حيث يقول :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يعني ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمدﷺ الذي أوجده الله قبل وجوده في هذا العالم ، وما أحسن قوله : فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي أن نوره ﷺ لم يزل قائماً به ولم ينقص منه شيء . ولو قال : فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شيء ، وإنما كانت آيات كل واحد من نوره ﷺ لأنه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس ، يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم ، فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي ، عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل

وجوده عليه الصلاة والسلام ، كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانها وصلت اليهم من نورهﷺ ، والحاصل ان جميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام الذي قبلهﷺ من الأنوار ، فإنما هو من نوره الفائض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء ، فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة ، فنورها لم ينقص منه شيء ، ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بمحله ، وأوّل ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة ، وأمدّه بالأسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمدﷺ ، فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ثم توالت الخلفاء في الأرض اي تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام ، فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبيناﷺ لاظهاره منزلته وشرفه عند الله ، ظهر اندراج كل نور في نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء ، ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوّته والنبوّات كلها تحت لواء رسالته ، فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطيﷺ مثلها ، فجمع فيه ما فرق فيهم فآدم عليه السلام أعطي أن الله خلقه بيده ، فأعطي سيدنا محمدﷺ شرح صدره ، فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي . قال تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودي ، ومن سيدنا محمدﷺ الخلق النبوي ، مع ان المقصود من خلق آدم خلق نبينا في صلبه ، فسيدنا محمدﷺ المقصود وآدم الوسيلة ، والمقصود سابق على الوسيلة .

وأما سجود الملائكة لآدم فقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره : إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور نبيناﷺ كان في جبهته ظاهراً . ولله در القائل :

تجليت جل الله في وجه آدم ... فصلى له الأملاك حين توسل

وفي المواهب عن الإمام سهل بن محمد قال : هذا التشريف الذي شرف الله به سيدنا محمداًﷺ بقوله : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ الآية ، أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود ، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف لاستحالته في حقه سبحانه ، إذ السجود من صفات الاجسام ، فالتشريف الذي يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة

وهو السجود .

وأما تعليم آدم الأسماء فقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها ، بل هو ﷺ علم الأسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها ، فذات العلوم وحقائقها له ﷺ ، والذي لآدم ذلك بالنسبة له ﷺ الأسماء فقط ، ولله در الأبوصيري حيث يقول :

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب منها لآدم الاسماء ولا ريب

أن المسميات أعلى من الأسماء لأن الأسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات واليه الايماء بقوله : لك ذات العلوم والأسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهي دونها ، ففضل العالم بحسب فضل معلومه ، فنبينا ﷺ أفضل من آدم عليه السلام . وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكاناً علياً ، وأعطى لسيدنا محمد ﷺ المعراج ورفع إلى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك . وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آدم معه من الغرق . وأعطى سيدنا محمداً ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود برداً وسلاماً ، فأعطى سيدنا محمد ﷺ نظير ذلك ، وهو إطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أي ابطال مكايد الكفار التي كانوا يدبرونها لحربه ، وناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الجسد ومطلبها الروح والجسد . قال تعالى : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ، ويحفظ لمحمد ﷺ سروره وظهوره .

وفي المواهب : انه ﷺ ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه .

وروى النسائي : ان محمد بن حاطب رضي الله عنه قال : كنت طفلاً فانصبت القدر عليّ واحترق جلدي كله ، فحملني أبي . وفي رواية : أمي الى رسول الله ﷺ ، فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال : أذهب البأس رب

الناس فصرت صحيحاً لا بأس فيّ .

ورواه الامام أحمد أيضاً والبخاري في تاريخه ، وقد خمدت نار فارس لنبيناﷺ وكان لها ألف عام لم تخمد .

وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان ﷺ يمر به ويمر يده على رأسه فيقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على ابراهيم .

وروى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد قالت : أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال : يا جارية هلمي المائدة نتغدى ، فأتت بها ، ثم قال : هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال : أسجري التنور فأوقدته ، فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا : ما هذا ؟ قال : هذا منديل كان رسول الله ﷺ يمسح به وجهه ، فإذا اتسخ صنعنا به هكذا لأن النار لا تأكل شيئاً مر على وجوه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد ألقى غير واحد من أمتهﷺ في النار فلم تؤثر فيه .

روى ابن وهب عن ابن لهيعة : ان الأسود العنسي لما ادّعى النبوة وغلب على صنعاء ، أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبيﷺ ، فلم تضره النار . فذكر ذلك النبيﷺ لأصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل ابراهيم الخليل .

وروى ابن عساكر ان الأسود بن قيس العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما اسمع . قال : أتشهد ان محمداً رسول الله ؟ قال : نعم فأتى بنار عظيمة فألقاه فيها فلم تضره ، فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم المدينة ، وقد قبض النبيﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر : الحمد لله الذي ألبثني حتى أراني في أمة محمدﷺ من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأما ما أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة ، فقد أعطيه نبيناﷺ وزاد بمقام المحبة ، ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر ، وقد أعطى سيدنا محمدﷺ كسرها بمحضر من أولى نصرها عام الفتح ، وهم اذلاء لا يستطيعون

نصرها . وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة ربانية ومادة إلهية ، اجتزأ فيها بالأنفاس عن الفاس وما عول على المعول ، ولا عرض في القول ، بل قال جهراً غير سر : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وقد دخل ﷺ مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت ، رواه الشيخان ، وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذي بوأه الله له ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الأسود ، بل هو سويداء القلب ، بل جاء انه يمين الرب ، وذلك على التمثيل ولله المثل الأعلى .

روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ، ومسحه كناية عن إستلامه كما تستلم الأيمان - بفتح الهمزة - جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود ، والمعنى أنه يستلم باليد كما يستلم من أراد عهداً أو يميناً يمين صاحبه عند المعاهدة ، والحلف كما كانت عادته ، وقد أعطى الله سيدنا محمداً ﷺ أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء في شأنه عن أحبار اليهود ، وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ حين الجذع ، وقد مرت قصته مفصلة ، وكذا مشي الأشجار بين يديه وتكليمها له ، فان ذلك أعجب من العصا . ولما أراد أبو جاهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه ﷺ ثعبانين ، فانصرف مرعوباً كما انصرف فرعون مرعوباً عند إلقاء العاص ، وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أي برص ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه ، ثم منه الى أمه آمنة ، وكان بيناً ظاهراً في جباههم ، وتقدم تفصيل ذلك ، وأعطى النبي ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال : انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً ، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج ، رواه أبو نعيم والإمام أحمد والطبراني .

وأخرج البيهقي وصححه الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال : كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ في حاجة فتحدثنا عنده حتى ذهب من

الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا ، فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها إكراماً لهما ببركة نبيهما ﷺ ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ مقصده ، رواه البخاري وغيره .

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء ، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم أي ركابهم وما سقط من متاعهم ، وإن أصابعي لتنير أي تضيء ، ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضاً انفلاق البحر ، فأعطى نبينا ﷺ انشقاق القمر ، فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم ، فموسى تصرف في عالم الأرض بضربه البحر بعصاه فانفلق ، وسيدنا محمد ﷺ تصرف في عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه ، والفرق بينهما واضح ، فإذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الأرض .

وذكر ابن حبيب ، ان بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف تكون بحار الأرض بالنسبة اليه كالقطرة ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا ﷺ ليلة الإسراء ، حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام ، لأن بحار الأرض قد يقع فيها زوال الماء في مواضع منها بحيث يمكن المشي في الأرض التي بينها ، والبحر الذي بين السماء والأرض لا مقر له من الأرض حتى يسلك فيه ، بل هو على صفة الله أعلم بها .

ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام : أجابه دعائه في قوله : ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ الآية . قال تعالى : ﴿ قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ وقال : ﴿ ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ وأعطى نبينا ﷺ من ذلك أعني إجابة الدعاء ما لا يحصر - كما تقدم - كثير من ذلك ، ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ وأعطي سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة ، لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع الماءَ منها ، بل قال تعالى : ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾ ولم تجر العادة

بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى ﷺ : ويرحم الله القائل :

وكل معجــزة للرســـل قد سلفت وافى باعجــب منهــا عنــد إظهار
فما العصـــا حية تسعـــى بأعجــب من شكوى البعـــير ولا من مشي أشجار
ولا انفجـــار معـــين الماء من حجر أشـــد من سلســـل من كف جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام ، فأعطى سيدنا محمد ﷺ مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنـوي مع الـرؤية التـي منعهـا موسى عليه السلام ، وأما ما أعطيه هرون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان ، فقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، وتقدم تفصيل ذلك ، وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن ، فقد أعطي نبينا ﷺ الحسن كله ، ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله ﷺ تبين له التفضيل لنبينا ﷺ على كل مشهور بالحسن في كل جيل . وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضاً من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا ﷺ من ذلك ، لأنه أعطي من ذلك ما لا يدخله الحصر ، ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب ، وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يمزقه كيف شاء من غير إحماء ولا طرق بآلة ولا قوة ، فأعطى نبينا ﷺ أن العـود اليابس اخضر في يده وأورق ، ومسح ﷺ شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرّت وقد تقدمت قصتها . وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون ، وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان ، وكلمه ذراع الشاة المسمومة ـ كما تقدم ـ تفصيل ذلك ، وذلك أقـوى في الاعجـاز وأبلـغ من إحياء الإنسان لأنه جزء حيوان دون بقيته ، فهو معجزة لو كان متصلاً بالبدن فكيف وقد أحيا الله وحده منفصلاً عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حياً قادراً على النطق ، ولم يكن حيوانه يتكلم ، فهو أبلغ من إحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإحياء الطيور لابـراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب ، وشكا اليه البعير ، وتقدم كل ذلك مفصلاً .

وروى أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ﷺ ويكلمه فقال : أيكم فجع

هذا بولده ؟ فقال رجل : أنا . فقال : أردده ، رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت ، وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهراً ورواحها شهراً وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الأرض ، فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف ، فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة ، وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك لا يعلمه إلا الله وهذا كله ببناء على ان العروج الى السموات كان على البراق ، والذي اختاره السيوطي أن العروج كان على المعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، والإسراء على البراق إنما كان لبيت المقدس ، وأيضاً فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحي الأرض ، ونبينا ﷺ زويت له الأرض حتى رأى مشارقها ومغاربها ، وفرق بين من يسعى الى الأرض ومن تسعى اليه الأرض . وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين ، فقد روى أن أبا الشياطين أبليس اعترض سيدنا محمداً ﷺ وهو في الصلاة فأمكنه الله منه ، وربطه بسارية من سواري المسجد وهذا أمكن ، ومما زاد به ﷺ على سليمان إيمان الجن به ﷺ فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به ، والنبي ﷺ استسلمهم ولا شيء أعلى من الإسلام ، وأما عد الجنّ والطير من جنود سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وحُشِرَ لسليمان جنود من الجنّ والإنس والطير ﴾ فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة أجناده باعتبار الجهاد في بدر العظمى ، وباعتبار تكثير السواد في غيرها الإرهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمياتها له من عدوه ، إذا الغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية من الأعداء ، وقد حصلت حمايته ﷺ منهم بذلك التعشيش ، وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك ، فنبينا ﷺ خيرٌ بلا طلب بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فاختار ﷺ أن يكون نبياً عبداً ، ولله در القائل :

* يا خير عبد على كل الملوك ولي *

أي جعلت له الولاية عليهم ، وكفى بذلك شرفاً . وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى باذن الله ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أنه رد العين لقتادة رضي الله عنه إلى مكانها بعدما سقطت فعادت أحسن ما كانت .

وروي أن امرأة معاذ ابن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله ﷺ فمسح عليها بعصا ، فأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لأنها أجنبية ، وتقدم تسبيح الحصى في كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه ، وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم ، فحلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه ﷺ أبلغ من حياة الحيوان ، لأنه كان محلاً للحياة في وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية .

قال أبو نعيم : ونظير خلق الطين طيراً جعل العسيب سيفاً ـ كما تقدم ـ وفي دلائل النبوّة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي ﷺ : أرني قبرها فأراه إياه فأتاه فقال : يا فلانة ، فقالت : لبيك وسعديك ، وتقدمت القصة بتمامها والحاصل : أن النبي ﷺ شارك عيسى في إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ، وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما في كلام ذراع الشاة المسمومة ، ولم يعهد مثله لغيره ﷺ . وأما نزول المائدة فكانت محنة لبني إسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها ، وعلى تقدير الكرامة فهي إجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا ﷺ إجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ، ولا خفاء إنه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله ، وهم زهاء ألف ونيف ، فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان ، بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة ، بتقدير كفران النعمة ، بل كانت نعمة محضة .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة ، فخرج الى البرية يلتمس شيئاً فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز ، فإذا الجفنة ملأى خميراً والرحى تطحن والتنور مملوء شواء ، فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال : ماذا كنت تطحنين ؟ فأخبرته ، وان رحاهما التدور نصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء إلا ملىء فرفع الرحي وكنس ما حولها ، فذكر لرسول الله ﷺ قال : ما فعلت بالرحى ؟ قال : رفعتها ونفضتها . فقال ﷺ : لو تركتموها ما زالت كما هي لكم حياتكم . وفي رواية : لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة . وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون

وما تدخرون في بيوتكم ﴾ أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها ، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل ، بعد فقد أعطي نبيناﷺ من ذلك ما لا يحصى ، وتقدم جملة من أخباره بالمغيبات . وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حي : فقد أعطى نبيناﷺ ذلك ليلة المعراج . وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة وبزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات ، فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الأنبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمداًﷺ من خصائص التكريم بما لم يعطه أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر .

وروى الإمام أحمد والبخارى وغيرهما عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما عنه ﷺ ، انه قال : أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ حيث كان زاد في رواية : وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم . وفي رواية : ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر . زاد في رواية : يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر ، وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقاً حتى لو كان وحده بلا عسكر ، وأعطيت الشفاعة أي العظمى في إراحة الناس من هول الموقف وفي رواية : وأعطيت الشفاعة فاخترتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً . وفي رواية : فهي لكم ولمن يشهد أن لا إلٓه إلا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة ، لأنّ العدد لا مفهوم له فلا ينافي ما ورد من خصائصهﷺ .

بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس .

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون . وفي رواية : وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش . وفي رواية : وأعطيت مفاتيح الأرض وجعلت أمتي خير الأمم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر . وأعطيت الكوثر . وفي رواية : وإن

صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ، والحاصل ان خصائصه ﷺ كثيرة ، فكان كلما أعلمه الله بشيء منها أعلم أمته به ، وقد أفردت خصائصه ﷺ بالتآليف ، وفيما ذكر كفاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

بَابُ فِي وجُوب طاعَته وَمحَبّته وَابتاعَ طرَيقته وسُنته

قال الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ وقال تعالى: ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ وقال تعالى: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ يعني من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله، ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فأن أحداً لا يقدر على إرشاده، وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم في جميع الأوامر والنواهي، وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى: لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى. وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴾ الآية. وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول ﷺ ومن بعدهم، وعام في المعية في هذه الدار، وإن فات فيها معية الأبدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه، وعرف الحزن في وجهه، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فقال: يا رسول الله، ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لإني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين، فلا أراك فنزلت هذه الآية.

وروي أيضاً عن عكرمة مرسلاً قال: أتى فتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، أن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك، فانك في الجنة في الدرجات العلا، فأنزل الله هذه الآية. فقال له رسول الله ﷺ: انت معي في الجنة، والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب . ففي الآية الحثّ على الطاعة والترغيب فيها ، وهي عامة لجميع المكلفين ، وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى ، وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين وإلا لدخل الفساق والكفار ، بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الإستطاعة ، وليس المراد أن الكل في درجة واحدة لأنه لا يجوز أن يسوّي بين المفضول والفاضل ، بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة ، وإن بَعُدَ المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك ، وقد قالﷺ : المرء مع من أحب ، والمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالروح لا بمجرّد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ، ولهذا كان النجاشي معهﷺ ومن أقرب الناس اليه ، وهو بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبيّ من أبعد الخلق عنه ، وهو معه في المدينة وذلك أن العبد إذا أراد بقلبه أمراً من طاعة أو معصية أو شخص من الأشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه ، فالارواح تكون مع الرسولﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم .

قال بعض السلف : ادعى قوم محبة الله فأنزل الله : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطاً بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم ، ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة ، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم ، الكائن بترك المتابعة لرسول اللهﷺ ، ولا يكفي في العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ، ولا يهديه الله ، قال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ، ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله ، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله ، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وإن قال بلسانه فهو كذب منه . وأخبار بما ليس هو عليه . وقال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله

النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ فجعل رجاء الإهتداء أثر الأمرين الإيمان بالرسول وأتباعه تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة ، وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه إلا ما خصه الدليل ، ثم إن محبته ﷺ هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تفاني المحبون ، وبروح نسيمها تروّح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصليها ، ونبوّتهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم سراهم في ظهورها دائماً الى الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأول من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ، أذلهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ، أن المرء مع من أحب ، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة ، لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ، ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون :

من لي بمثل سيرك المذلل   تمشي رويداً وتجيء في الأول

أجابوا مؤذن الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم ، وكان بذلهم بالرضا والسماح ، وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ، ولقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وإنما يحمد القوم السري عند الصباح ، وقد وضعوا للمحبة رسوماً بإعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها ، فمنها قول بعضهم : المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، وقال آخر هي محو المحب لصفاته وإثبات المحب لذاته وقال آخر : هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك . وقال آخر : هي استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك . وقال آخر : هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وقال آخر : أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقي لك منك شيئاً . وقال

آخر : أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وقال آخر : هي ميلك الى الشيء بكليتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . وقال آخر : هي سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبة . وقال آخر : هي الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود إحسان أو إنعام ، وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة ، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، فإذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفاً فانياً منقطعاً ، أو استنقذه من هلكه أو مضرة لا تدوم ، فما بالك من منحه منحاً لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول ، وإذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة ، فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم المانع لنا جوامع المكارم والفضل العميم ، ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والإيقان ، فهو السبب في وصولنا للبقاء الأبدي في النعيم السرمدي . فأي إحسان أجل قدراً وأعظم خطراً من إحسانه الينا فلا منّة لأحد بعد الله كما له علينا ، ولا فضل لبشر كفضله لدينا ! فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشرة ،فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة ، وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لا نفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين ، بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه ، لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده ولده .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : والناس أجمعين . وفي رواية أخرى : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه .

قال القرطبي : كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو حاله من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله ولده ، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ﷺ ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر ، لما وقر

في قلوبهم من جهته ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته ﷺ ، بسبب استحضار ما وصل اليهم من جنته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ، ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم ، لأن هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم .

روى إبن اسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظره ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل .

وفي بعض روايات هذا الحديث : لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى ، لا تدري بأيهم استقبلت ، وكلما مرت بواحد منهم صريعاً قالت : من هذا ؟ قالوا : أخوك وأبوك وزوجك وابنك . قالت : فما فعل النبي ﷺ ؟ فيقولون : أمامك حتى ذهبت الى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذا أسلمت من عطب .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ما كان أحد أحب اليّ من رسول الله ﷺ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ .

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب : أنشدك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ؟ وأنك في أهلك . فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

وفي المواهب : أن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي ﷺ توفي . فقال : اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحداً فكف بصره .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال : ثلاث من كنّ

فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

وقالﷺ : ذاق طعم الايمان من رضي الله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله رباً الخ ، وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به ، وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الأشياء الى العبد ، ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ، ويؤثر ذلك على أغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك .

وقال العارف بالله ابن أبي جمرة : اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية ؟ فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأوّلوه وهم الصوفية ، ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله ، فانه حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه ، حين صنع به ما صنع في الرمضاء إكراهاً على الكفر وهو يقول : أحد أحد ، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ، وكذلك أيضاً عند موته أهله يقولون : واكرباه وهو يقول : واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه ، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان .

ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة ، فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته ، فقيل له في ذلك فقال : ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك إلا لحلاوة الإيمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ، وأمثال ذلك كثير .

قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله : أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة ، والهوى تتنعم بملذوذت المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الأطعمة ، وإنما ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً لأنه لما رضي بالله رباً استسلم له وانقاد لحكمه ، وألقى قياده اليه ، فتوجد لذة العيش وراحة التفويض ، ولما رضي بالله رباً كان له الرضا من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما منّ الله به عليه وليعرف إحسان الله عليه ، ولما سبقت

لهذا العبد العناية عوفي قلبه من المرض فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة إدراكه وسلامة ذوقه .

وقوله ﷺ : وبالإسلام دينا معناه أن من رضي بما رضي به المولى فقد رضي بالإسلام ديناً ، ولازم لمن رضي بمحمد نبياً أن يكون له ولياً وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهداً في الدنيا ، وخروجاً عنها وصفحاً عمن جنى عليه ، وعفوا عمن أساء اليه ، الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ، فمن رضي بالله استسلم له ، ومن رضي بالإسلام عمل له ، ومن رضي بمحمد ﷺ تابعه ولا يكون واحد منها ، إلا بكلها إذ محال أن يرضى بالله رباً ولا يرضى بالإسلام ديناً أو يرضى بالإسلام ديناً ولا يرضى بمحمد نبياً ، وتلازم ذلك بين لا خفاء به ، ومحبة الله على قسمين : فرض وندب ، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي على حسب الاستطاعة ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله تعالى ، حيث قدم هوى نفسه . والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحثات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل في الرجاء ، فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات ، والمتصف بذلك في عموم الأوقات والأحوال نادر .

وفي البخاري من حديث أبي أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال : ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه . وفي رواية : بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددّت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففي الحديث دلالة على أن العبد إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى ، وقد استشكل قوله : كنت سمعه الخ ، بأنه كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ ، وأجيب بأجوبة منها ، أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت كسمعه وبصره في إيثار أمري فهو يحب خدمتي ويؤثر طاعتي كما يحب هذه الجوارح ، ومنها أن المعنى أن كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا لي بما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به ، ومنها

ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوّه ومنها أنه على حذف مضاف أي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه ، وحافظ بصره كذلك ، ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم : فلان أملي بمعنى مأمولي ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ، ولا يأنس إلا بمناجاتي ، ولا ينظره إلا في عجائب ملكوتي ، ولا يمدّ يده فيما فيه رضاي ، ولا يمشي برجله إلا لما فيه رحمتي ، وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستيعن بها ويدخل في ذلك سرعة إجابته في الدعاء ومنحه في الطلب .

قال أبو عثمان الحيري : معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع ، وعينه في النظر ، ويده في اللمس ، ورجله في المشي ، والمراد بالحديث حصر أسباب محبته في أمرين : أداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل ، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً لله ، فإذا صار محبوباً لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الأولى ، فتغلب هذه المحبة قلبه ، فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه ورحه ، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبة التبة ، فصار ذكر محبوبه مالكاً لزمام قلبه مستولياً على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته ، الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ، ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه ، وإن أبصر أبصر به ، وإن نظر نظر به ، وإن مشى مشى به ، فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه ، فالباء في قوله : نبي يسمع الخ ، للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها ، فالمسألة حالية لا علمية محضة ، ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه . فقال : ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بإمتثال أمري والتقرب الى محابي ، فأنا أوافقه في رغبته وقوي أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في أمانته ، لأنه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ، ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ، ولكن مصلحته في إماتته ، فإنه ما أماته إلا ليحييه ، وما أمرضه إلا ليصلحه ، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده اليها على أحسن أحواله ، فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه ، والقصد بقوله : وما ترددت الخ ، بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه ، وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بمحبهم وسكنت نفوسهم اليه ، واطمأنت به قلوبهم ، واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ، ففي القلب طاقة لا يسدها

الا محبة الله ورسوله ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ، ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله إليه ، ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ، ثم يقوم حارساً على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة ، فيصفوا لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والإنابة اليه ، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره ، فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق اليه ، فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول ، واستولت روحانيته على قلبه ، فجعل النبيﷺ إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه ، كما جعل الله نبيه ورسوله وهاديه ، فيطالع مبادىء أموره وكيفية نزلو الوحي إليه ، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لأهله وأصحابه ، إلى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه ، فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليهم بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه ، وماذا أريد بها أو حظه المختص به ، منها من الصفات والاخلاق والأفعال المدمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من الأمراض

ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات :

أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ما حدلنا من شريعته . قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فجعل تعالى متابعة الرسولﷺ آية محبة العبد لربه عز وجل ، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسولﷺ محبة الله تعالى إياه قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة ، فبقدر مطالعة ذلك تكون قوّة المحبة ، ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ، ومعرفته ومتابعة حبيبهﷺ ، وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد ، فإذا دام ذلك النور

أشرقت له ذاته ، فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته ، وتقوى عزيمته ، وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه ، لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرح أحدهما الآخر ، فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والأنس الى الحبيب الاول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وبحسب هذا الإتباع توجد المحبة والمحبوبية معاً ، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن ان يحبك الله ، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبراً وأطعته أمراً وأجبته دعوة وآثرته طوعاً ، وفنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته .

قال المحاسبي : علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله ﷺ ، فإذا أذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه ، فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى ، وما والاه وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد في اليوم الشديد الحرّ للظمآن الشديد العطش ، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسروراً له وقرة عين في حقه ، ونعيماً لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية ، فلا يجد في الاوراد والأذكار وبقية الأعمال كلفة .

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة .

قال ابن عطاء : من ألزم نفسه آداب السنة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وقال ابو اسحق الرقى ، وكان من أقران الجنيد ، علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ . وقال بعضهم : لا يظهر على أحد شيء من نور الايمان إلا بإتباع السنة ومجانبة البدعة ، فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه

الصلاة والسلام ، فان ادعى علماً لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان ، وإنما يعرف كون العلم الدنيا روحانياً بموافقته ، لما جاء الرسول به من ربه تعالى ، وإلا فهو من الشيطان والنفس . فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحرين . ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ فسلب اسم الايمان عمن وجده في صدره حرجاً مما قضاه ولم يسلم له .

قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه : واذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الايمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ، ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما ، فأحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد واحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان إلا بأمرين لامتثال لأمره والاستسلام لقهره ، ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجدوا الحرج في نفسه ، حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله ﷺ رأفة وعناية وتخصيصاً ورعاية لانه لم يقل فلا الرب ، إنما قال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ﴾ ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علماً منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة ، سواء كان الحق عليها . وفي ذلك إظهار لعنايته برسول الله ﷺ إذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه ، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا الاحكام رسوله ﷺ ، ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط أن لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه ﷺ سواء كان الحكم موافقاً لما في أهوائهم أو مخالفاً لها ، وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار ، ففيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الايمان ملأ قلوبهم ، فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ، ممدودة بوجود فضله العظيم ، مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه .

وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه : من لم يرَ ولاية الرسولﷺ في سائر الأحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته ، لأنهﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه .

قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيئاً ، فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ، ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه .

ومن علامات محبتهﷺ :

نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ، ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين ، وآثر ذلك على أعراض الدنيا .

ومن علامات محبتهﷺ :

التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره ، حتى كأنه أكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق ، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته ، والذوق والوجود شاهد بذلك . فكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة ، فإذا فقد تلك الحلاوة اشتاق إلى تلك الكرب كما قيل :

تشكي المحبون المصائب ليتني ... نحلت بما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبتهﷺ :

كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

قال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب . وقال آخر : ذكر المحبوب على عدد الانفاس . وقال آخر : للمحب ثلاث علامات : أن يكون كلامه ذكر المحبوبه ، وصمته فكراً فيه ، وعمله طاعة له .

وقال المحاسبي : علامة المحبين : كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام ، لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون . وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين ، لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم ، وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات ، وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ، ورقت الى معادن الدخائر وبغية الطلبات ، وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين ، وباح الأنين ، وتحركت المواجيد ، وتغير اللون ، وفتر البدن ، واقشعر الجلد ، وربما صاح وربما بكى وربما شهق ، وربما وله ، ؛ وربما سقط ، وربما زاد الوجد على المحب فقتله .

ومن علامات محبته ﷺ :

تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والإنكار مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا . وكذلك كان كثير من التابعين ،! فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقاً أو تهيباً وتوقيراً .

قال بعض السلف ، واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ، ويأخذ من هيبته وإجلاله ، بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به ، وكان أيوب السختياني رحمه الله إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى نرحمه . وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر لونه ، وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم إذ اذكر عنده النبي ﷺ ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم ، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينه دموع . وكان الزهري إذا ذكر عنده النبي ﷺ يتغير ، وكأنك ما عرفته ولا عرفك . وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه .

ومن علامات محبته ﷺ :

كثرة الشوق الى لقائه ، إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه . قال بعضهم : المحبة

الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه : المحبة الشوق المشاهدة الصفات ومشاهدة أسرار الصفات ، فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ، ولهذا كانت الصحابة إذا اشتد بهم الشوق وأرعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله ﷺ ، واستشفعوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه ، والنظر اليه ، والتبرك به ﷺ . وعن عبيدة بن خالد بن معدان : ما كان خالد يأوى الى فراش . إلا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول : هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي ، طال شوقي اليهم ، فعجل رب قبضي اليك ، فالقلب إذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ، ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل :

الصبر يحمد في المواطن كلها   إلا عليك فإنه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول :

على محمد صلاة الأبرار   صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوّاماً بكاء بالأسحار   يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ ، فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال : السلام عليكم ثلاث مرات : وقال لها : أعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال : وعمر لا تنسيه يرحمك الله ، فقالت :

وعمر فاغفر له يا غفار

ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لي . قيل : بماذا ؟ قالت : بحبي لرسول الله ﷺ وشهوتي النظر اليه ، فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه .

ومن علامات محبته ﷺ :

حب القرآن الذي أتى به وتخلق به وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ فانظر محبة القرآن من قلبك ، فانه من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه احب شيء اليه . وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه ؟ قال النبي ﷺ لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه : اقرأ علي . : قال : اقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال : فاني أحب أن اسمعه من غيري ، فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ قال : حسبك ، فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله ﷺ تذوقان من البكاء ، رواه البخاري . وهذا يجده من استنار قلبه ورقّ عند سماع الكتاب العزيز . قال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ .

قال صاحب عوارف المعارف إذا قنا الله حلاوة مشربه هذا السماع ، هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية ، وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع ، لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار ، وتارة يثير شوقاً والشوق حار ، وتارة يثير ندماً والندم حار ، فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملؤ ببرد اليقين بكى وأدمع ، لأن الحرارة والبرودة إذا اضطر بنا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد . قال الله تعالى : ﴿ تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتتدفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجاً تكاد تضيق منه ، فيكون من ذلك الصياح والاضطراب ، وهذه كلها أحوال يجدها أربا بها من أصحاب الاحوال ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما يمرّ بآية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ، ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب أنه مريض ، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا اجتمعوا يقولون لأبي موسى رضي الله عنه : ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني ، فإذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الأبيات دون سماع الآيات ، وفي سماع الألحان دون سماع القرآن ، فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر ، وإذا انشد

بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان ، فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ، ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته .

ومن علامات محبته ﷺ :

محبته سنته وقراءة حديثه ، فإن من دخلت حلاوة الايمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله ﷺ تسرّ منها روحه وقلبه ونفسه ، ونعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعاً وكل ذرة بصراً فيسمع الكل بالكل ويبصر الكمل بالكل ويقول :

لي حبيب خياله نصب عيني وسره في ضمائري مدفون
إن تذكرته فكلي قلوب أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ، ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشدّ للهيبة وحريقه من إعراضه عنه ، ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عندهم أشد عليهم من العذاب الجسماني . كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني ، لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب .

ومن علامات محبته ﷺ :

أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف ، وقد يوجب له ذكر سكراً يستغرق قلبه وروحه وسمعه ، وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل ، وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام ، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك هذا المحبوب قوياً كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين فصوّر في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمناً مطمئناً ، كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضربه العدم ، فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله ، وقد كسب اضعافه ومما يقوي هذه اللذة سماع الأصوات الحسنة المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية إذ صادفت محلاً قابلاً فلا تسأل عن سكرة السامع . وسبب

ذلك اجتماع لذة الألحان ولذة الأشجان فتسكر الروح سكراً عجيباً ألذ وأطيب من سكر الشراب .

وفي الحديث : أن داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويسجد الله فإذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع ، وأعظم من ذلك إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم ، فإذا انضاف الى ذلك رؤيه وجهه الكريم التي تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تذكره العبارة ، ولا تحيط به الاشارة ، وهذه صفة لا تلج كل أذن وصيب لا تحيي به كل أرض وعين ، لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ، ومائدة لا يجلس عليها طفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن علامات محبته ﷺ :

محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته ، وذلك أن الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمداً ﷺ على جميع من سواه ، وخصه بما فضله به وحياه أعلى ببركته من انتمى اليه نسباً أو نسبة ، ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة الزم الله مودّة قرباه كافة بريته ، وفرض المحبة لأهل بيته المعظم وذريته ، فقال تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وهذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ بحسب سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ، ولكنها دلت على ذلك ، فمن ذلك انه ﷺ جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل ، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحدمنهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق ، رواه الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع . زاد في رواية : قال واثلة : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي . قال واثلة : وانها من أرجى ما ارتجى .

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة ، فدخلت عليه بها فقال : إدعي زوجك وابنيك قالت : فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك

الخزيرة وتحته كساء ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ،! ثم أخرج يده فأومأ بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اي خاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة رضي الله عنها : فأدخلت رأسي من البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال : إنك إلى خير إنك إلى خير .

وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين : أولها كتاب الله عزوجل فيه الهدى والنور ، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكر الله عزوجل في أهل بيتي ثلاث مرات . فقيل لزيد من أهل بيته اليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس . قيل : كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم ، والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس ، وهو كل شيء نفيس مصون ، ومراد زيد بن أرقم : أن لا يقتصر على الأزواج فقط ، بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في الآية الكريمة أعني : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ لأن سياق الكلام معهنّ ، ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ .

وروى الإمام أحمد أيضاً : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أني أوشك أن أدعي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا بما تخلفوني فيهما ، وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه .

روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : أيها الناس ، ارقبوا محمداً في أهل بيته أي احفظوهم فلا تؤذوهم .

وروى البخاري أيضاً عن أجبي بكر الصديق رضي الله عنه إنه قال لقرابة رسول

الله ﷺ : احب إلي أن أصل من قرابتي .

وروى الترمذي : انه ﷺ قال : احبوا الله لما يغذوكم به ، وأحبوني بحخب الله وأحبو أهل بيتي بحبي . وقال ﷺ : من آحبهم فيحي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم .

وروى الإمام أحمد عنه ﷺ : من أبغض أهل البيت فهو منافق .

وروى ابن سعد عنه ﷺ من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفاً فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافىء له يوم القيامة ، ولله در القائل :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى بتبليغه إلا المودّة في القربى

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أنه ﷺ قال في حسن وحسين : اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

وروى الترمذي : من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

وروى الإمام أحمد عنه ﷺ : من آذى علياً فقد آذاني .

وأخرج الذهبي عنه ﷺ : من أحب علياً فقد أحبني . وقال ﷺ : العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه ، لا تؤذوا العباس فتؤذوني ، من سب العباس فقد سبني .

وروى الترمذي : أنه ﷺ قال للعباس : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ورسوله .

وأخرج البغوي : انه ﷺ قال لعقيل بن أبي طالب : إني أحبك حبين حباً لقرابتك مني وحباً لما كنت أعلم به من حب عمي لك .

وروى الدارقطني : انه ﷺ قال : أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب خير أهلي أو من خير أهلي .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار ، وأما أصحابه رضوان الله عليهم فمحبتهم من محبته ﷺ ، وتوقيرهم من توقيره ، وبرهم من بره ، فالمؤمن الكامل هو الذي يحبهم ويوقرهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ، ويحسن الثناء عليهم ، ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادي من يعاديهم ، ولا يلتفت إلى أخبار المؤرخين وجهله الرواة ، ولا إلى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح في واحد منهم ، بل ينبغي له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ، ويحمله على أصوب المخارج لأنهم أهل لذلك ولا يذكر أحداً منهم بسوء لأن الله قد أثنى عليهم في كثير من الآيات . قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداًء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الخ السورة .

وعن الإمام مالك قال : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة اللهين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين ، واستنبط الإمام مالك من قوله تعالى : ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة . قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ، ووافقه على ذلك جماعة من السلف . وقال تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرون والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجراً عظيماً ، ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم . وقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ وقال تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه

ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر . ورواه الحاكم أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام ، لا يصلح الطعام الابه . وقال ﷺ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه .

وروى مسلم وغيره : لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أخدهم ولا نصيفه .

وروى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا » .

وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار لي منهم أربعة : أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي . وفي أصحابي كلهم خير .

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه مرفوعاً : من أحب عمر فقد أحبني ، ومن أبغض عمر فقد أبغضني .

قال الإمام مالك رضي الله عنه وغيره : من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق .

وقال عبد الله بن المبارك : خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ .

وقال أيوب السختياني رحمه الله ، من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ، ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى . ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد بريء من النفاق ، ومن أبغض أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً .

وروى الطبراني عن سهل ابن يوسف بن سهل أبن أخي كعب ابن مالك عن أبيه عن جده قال : لما قدم النبي ﷺ من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك ، أيها الناس إني راضٍ عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك ، أيها الناس ، إن الله غفر لأهل بدر والحديبية ، أحفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غداً وقوله : اصهاري هم آباء زوجاته كأبي بكر وعمر وأبي سفيان رضي الله عنهم . وقوله : وأختاني : هم أزواج بناته كعثمان وعلي وأبي العاص بن الربيع رضي الله عنهم .

وروى ابو نعيم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ، ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه .

وروى سعيد بن منصور عن النبي ﷺ من حفظني في أصحابي كنت له حافظاً يوم القيامة .

وروى الطبراني : من حفظني في أصحابي ورد عليَّ الحوض ، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد عليّ الحوض ، ولم يرني الا من بُعْد .

وروى عن كعب الأحبار : ليس أحد من أصحاب محمد ﷺ إلا وله شفاعة يوم القيامة .

قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ، فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب في ذكر وفاته ﷺ

وهـذا البـاب مضمونـه يسـكب المدامـع من الأجفـان ، ويجلـب الفجائع لإثارة الإحزان ، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان ، ولما كان الموت مكروهاً بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة ، لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير ، وقد عرف الله النبيﷺ اقتراب أجله بنزول سورة : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد ، إذا فتح الله عليك البلاد ، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجاً ، فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار ، فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ ، وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا .

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة قال النبيﷺ لجبريل : نعيت إليَّ نفسي ، فقال له جبريل : ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ .

وروى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول اللهﷺ جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال : فعجبنا . وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول اللهﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال النبيﷺ : أن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ، فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر رضي الله

عنه ، وما زالﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض ، وكان مرضه في أواخر شهر صفر ، وكانت مدّة مرضه ثلاثة عشر يوماً ، وكان ابتداء مرضه يوم السبت ، وقيل الاثنين ، وقيل الأربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقيل في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها . وكان ينتقل في بيوت زوجاته رضي الله عنهن على حسب ما كان في صحته ، ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، فأذنّ له فخرج يهادي بين العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها .

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما دخل بيتي واشتد وجعه قال : أهرقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهنّ لعلي أعهد الى الناس ، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبيﷺ ، ثم طفقنا نصبّ عليه الماء من تلك القرب ، حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ، الحديث ، وفيه أنه قال : ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، وهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم ، وأصابتهﷺ حمى شديدة .

روى ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنهﷺ كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها ، فقيل له في ذلك فقال : إنا معاشر الأنبياء كذلك يشددّ علينا البلاء وتضاعف لنا الأجور .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبيﷺ وهو يوعك أي يحم وعكاً شديداً فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً . قال : أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم . قلت : ذلك أن لك لأجرين ؟ قال : أجل ، ذلك كذلك .

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبيﷺ فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت ، فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت : سارني النبيﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أوّل أهل بيته يتبعه فضحكت ، ولما اشتد بهﷺ مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، قال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فعاودته مثل مقالتها . فقال : إنكن صواحبات

يوسف ، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس .

وفي بعض روايات الحديث : ان عائشة رضي الله عنها قالت : لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وجملة الصلوات التي صلى فيها الصدّيق بالناس سبع عشرة صلاة ، فكان في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة إشارة إلى أنه الخليفة بعده ﷺ ، فقالوا : إن النبي ﷺ رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ ولما رأت الأنصار رسول الله ﷺ يزداد وجعاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه عليّ رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج ﷺ متوكئاً على عليّ والفضل رضي الله عنهما ، وتقدم العباس أمامهم والنبي ﷺ معصوب الرأس ، يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر ، وثار الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلف نبيّ قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ؟ إلا أني لاحق بربي وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسلا إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فان الله عزوجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ، فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألالا ولا تستأثروا عليهم ، ألاواني فرط لكم وانتم لاحقون بي ، ألا فان موعدكم الحوض إلا فمن أحب أن يرده علي غداً ، فلكيفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي .

وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا : ما يبكيكم ؟ فقالوا : ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، فخرج النبي ﷺ وقد عصب رأسه بحاشية برد ، فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم بالأنصار فانهم كرشي وعيبتي ،

وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ، وقوله كرشي وعيبتي أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته ، وانهم الذين يعتمد عليهم في أموره وقيل : أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي وصحابتي .

وفي المواهب عن الواحدي بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نعى رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة رضي الله عنها فقال : حياكم الله بالسلام ورحكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم واحذركم الله إني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساد والعاقبة للمتقين ﴾ وقال : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ ؟ قلنا : يا رسول الله ، متى أجلك ؟ قال : دنا الفراق والمنقلب الى الله ، وإلى جنة المأوى . قلنا : يا رسول الله : من يغسلك ؟ قال : رجال من أهل بيتي ، الأدنى فالأدنى . قلنا : يا رسول الله : فيم نكفيك : قال في ثيابي هذه ، وإن شئتم في ثياب مضر ، أو حله يمنية . قلنا : يا رسول الله ، من يصلي عليك ؟ قال : إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ، ثم أخرجوا عني ساعة ، فان أول من يصلي عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ، ثم أدخلوا عليّ أفواجاً فصلوا عليَّ وسلموا تسليماً ليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ، ثم نساؤهم ثم أنتم ، وأقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة . قلنا : يا رسول الله ، من يدخلك قبرك ؟ قال : أهل بيتي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ، ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى ، فقلت إذاً لا يختارنا ، فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح .

وفي رواية : أنها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول : اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى .

وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبي ﷺ قال : خيرت بين أن أبقى حتى

أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل ، فاخترت التعجيل .

وروى ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : اسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل وظاهره أن الرفيق الأعلى المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين .

وقال ابن الأثير : أراد جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين . وقيل : المراد به الله تعالى ، يقال : الله الرفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة ، وقيل : المراد به حضرة القدس .

قال في المواهب : لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية ، فكانت أحواله ﷺ في زيادة الترقي ، ولذلك روي عنه ﷺ : انه قال : كل يوم لا أزداد فيه قرباً من الله فلا بورك لي في طلوع شمسه ، وكلما فارق مقاماً واتصل بما هو أعلى منه لمح الأول بعين النقص ، وسار على ظهر المحبة ، ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال ، والسفر الى حضرة ذي الجلال الذي كل شيء هالك إلا وجهه .

قال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه ﷺ ، بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان ، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره إذا كان قلبه عامراً بالذكر .

قال الحافظ بن رجب : وقد يروى ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده في الجنة ثم ردّت اليه نفسه ثم خير ، ففي المسند عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت النبي ﷺ يقول : ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير ، فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حين إرتفع ونظر فقلت : إذاً والله لا يختارنا فقال : مع الرفيق الاعلى في الجنة : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ .

وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : أغمي على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري ، فجعلت أمسه وأدعو له بالشفاء ، فلما أفاق قال : اسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ، ولما احتضر ﷺ واشتد به الأمر قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ قالت : وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول : اللهم أعني على سكرات الموت .

وفي رواية : وجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات ، قال العلماء : وكانت تلك السكرات منشدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدي به أمته في الصبر .

وروى الحافظ ابن رجب : انه عليه الصلاة والسلام قال : اللهم إنك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والأنامل ، فأعني عليه وهوّنه عليّ والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما . قالت عائشة رضي الله عنها : ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها وأكرب أبتاه ، فقال لها : لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت .

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه : أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة رضي الله عنها ، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك ، فنكص ابو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف ، وظنّ أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج الى الصلاة . قال أنس : وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ ، فأشار اليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر .

زاد في رواية : فتوفي من يومه . وفي رواية : لم يخرج الينا ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم فقال : نبي الله ﷺ بالحجاب . فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله ﷺ ، حين وضح لنا فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدّم وأرخى الحجاب .

وروى مسلم : أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى كان يوم الاثنين وهم في صفوف الصلاة ، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظرنا اليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم ﷺ ضاحكاً أي فرحاً باجتماعهم على الصلاة ، واتفاق كلمتهم وإقامة شريعته .

وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله قد أرسلني اليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً . ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك . ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك

الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك . قال : ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال : يا رسول الله ، إن الله عزوجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به إن أمرتني أنْ أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها . فقال جبريل : يا محمد ، إن الله قد اشتاق الى لقائك . قال ﷺ ، فامض يا ملك الموت الى ما أمرت به فقال . جبريل : يا رسول الله ، هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه . فلما توفي ﷺ سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته : ﴿ كل نفس ذائقة الموت إنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال علي رضي الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هو الخضر عليه السلام .

ورواه أيضاً غير البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ، ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت ، فبكى على رسول الله ﷺ ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت الحديث ، وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر : عليّ بالرجل فنظروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لعل هذا الخضر جاء يعزينا . قالت عائشة رضي الله عنها : توفي رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري . والسحر موضع القلادة من الصدر ، والمراد أنه ﷺ توفي ورأسه بين حنكها وصدرها .

قال السهيلي : أن أوّل كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة : الله أكبر . وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الأعلى .

وفي رواية : جلال ربي الرفيع ويمكن أنه تكلم بهما ، ولما توفي ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه غائباً بالسنح يعني العالية وهي منازل بني الحرث بن الخزرج ، عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجي رضي الله عنهما . وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له في الذهاب اليها فسلّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول

الله ﷺ وقال : إنما أرسل أليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم . فأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضي الله عنها ، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي ويقول : توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حياً وميتاً ، بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين ، وأشار بذلك الى الرد على من يزعم أنه سيجيء فيقطع أيدي رجال لأنه لو صح ذلك لزم أن يموت موتة أخرى فأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين ، وقيل : أنه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك .
وعن عائشة رضي الله عنها : ان عمر رضي الله عنه قام يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله وقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً . والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله موتتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال : ألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقال تعالى : ﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . فنشج الناس يبكون ، رواه البخاري . يقال : تشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

وعن سالم بن عبيد الأشجعي رضي الله عنه قال : لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخذ بقائم سيفه وقال : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا . قال : فقال الناس يا سالم أطلب صاحب رسول الله ﷺ قال : فخرجت الى المسجد فإذا بأبي بكر رضي الله عنه فلما رأيته ، أجهشت بالبكاء فقال : يا سالم أمات رسول الله ﷺ ؟ فقلت : إن هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستشنى الريح ثم سجاه ، والتفت الينا وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ وقال : ﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ يأيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال عمر : فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط .

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : سجيت رسول الله ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنوا فأذنت لهما ، وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال : واغشياه ثم قاما فقال المغيرة : يا عمر ، مات . قال : كذبت ، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ .

وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس اليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أما بعد ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال الله عز وجل : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . قال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم . فلما سمع بشر من الناس إلا يتلوها .

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن أبا بكر مرَّ بعمر رضي الله عنهما وهو يقول : ما مات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين . قال : وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم فقال : أيها الرجل : إن رسول الله ﷺ قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ ثم أتى المنبر الحديث .

وروى الطبراني : ان العباس رضي الله عنه لما سمع عمر رضي الله عنه يقول : من قال إن محمداً قد مات ضربته بسيفي ، قال له : هل عندكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك ؟ قال : لا ، قال : فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء ، وهذا من موافقة العباس للصديق رضي الله عنهما .

وفي المواهب لما توفي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل ، وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان علي رضي الله عنه ممن اقعد فلم يستطع ان يتحرك ، وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه ، جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ، فدخل على النبي ﷺ فأكبَّ عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال : طبت

حياً وميتاً ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس ، اذكرنا يا محمد عند ربـك ، ولتكن على بالك .

وفي رواية : قبّل جبهته وقال : واصـفياه واخليلاه . وفي رواية : فجعـل يقبّلـه ويبكي ويقول : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً . ثم خرج الى الناس ، الحديث .

قال القرطبـي وهـذا أدل دليل على كمال شجاعـة الصـديق رضي الله عنـه ، ين الشجاعة هي ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مصيبة أعظم من موت النبيﷺ ، فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه .

وذكر الوائلي أبو عبد في كتاب الإبانة عن أنس رضي الله عنه : انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام ، وتشهّد ثم قال : أما بعد ، فاني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت ، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده إليّ رسول الله ﷺ ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتاً ، فاختار الله لرسولهﷺ الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله رسوله به ، فخذوا به تهتدوا ، والمقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي ﷺ لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين . وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ، ولكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين ، فلما شاهد قوّة يقين الصـديق الأكبـر وتفوّهه بقول الله عزوجل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقولـه : ﴿ إنـك ميت وإنهـم ميتون ﴾ وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة ، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم ، رجع عن مقالته المذكورة .

وروى البخاري : أن فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول اللهﷺ قالت : يا أبتاه . أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، من الى جبريل ننعاه . زاد في رواية رواها الطبري : يا أبتاه من ربه ما أدناه . وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعدهﷺ ستة أشهر ، فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك .

وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ صعد ملك

الموت باكياً إلى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتاً من السماء ينادي : وامحمداه ، وهذه مصيبة أصيبها المسلمين لم يصابوا قط بمثلها ، كل مصيبة تهون عندها .

روى ابن ماجه : أنهﷺ قال في مرضه : أيها الناس ، إن أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصينة فليتعزّ بمصيبة بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي .

قال ابن الجوزي : كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه وقال له : يا عبد الله ، اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة ورحم الله القائل :

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها   نوب تنوب اليوم وتكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر :

تذكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها : إن المنايا سبيلنا   فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقتهﷺ ، فكيف بقلوب المؤمنين ، ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حنّ اليه وصاح . وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يبكي ويقول : هذه خشبة تحنّ الى رسول اللهﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا اليه .

وروى أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاتهﷺ وقبل دفنه ، فإذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله : ارتج المسجد بالبكاء والنحيب . فلما دفنﷺ ترك بلال الآذان .

ما أمر عيش من فارق الاحباب   خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب
لو ذاق طعم الفراق رضوى   لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق   يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته ﷺ حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته ﷺ ، وكانت يوم الاثنين بلا خلاف ، وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل : ليلة الأربعاء وقيل : يوم الاربعاء ، ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها قولها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا   وكنت بنا براً ولم تك جافياً
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً   لبيك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده   ولكنني أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد   على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي   وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس ابقى نبينا   سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية   وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسناً أيتمته وتركته   يبكي ويدعو جدّه اليوم ثانياً

ورثاه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال :

أرقت فبت ليلي لا يزول   وليل أخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما   أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت   عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها   تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا   يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه   نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا   بما يوحي اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً   علينا والرسول لنا دليل
أفاطم أن جزعت فذاك عذر   وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر   وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله :

ودعنا الوحي إذا وليت عنا   فودعنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضاً بقوله :

لما رأيت نبينا متجندلاً ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك إن حبك قد ثوى فالصبر عنك لما نعيت يسير
يا ليتني من قبل يهلك صاحبي غيبت في جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده يعني بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضي الله عنه بمراثي كثيرة منها قوله :

كنت السواد لناظري نعمي عليك الفاظ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاتهﷺ بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورجع الى قومه قال وهو يبكي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك إن أجعل طاعتك طاعته فقال : ﴿ من يطع الرسول فقد اطاع الله ﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى : ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ الآية . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : ﴿ يا ليتنا أطعنا الله واطعنا الرسولا ﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنيه وطول عمره ، فقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل .

وأخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال : بلغنا أن النبيﷺ عليل فأوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف يقول :

خطــب أجــل أنــاخ بالإسلام بــين النخيل ومقعــد الأطام
قبض النبــي محمــد فعيوننا تذري الدمــوع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعاً فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبيﷺ قبض أو هو ميت ، أي قريب الموت ، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت : مسه فقيل : قبض رسول اللهﷺ ومن عجيب ما إتفق انهم حين أرادوا غسل النبيﷺ قالوا : لا ندري انجرد رسول اللهﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ؟ أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمه مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو ؟ أغسلوا النبيﷺ وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص ، رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد ، وغسلهﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف ، وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول اللهﷺ ، يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة أن يبدو ما لم يؤذن في النظر اليه وقوله : وأعينهم كلهم معصوبة أي إلا علياً رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً .

وروي أن علياً رضي الله عنه نودي وهو يغسله : أن أرفع طرفك نحو السماء خوفاً أن يديم النظر اليه .

وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال : غسلتهﷺ فذهبت انظر ما يكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيئاً كأن طيباً حياً وميتاً ، وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط .

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال : كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي ﷺ فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه ، وكفنوهﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ، واختلف في معنى هذا الحديث فقال الجمهور : ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلاً . وقال آخرون : منهم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه معناه : كفن في

ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة . ثم لما فرغوا من جهازه ﷺ وضع على سريرة في بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً أي جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤمّ على رسول الله ﷺ أحد .

وفي رواية : أن أول من صلى عليه الملائكة أفواجاً ، ثم أهل بيته ، ثم الناس فوجاً فوجاً ، ثم النساء . واختلفوا في موضع دفنه فقال أناس : عند المنبر وقال أناس : بالبقيع . فقال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مات نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه . فقال علي وأنا أيضاً سمعته ، رواه الترمذي وابن ماجه .

وفي رواية الموطأ : مادُفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه ، فحفر له ﷺ في المكان الذي توفي فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه ، حفر لحداً في موضع فراشه حيث قبض ﷺ ، واختلف الناس فيمن أدخله قبره ، وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي والفضل وقثم ابنا عباس رضي الله عنهم . ويقال : دخل معهم أوس بن خولي رضي الله عنه ، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس رضي الله عنهما لأنه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله .

وروى أنه بُني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها ﷺ ، فرشها شقران رضي الله عنه وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفراش خصوصية له ، أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ، ولما دفن ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟ وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول :

ماذا علي من شم تربة أحمد ... إن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

وقالت رضي الله عنها ترثيه :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مصر وكل يمان

ورش قبره ﷺ بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراً وبيضاً ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ، ولما قبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة ، وأظلمت الدنيا . قال أنس رضي الله عنه : ما رأيت يوماً كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله ﷺ ، ولا أظلم من يوم مات رسول الله ﷺ .

وفي رواية لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء . فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب ، وإنا لفي دفنه حتى أنرنا قلوبنا ، يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته ، من الالفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد .

ومن آياته ﷺ :

بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردّى أي ألقى نفسه في بئر ، وكذا ناقته ، فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت .

ومن ذلك ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته مما لا نهاية له ، ولا عد يحصيه وقد تقدم في المعجزات كثير من ذلك .

روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه : أنه ﷺ قال : إن الله ، إذا أراد بأمة خيراً قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لأمة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام ، وإنما كان قبض النبي قبل أمته خيراً لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم ، وإذا أراد الله بهم خيراً جعل خيرهم مستمراً ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات ، نسلاً بعد نسل ، وعقباً بعد عقب .

هذا ما يسره الله من سير النبي ﷺ ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به ، وأن يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته ، وأن يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين ، وأن يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

